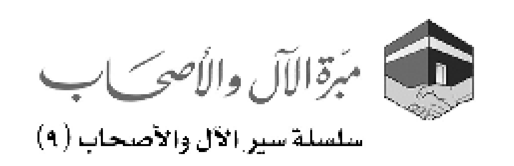


سلسلة سير الآل والأصحاب (٩)



د. أحمد سيد أحمد علي

الباحث بمركز البحوث والدراسات بالمبرة

قال رسول الله ﷺ: أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وسعد في الجنة، وسعيد في الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة.

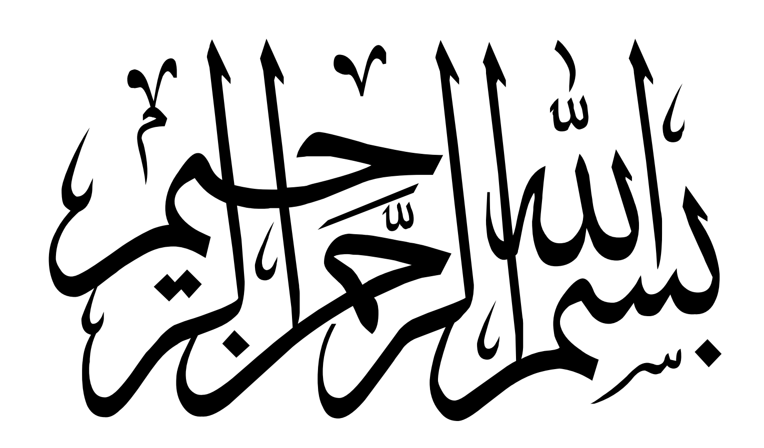
فهرسة مكتبة الكويت الوطنية أثناء النشر

٢٣٩.٩ علي، سيد أحمد.
العشرة المبشرون بالجنة ... قبسات ولمحات / د.أحمد سيد أحمد علي . - ط١. –
الكويت: مبرة الآل والأصحاب، ٢٠٠٩
٣٤٢ ص؛ 24 سم . – (سلسلة سير الآل والأصحاب ؛ 9)
ردمك: 6 – 8 – 674 – 999906 – 978
١- العشرة المبشرون بالجنة ٢- الصحابة والتابعون ٣- المهاجرون والأنصار
أ. العنوانب- السلسلة

رقم الإيداع: 204 / 2008
ردمك : 6 – 8 – 674 – 999906 – 978

الطبعة الأولى
١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م
مبرة الآل والأصحاب

هاتف: ٢٢٥٦٠٢٠٣ – ٢٢٥٥٢٣٤٠ فاكس: ٢٢٥٦٠٣٤٦
ص. ب: ١٢٤٢١ الشامية الرمز البريدي ٧١٦٥٥ الكويت
E-mail: almabarrh@gmail.com
www.almabarrah.net
رقم الحساب: بيت التمويل الكويتي ٢٠١٠٢٠١٠٩٧٢٣


بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾

سورة التوبة الآية «٤٠».

﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾

سورة التوبة الآية «١٠٠»

﴿ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾

سورة الفتح الآية «١٨».

الفهرس

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، بحمده يُستفتح كل كتاب وبذكره يصدر كل خطاب، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد النبي الهادي الأمين عليه وعلى آله وصحبه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

أما بعد

فإن الحديث عن أصحاب النبي ﷺ حديث ذو شجون، فهؤلاء الصحابة هم الذين اختارهم المولى جل وعلا لصحبة نبيه ﷺ، وهم الذين رأوا من أحوال النبي ﷺ، وسمعوا من أقواله، وعاينوا من صفاته وأخلاقه ما جعلهم يهرعون إليه، ويضعون مقاليدهم بين يديه، وينغمسون في سنته وسيرته حتى بُهرت منهم الأبصار، وأُزيلت عنهم الأكدار، فآثروا رسول الله على أنفسهم وأموالهم وأولادهم وأزواجهم. .وضحُّوا في سبيله بالغالي والنفيس، وضربوا بتضحياتهم وجهادهم مع رسول الله ﷺ أروع الأمثلة في الفداء والإخلاص للإسلام.

ويأتي في طليعة الأصحاب الكرام، العشرة المبشرون بجنة النعيم على لسان النبي الكريم عليه أجل الصلوات وأتم التسليم، بوحي من المولى العظيم.

فهؤلاء العشرة كانوا أسبق من غيرهم إسلاماً، وأكثر تضحية، فكانت تضحياتهم أكبر وجهادهم أعظم. فاستحقوا بذلك وغيره أن يُبشروا بالجنة.

وما بحثنا هذا إلا صورة متواضعة للاعتراف بفضلهم والإقرار بمكانتهم ومنزلتهم.

فلم نذكر في بحثنا هذا كل ما ورد بشأنهم فلم يكن من أهدافنا الاستقصاء فهو أمر لا تتحمله طبيعة هذا البحث، كما أنه يفوق العدَّ والحصر.

وما هذا البحث إلا غيض من فيض وقليل من كثير، وإلا فالأمر يحتاج إلى مجلدات كثيرة وأوقات طويلة.

هذا ولا ادعى في هذا البحث بلوغ الكمال، بل لا أراني أهلاً للحديث عن هؤلاء الكرام، وما وفيتهم حقهم ولكنه جهد المقل، وكل ما أرجوه من المولى تعالى أن يحوز هذا العمل القبول، وأن يجعله في ميزان حسنات كاتبه ووالديه

وزوجه وولده وإخوته وكل من ساهم معه في إعداده إما تكليفاً أو مراجعة وتدقيقاً أو مساهمة في طرح فكرة أو اللفت إلى أمرٍ، أو دعاءً إلى الله تعالى بالمعونة والتوفيق.

والله أسأل أن يجزي كل هؤلاء عني خير الجزاء وأن يجعله في ميزان حسناتي وحسناتهم.

وفي النهاية فإن واجب الوفاء والعرفان ليقتضي مني أن أنسب الفضل لأهله وأقدم الشكر لمستحقيه عملاً بقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ﴾[(١)].

ولا يسعني إلا أن أتقدم بأسمى آيات الشكر والاعتراف بالجميل لإخواني في مبرة الآل والأصحاب الميمونة المباركة، وأخص من بينهم فضيلة الدكتور/ عبد المحسن الجار الله الخرافي رئيس مجلس إدارة مبرة الآل والأصحاب، وهو مَن هو علماً وخلقاً وفضلاً، صاحب الهمة العالية، والأخلاق السامية والعلم الزاخر والعطاء الوافر والأيادي البيض والانتماء الأصيل والرحمة التي قلَّ أن نجد لها نظيراً في دنيا الناس اليوم.

أشكر لفضيلته همته العالية وعمله الدءوب في سبيل دينه وأمته، فجزاه الله عني وعن إخواني من السالكين درب العلم خير الجزاء.

كما أتقدم بخالص الشكر والتقدير إلى الأخوة الكرام في مركز البحوث والدراسات بمبرة الآل والأصحاب، وعلى رأسهم فضيلة الشيخ/ محمد سالم الخضر رئيس مركز البحوث والدراسات بالمبرة، صاحب الهمة العالية والأخلاق الزاكية والقلم السيَّال واللسان القوَّال والمؤلفات الثقال.

وفضيلة الشيخ/ علي بن حمد التميمي صاحب البديهة الحاضرة والمعلومة الوافرة والعبارة الصادرة، والذي أفدت منه في بعض صفحات بحثي.

---

(١) سورة البقرة الآية «٢٣٧».

وفضيلة الشيخ بدر محمد باقر/ صاحب الحجة القوية، والنفس الأبية، والمناظرة الفتيَّة، وفضيلة الشيخ/ سائد صبحي قطوم الداعية القوي، والعالم الأبي، صاحب السبق في مراجعة هذا البحث، وفضيلة الدكتور/ علاء محمد عبد الغني آخر مراجعي هذا البحث، السائح في التاريخ، والثابت في وجه الريح، صاحب القلب الطيب، والخلق الدمث.

ولا يفوتني أن أشكر فضيلة الشيخ/ أسامة محمد زهير صاحب الجهد الحثيث في علم الحديث، وكذا فضيلة الشيخ صلاح العامري العامر بالعلم والمترع بالفهم، وكذا جميع إخواني في مبرة الآل والأصحاب، أشكر لكل هؤلاء جهودهم الطيبة وجماعتهم المباركة.

وفي الختام وإن كان يحق لي أن أهدي هذاالبحث لأحدٍ فإني أهديه إلى أبي وأمي وزوجتي وابني وإخواني في مبرة الآل والأصحاب جميعاً سائلاً المولى جلَّ وعلا لي ولهم التوفيق والقبول، كما أسأله تبارك وتعالى أن يعينني وإياهم على تبليغ دعوته وايصال حجته إنه ولي ذلك ومولاه والقادر عليه.

كتبه الراجي عفو ربه

د. أحمد سيد أحمد علي أحمد

Battash_333@yahoo.com

تمهيد عن تعريف الصحابة ومكانتهم وواجبنا نحوهم

إن المولى جل وعلا قد اختار لرسوله ﷺ أصحاباً جعلهم أفضل جيلٍ مسلم، وفي مقدمة الطليعة المؤمنة التي تلقَّت دعوة الإسلام وحملت أمانة التبليغ، وجابت بها الفيافي والقفار، حتى دان بالإسلام القاصي والداني، والقريب والبعيد، وفي سبيل تبليغ هذه الأمانة تركوا متع الحياة ولذاتها، وخاضوا طريقاً مليئاً بالكبوات والعثرات، محفوفاً بالأشواك والعقبات، وصبروا على مشقة الطريق وعسرته حتى أوصلوا الدين غضاً طرياً إلى كل البقاع، ولم يألوا جهداً، ولم يضنوا بفكرةٍ ولا بعملٍ من شأنه أن يساعد في نشر هذا الدين، الأمر الذي جعل المسلمين قاطبة على مرِّ الدهور وكرِّ العصور يدينون بالفضل لهم – إلا قلة لا يُلتفت لها ولا يُخرق بمثلها إجماع - فجزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

وفيما يلي تعريف مصطلح الصحابة في اللغة والاصطلاح، ومكانتهم وواجب الأمة نحوهم.

تعريف الصحابة لغة واصطلاحاً:

تعريف الصحابة لغة:

قال الفيروز آبادي: «استصحبه: أي دعاه إلى الصحبة ولازمه[1]».

وقال الجوهري: «والصحابة بالفتح: الأصحاب، وهي في الأصل مصدر، وأصْحَبْتُهُ الشيء: جعلته له صاحباً، واستصحبته الكتاب وغيره، وكل شيء لاءم شيئاً فقد استصحبه»[2].

ومن خلال هذا يتضح أن مادة صحب في اللغة تدل على المتابعة والملازمة.

---

(١) القاموس المحيط: الفيروزآبادي، ١١/٨.

(٢) الصحاح: الجوهري، ١٦١/١.

تعريف الصحابة في الاصطلاح:

لقد تعددت تعاريف العلماء لمصطلح الصحابة، أو الصحابي، ومن أشهر هذه التعاريف ما يلي:

١- قال الإمام البخاري رحمه الله: «من صحب النبي ﷺ أو رآه من المسلمين فهو من أصحابه»[١].

٢- قال علي بن المديني: «من صحب النبي ﷺ أو رآه ولو ساعة من نهار فهو من أصحاب النبي ﷺ»[٢].

٣- قال سعيد بن المسيب: «الصحابة لا نعدُّهم إلا من أقام مع رسول الله ﷺ سنة أو سنتين وغزا معه غزوة أو غزوتين»[٣].

وأضاف الواقدي معقباً على ما ذكره ابن المسيب: ورأينا أهل العلم يقولون: كل من رأى رسول الله ﷺ وقد أدرك الحلم فأسلم وعقل أمر الدين ورضيه فهو عندنا ممن صحب رسول الله ﷺ ولو ساعة من نهار[٤].

وتعريف سعيد بن المسيب السابق قد أعقبه الحافظ ابن حجر بقوله: «والعمل على خلاف هذا القول؛ لأنهم اتفقوا على عدِّ جمعٍ جمٍ في الصحابة لم يجتمعوا بالنبي ﷺ إلا في حجة الوداع»[٥].

٤- والتعريف الصحيح المعتمد هو ما قرره الحافظ ابن حجر بقوله: «وأصحُّ ما وقفت عليه من ذلك أن الصحابي من لقي النبي ﷺ مؤمناً به ومات على الإسلام»[٦].

---

(١) فتح الباري: ابن حجر، ٤/٧، دار المعرفة- بيروت، ط٢.

(٢) المصدر السابق: ٤/٧.

(٣) أسد الغابة: ابن الأثير، ١٢/١.

(٤) المصدر السابق: ١٢/١.

(٥) فتح الباري: ابن حجر، ٣/٧.

(٦) الإصابة في تمييز الصحابة: ابن حجر، ١٥٨/١، دار الكتب العلمية – بيروت، ط٢، سنة ١٤١٥هـ.

بم يعرف الصحابي؟:

مسألة تمييز الصحابي عن غيره مسألة ليست بالهينة، فقد ألَّف العلماء فيها كتباً كثيرة، ولعل من أهمها: كتاب الاستيعاب لابن عبد البر.

ولقد وضع العلماء رحمهم الله طرقاً وضوابط لمعرفة كون الشخص صحابياً من غيره، وتلك الطرق تتلخص فيما يلي:

١ - أن تثبت صحبته بطريق التواتر المقطوع به لكثرة ناقليه أن فلانًا من الصحابة.

٢- أن تثبت الصحبة للشخص عن طريق الاستفاضة والشهرة القاصرة عن التواتر.

٣- أن يُروى عن أحدٍ من الصحابة أن فلاناً له صحبة وكذا عن آحاد التابعين بناء على قبول التزكية من واحدٍ، وهو الراجح.

٤- أن تثبت الصحبة بإخباره عن نفسه، إذا كان ثابت العدالة والمعاصرة بقوله: أنا صحابي[1].

وهناك عدة ثوابت تعمُّ جميع الصحابة، ويجب وضعها في الاعتبار عند الحديث عنهم، أو التعرض لذكرهم بأي صفةٍ، وهذه الثوابت هي:

١- أن الصحابة كلهم عدول، لا يجوز تجريحهم، ولا النيل منهم أو بعضهم.

٢- أن الصحابة كالنجوم يهدون الحائر، ويرشدون الضال.

٣- أن الصحابة لم يذكرهم الله تعالى في كتابه إلا وأثنى عليهم، وأجزل الأجر والمثوبة لهم[2].

---

(١) راجع: مقدمة ابن الصلاح، ص١٤٥، ١٤٦، طبعة مكتبة المتنبي- القاهرة.

(٢) راجع: الموسوعة الإسلامية العامة: إعداد المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ص٨٤٥ .

مكانة الصحابة ومنزلتهم:

للصحابة ﷺ مكانة عظيمة ورفيعة في قلب كل مسلم، فلا يكمل إيمان المسلم إلا بحبهم والترضّي عليهم، ومن طعن فيهم أو في أحدهم فهو منافق منزوع الإيمان، ساقط الأهلية والاعتبار.

وكل من قرأ كتاب الله تعالى يلزمه إثبات فضل الصحابة ﷺ الذي نطق به القرآن الكريم المنزَّل من لدن حكيمٍ حميدٍ، كما يلزمه إثبات جميع ما صحَّ في فضلهم عن رسول الله ﷺ سواء كان هذا الفضل على وجه العموم أو على وجه الخصوص.

ولقد أثنى الله عليهم في كتابه العزيز على سبيل الجملة في آيات كثيرة ومواضع شتى منها:

١- قال الله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾[1].

قال ابن الجوزي: «وفيمن أريد بهذه الآية أربعة أقوال:أحدها: أنهم أهل بدر.والثاني: أنهم المهاجرون، والثالث: جميع الصحابة، الرابع: جميع أمة محمد ﷺ نُقلت هذه الأقوال كلها عن ابن عباس»[2].

٢- قال الله تعالى: ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾[3].

---

(١) سورة آل عمران الآية «١١٠».

(٢) زاد المسير في علم التفسير: ابن الجوزى، ١٦/٢، دار الفكر- بيروت، ط١ سنة ١٤٠٧هـ .

(٣) سورة التوبة الآية «١٠٠».

قال ابن كثير: «يخبر تعالى عن رضاه عن السابقين من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان، ورضاهم عنه بما أعدَّ لهم من جنات النعيم، والنعيم المقيم... وقال محمد بن كعب القرظي: مرَّ عمر بن الخطاب برجلٍ يقرأ هذه الآية ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ﴾ فأخذ عمر بيده فقال: من أقرأك هذا؟ فقال: أبي بن كعب، فقال: لا تفارقني حتى أذهب بك إليه فلما جاءه قال عمر: أنت أقرأت هذا هذه الآية هكذا؟ قال: نعم. قال: وسمعتها من رسول الله ﷺ؟ قال: نعم، قال: لقد كنت أرى أنا رفعنا رفعة لا يبلغها أحد بعدنا، فقال أُبي: تصديق هذه الآية في أول سورة الجمعة ﴿ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[1]... فيا ويل من أبغضهم أو سبَّهم أو أبغض أو سبَّ بعضهم»[2].

٣- قال الله تعالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴾[3].

قال ابن كثير: «فالصحابة ﷺ خلصت نيَّاتهم وحسنت أعمالهم فكل من نظر إليهم أعجبوه في سمتهم وهديهم، وقال مالك ﷺ: بلغني أن النصارى كانوا إذا رأوا الصحابة الذين فتحوا الشام يقولون: والله لهؤلاء خير من الحواريين فيما

(١) سورة الجمعة الآية «٣».

(٢) تفسير ابن كثير: ٣٩٨/٢، دار المعرفة- بيروت، سنة ١٤١٢هـ .

(٣) سورة الفتح الآية «٢٩».

بلغنا. وصدقوا في ذلك فإن هذه الأمة معظَّمة في الكتب المتقدمة وأعظمها وأفضلها أصحاب رسول الله ﷺ»[١].

أما من السنة فقد وردت روايات كثيرة تبين فضل الصحابة وتثني عليهم، ومن هذه الروايات:

١- روى البخاري بسنده عن النبي ﷺ أنه قال: «خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم...»[٢].

٢- روى مسلم بسنده عن أبي بردة عن أبيه قال: صلينا المغرب مع رسول الله ﷺ ثم قلنا: لو جلسنا حتى نصلي معه العشاء قال: فجلسنا فخرج علينا فقال: ما زلتم ههنا؟ قلنا: يا رسول الله صلينا معك المغرب ثم قلنا نجلس حتى نصلي معك العشاء، قال: أحسنتم أو أصبتم، قال: فرفع رأسه إلى السماء، وكان كثيراً مما يرفع رأسه إلى السماء، فقال النجوم: أمنة للسماء فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد، وأنا أمنة لأصحابي فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمنة لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون[٣].

٣- روى البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: لا تسبُّوا أصحابي، فو الذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحدٍ ذهباً ما بلغ مدَّ أحدهم ولا نصيفه[٤].

فهذه الروايات والنصوص تشهد بأن أصحاب رسول الله ﷺ خير هذه الأمة وأبرها قلوباً، وكل فضيلة اختصت بها هذه الأمة فهم أولى الناس بها ؛ لأنهم كانوا المشافهين بالخطاب والمختصين به، ومَن بعدهم تبع لهم في هذا الأمر.

---

(١) تفسير ابن كثير: ٢١٩/٤.

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الرقاق، باب ما يحذر من زهرة الدنيا، ح(٦٠٦٥).

(٣) رواه مسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب بيان أن بقاء النبي أمان لأصحابه، ح(٢٥٣١).

(٤) أخرجه البخاري: كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ «لو كنت متخذاً خليلاً» ح(٣٤٧٠) ومسلم في صحيحه: كتاب فضائل الصحابة، باب تحريم سب الصحابة، ح(٢٥٤١).

واجب الأمة نحو الصحابة:

وعليه فإن واجبنا تجاه أصحاب رسول الله ﷺ يتمثل بإيجاز في عدة نقاط، لعل من أهمها ما يلي:

١- وجوب حبهم وتقديرهم والثناء عليهم.

٢- وجوب الشهادة الصادقة بأن جيل الصحابة هو خير أجيال هذه الأمة، بل خير أجيال الأرض.

٣- وجوب الاعتقاد بأن فهم الدين بعقلية السلف وبما ورد عن الصحابة هو الأمان للأمة من البدع والضلالات والفتن.

٤- المساهمة قدر الإمكان في التعريف بهم وإحياء سيرتهم ومسيرتهم.

٥- الدفاع عنهم ضد من ينتقصهم أو يحاول النيل منهم، أو التشهير بأحدهم.

٦- غرس محبتهم في نفوس الناشئة حتى يشبوا عليها فلا تهون مكانتهم في قلوبهم.

وهذا غيض من فيض مما يجب علينا تجاه أصحاب النبي ﷺ الذين أخلصوا له الصحبة، وضحوا في سبيل الإسلام بأعز ما يملكون فرضي الله عنهم أجمعين.

محور البحث والدراسة

إن محور هذه الدراسة يدور حول العشرة المبشرين بالجنة، فقد اختار الله تعالى لصحبة رسوله ﷺ خيرة الناس، وخصهم بمزايا عظيمة، وتختلف طبقاتهم وفضلهم بحسب تلك المزايا، وأعظمهم فضلاً ومنزلة العشرة المبشرين بالجنة، والذين كانت تضحياتهم أكبر، واستبسالهم أعظم، ويأتي في طليعة هذا الجيل العظيم، العشرة المبشرون بالجنة، والذين كانت تضحياتهم أكبر، واستبسالهم أعظم، وهؤلاء العشرة هم:

١- أبو بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه.

٢- عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

٣- عثمان بن عفان رضي الله عنه.

٤- علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

٥- أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه.

٦- طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه.

٧- الزبير بن العوام رضي الله عنه.

٨- عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه.

٩ - سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

١٠- سعيد بن زيد رضي الله عنه.

وهؤلاء العشرة قدَّموا صفحات مشرقة في تاريخ الإسلام، وسجَّلوا بإخلاصهم وجهادهم مع رسول الله ﷺ أروع وأجمل ما يمكن أن يقدِّمه مسلم حريص على دينه وأمته.

وعليه فإن مجال بحثنا لن يتعدى هؤلاء العشرة رضي الله عنهم، وسنتحدث عن سيرتهم الطيبة ومسيرتهم الكريمة، وأبرز صفاتهم وخصائصهم وأخلاقهم ومناقبهم، مع إلقاء الضوء على مفتاح كل شخصية من شخصياتهم، ومحور تميُّزها عن غيرها، الأمر الذي أدى إلى أن يبشروا بجنة النعيم بوحيٍ من المولى العظيم لنبيه الكريم.

وبالتالي فإن حديثنا سيكون عن مناط استحقاقهم التبشير بالجنة، ونحن بهذا قد قصدنا الدفاع عن هؤلاء الكرام ضد من ينتقصهم أو أحدهم، وإحياء جانب القدوة والأسوة حتى يتسنى لمن بعدهم أن يتأسى بهم.

حديث العشرة بين القصر والفضل؟:

روى أبو داود بسنده عن عبد الرحمن بن الأخنس: أنه كان في المسجد فذكر رجل علياً عليه السلام فقام سعيد بن زيد فقال: أشهد على رسول الله ﷺ أني سمعته وهو يقول: «عشرة في الجنة، النبي في الجنة، وأبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير بن العوام في الجنة، وسعد بن مالك – المراد به سعد بن أبي وقاص واسم أبي وقاص: مالك – في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة»، ولو شئت لسميت العاشر، قال[1]: فقالوا: مَن هو؟، فسكت، قال: فقالوا: مَن هو؟ فقال: هو سعيد بن زيد»[2].

وروى أحمد والترمذي عن عبد الرحمن بن عوف أنه قال: قال رسول الله ﷺ: أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وسعد في الجنة، وسعيد في الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة[3].

---

(١) أي راوي الحديث عن سعيد بن زيد، وهو هنا عبد الرحمن بن الأخنس.

(٢) سنن أبي داود: كتاب السنة، باب في الخلفاء، ح(٤٦٤٩)، وصحَّحه الألباني، الصحيحة ٤١٩/٣. والترمذي: كتاب المناقب، باب مناقب عبد الرحمن بن عوف، ح(٣٧٤٨). وابن ماجة: فضائل العشرة ﷺ، ح(١٣٣). والنسائي في الكبرى: كتاب المناقب، باب مناقب أبي عبيدة ابن الجراح ﷺ، ح(٨١٩٥). وابن حبان: إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة، ح(٧٠٠٢).

(٣) رواه أحمد في مسنده: ح(١٦٧٥) وقال شعيب: إسناده قوي على شرط مسلم- والترمذي: كتاب المناقب، باب مناقب عبد الرحمن بن عوف،ح(٣٧٤٧). وقال الألباني: صحيح. والنسائي في الكبرى: ح(٨١٩٤) وابن حبان: كتاب إخباره عن مناقب الصحابة، ح(٧٠٠٢) .

وأظهرت الروايات أن هذه البشارة للعشرة تمت فوق جبال مكة في بدء الدعوة، وتحديداً فوق جبل حراء.

فقد أخرج الإمام أحمد بن حنبل بسنده عن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل قال: أشهد أن علياً رضي الله عنه من أهل الجنة، قلت: وما ذاك؟ قال: هو في التسعة، ولو شئت أن أسمي العاشر سميته، قال: اهتز حراء فقال رسول الله ﷺ: «اثبت حراء، فإنه ليس عليك إلا نبي، أو صديق، أو شهيد»[1] قال: رسول الله ﷺ، وأبو بكر، وعمر، وعلي، وعثمان، وطلحة، والزبير، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد، وأنا، يعني سعيداً نفسه[2].

وحول هذه الشهادة ينقل عبد الله بن أحمد بن حنبل عن أبيه، قال: سألت أبي عن الشهادة لأبي بكر وعمر أنهما في الجنة، قال: نعم، واذهب إلى حديث سعيد بن زيد، قال: أشهد أن النبي ﷺ في الجنة، قال: فكذلك أصحاب النبي ﷺ التسعة، وقال النبي ﷺ: «أهل الجنة عشرون ومائة صف، ثمانون منها من أمتي»[3]، فإذا لم يكن أصحاب رسول الله ﷺ منهم، فمَن يكون؟[4].

---

(١) القائل هو: سعيد بن زيد، بدليل قوله بعد ذلك «وأنا»، وفي رواية: أن الراوي عنه عبد الله ابن ظالم سأله :مَن هم؟.

(٢) مسند الإمام أحمد: مسند العشرة المبشرين بالجنة – مسند سعيد بن زيد، ح(١٦٤٥).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده: باقي مسند الأنصار – مسند بريدة الأسلمي، ح(٢٣٣٢٨).
وأخرجه الترمذي: كتاب صفة الجنة– باب ما جاء في صفة أهل الجنة ح(٢٥٤٦)– وأخرجه الدارمي: كتاب الرقاق، باب في صفوف أهل الجنة،ح(٢٨٣٥).

(٤) تاريخ دمشق ٥٨/٢٣ ح(٤٨٨٧)، حرف السين – سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل.

وقد روى غير سعيد بن زيد هذه الشهادة عن النبي ﷺ، ومنهم عثمان ابن عفان[١] وعبد الرحمن بن عوف[٢] وعبد الله بن عباس[٣] وعبد الله بن عمر[٤] وأبو هريرة[٥]، وبريدة الأسلمي[٦]، وغيرهم.

لقد بشروا بالجنة؛ لأنهم من السابقين المهاجرين المجاهدين، شهدوا بدراً، وشهدوا بيعة الرضوان، والمشاهد كلها، وبذلوا الغالي والنفيس؛ الأنفس والمهج، والمال والأهل، والوطن، ابتغاء وجه الله الكريم، وأخلصوا دينهم لله تعالى.

بشروا بالجنة لمنزلتهم عند رسول الله ﷺ، يقول سعيد بن جبير: كان مقام أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وسعيد وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن ابن عوف وسعيد ابن زيد بن عمرو بن نفيل كانوا أمام رسول الله ﷺ في القتال، وخلفه في الصلاة في الصفّ، وليس لأحدٍ من المهاجرين والأنصار يقوم مقام أحدٍ منهم، غاب أم شهد[٧].

وهنا يجب أن نلفت الأنظار إلى شيءٍ في غاية الأهمية ألا وهو:

أن حديث العشرة المبشَّرين بالجنة بمجموع رواياته لا يعني تصريحاً ولا تلميحاً بأن غيرهم لا يدخلون الجنة، إذ ليس فيه حصر ولا قصر.

---

(١) انظر: سنن الترمذي، كتاب المناقب: باب في مناقب عثمان بن عفان رضي الله عنه، ح(٣٦٩٩).

(٢) انظر: تاريخ دمشق ٥٦/٢٣ ح(٤٨٨٣).

(٣) انظر: تاريخ دمشق ٥٦/٢٣ ح(٤٨٨٤).

(٤) انظر: تاريخ دمشق ٥٧/٢٣ ح(٤٨٨٥).

(٥) انظر: صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة – باب من فضائل طلحة والزبير، ح(٢٤١٧).

(٦) انظر: مسند الإمام أحمد: مسند الأنصار – حديث بريدة الأسلمي، ح(٢٣٣٢٤).

(٧) تاريخ دمشق ٥٩/٢٣، حرف السين – سعيد بن زيد عمرو بن نفيل، وانظر: أسد الغابة، ص ٤٤٥ ترجمة رقم ٢٠٧٦ .

فحديث العشرة بجميع رواياته لا يقصر دخول الجنة على هؤلاء العشرة وحدهم دون ما عداهم، إلا أنه يدل على أن من جملة الداخلين في الجنة العشرة الذين ورد ذكرهم إكراماً لهم، ومباركة لسعيهم، ومكافأةً على إخلاصهم لله ورسوله، ويدل عليه أن النبي ﷺ قد شهد بالجنة أيضاً لغيرهم.

فكما شهد رسول الله ﷺ للعشرة بالجنة، فقد شهد لأهل بدر بالجنة ففي الصحيحين[1] عن علي ﷺ في قصة حاطب بن أبي بلتعة ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال فيه: «إنه قد شهد بدراً، وما يدريك، لعل الله أن يكون قد اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم».

وشهد كذلك لأهل بيعة الرضوان بالجنة، كما ثبت الخبر بذلك عن الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾[2]، ففي سنن أبي داود وغيره، عن جابر، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة»[3].

كما جاء لغيرهم التبشير بالجنة مثل جعفر والحسن والحسين والرميصاء امرأة أبي طلحة وبلال وغيرهم كثير.

ففي سنن الترمذي عن حذيفة، عن النبي ﷺ أنه قال: «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة»[4] وفي صحيح ابن حبان عن أبي هريرة قال: قال ﷺ:

---

(١) انظر: صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الجاسوس، ح(٣٠٠٧) – وانظر الأحاديث: ٣٠٨١، ٣٩٨٣، ٤٢٧٤، ٦٢٥٩، ٦٩٣٩، وانظر :صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة – باب من فضائل حاطب بن أبي بلتعة وأهل بدر، ح(٢٤٩٤).

(٢) سورة النجم: الآية «٤».

(٣) رواه أبو داود في سننه: كتاب السنة، باب في الخلفاء، ح(٤٦٥٣). والترمذي في سننه: كتاب المناقب، باب في فضل مَن بايع تحت الشجرة، ح(٣٨٦٠)، وقال: حديث حسن صحيح. وصحَّحه الألباني.

(٤) رواه الترمذي في سننه: كتاب المناقب، باب مناقب الحسن والحسين، ح(٣٧٨١).

«أريت جعفراً ملكاً يطير بجناحيه في الجنة»[١].

وفي صحيح البخاري عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ «رأيتني دخلت الجنة، فإذا أنا بالرميصاء[٢] امرأة أبي طلحة، وسمعت خشفة[٣]، فقلت: مَن هذا؟ فقال: هذا بلال، ورأيت قصراً بفنائه جارية، فقلت: لمن هذا؟ فقالوا: لعمر، فأردت أن أدخله فأنظر إليه، فذكرت غيرتك»، فقال عمر: بأبي وأمي يا رسول الله أعليك أغار؟!»[٤].

ولعلنا في مبرتكم مبرة الآل والأصحاب ننشر بحثاً حول هؤلاء الكرام الذين بُشروا بالجنة من غير العشرة، وعسى أن يكون ذلك قريباً بعون الله وتوفيقه.

إذاً لم الخصوصية؟:

إنه من كمال حكمة الله تعالى أن اختص بعض خلقه بالفضل كما قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[٥]، وهذا الفضل ينقسم إلى قسمين لا ثالث لهما[٦]؛ فضل اختصاص من الله عز وجل بلا عملٍ، وفضل مجازاة من الله تعالى بعمل، فأما فضل الاختصاص دون عمل، فإنه يشترك فيه جميع المخلوقين من الحيوان الناطق والحيوان غير الناطق والجمادات... كفضل الملائكة في ابتداء خلقهم على سائر الخلق،

---

(١) رواه ابن حبان في صحيحه: إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة رجالهم ونسائهم، ح(٧٠٤٧). وصحَّحه الشيخ شعيب.

(٢) وقيل: الغميصاء أم سليم بنت ملحان، أم أنس بن مالك الأنصارية، انظر: الإصابة ص ١٨٠٩ برقم ١٢٧٣٤كنى النساء، حرف السين – أم سليم بنت ملحان.

(٣) الخشف: الحسُّ والحركة. (لسان العرب: ٩/ ٧١).

(٤) رواه البخاري: كتاب فضائل الصحابة، مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ح(٣٤٧٦).

(٥) سورة القصص: الآية «٦٨».

(٦) الفِصل في الملل والأهواء والنحل: ابن حزم ٤/ ٩١، الكلام في وجوه الفضل والمفاضلة بين الصحابة.

وكفضل الأنبياء على سائر الجن والإنس، وكفضل مكة على سائر البلاد وكفضل المدينة بعد مكة على غيرها من البلاد، وكفضل المساجد على سائر البقاع، وكفضل الحجر الأسود على سائر الحجارة، وكفضل شهر رمضان على سائر الشهور، وكفضل يوم الجمعة وعرفة وعاشوراء والعشر على سائر الأيام، وكفضل ليلة القدر على سائر الليالي، وكفضل صلاة الفرض على النافلة، وكفضل صلاة العصر وصلاة الصبح على سائر الصلوات... وكفضل بعض الذِّكر على بعض، فهذا فضل الاختصاص المجرد بلا عمل، فأما فضل المجازاة بالعمل فلا يكون البتة إلا للحي الناطق من الملائكة والإنس والجن فقط، وهذا الفضل يكون بأنواع:

١- الفضل بالكم: أي بكثرة العبادة وكثرة الجهاد وكثرة الإنفاق، ويتفاوت الناس في هذا، كما روي في رجلين أسلما وهاجرا أيام رسول الله ﷺ، ثم استشهد أحدهما، وعاش الآخر بعده سنة، ثم مات على فراشه، فرأى طلحة بن عبيد الله ﷺ أحدهما في النوم – وهو آخرهما موتاً – في أفضل من حال الشهيد، فأصبح طلحة يحدِّث به الناس، فعجبوا لذلك، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، وحدَّثوه الحديث، فقال: «من أي ذلك تعجبون؟» فقالوا: يا رسول الله هذا كان أشد الرجلين اجتهاداً، ثم استشهد، ودخل هذا الآخر الجنة قبله، فقال رسول الله ﷺ: «أليس قد مكث هذا بعده سنة؟» قالوا: بلى، قال: «وأدرك رمضان فصام، وصلَّى كذا وكذا من سجدة في السنة؟» قالوا: بلى، قال رسول الله ﷺ: «فما بينهما أبعد مما بين السماء والأرض»[1]، ففضل أحدهما الآخر بالزيادة التي زادها عليه في عدد أعماله.

٢- الفضل بالنوعية والكيفية: ويكون بالإخلاص والاهتمام، كأن يعمل رجلان، فيكون أحدهما يوفي عمله جميع حقوقه ورتبه، لا منتقصاً ولا متزيداً، ويكون الآخر ربما انتقص بعض رتب ذلك العمل وسننه، وإن لم يعطل منه

(١) انظر: سنن ابن ماجه، كتاب الرؤيا، باب تعبير الرؤيا، ح(٣٩٢٥).

فرضاً، أو يكون أحدهما يصفي عمله من الكبائر، وربما أتى الآخر ببعض الكبائر، ففضله الآخر بكيفية عمله.

٣- الفضل بالزمان: كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾[1]، وعن أنس ﷺ قال: كان بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحمن بن عوف كلام، فقال خالد لعبد الرحمن: تستطيلون علينا بأيام سبقتمونا بها، فبلغنا أن ذلك ذكر للنبي ﷺ فقال: «دعوا لي أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفقتم مثل أحد، أو مثل الجبال ذهباً ما بلغتم أعمالهم»[2].

٤- الفضل بالمكان: ومنه قوله ﷺ «صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة في غيره من المساجد إلا المسجد الحرام»[3].

٥- الفضل بالإضافة: ومنه الصلاة خلف رسول الله ﷺ والجهاد معه ﷺ والدعوة معه ﷺ، فمن شارك في هذه الأمور مؤمناً صادق الإيمان فهو بلا شك أفضل من غيره، ولذلك لما سُئل عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى عن معاوية، فقيل له: هو عندك أفضل، أم عمر بن عبد العزيز؟ فقال: لتراب في منخري معاوية مع رسول الله ﷺ خير أو أفضل من عمر بن عبد العزيز، وسأل رجل المعافى بن عمران[4]: أيهما أفضل معاوية بن أبي سفيان، أو عمر بن عبد العزيز؟

---

(١) سورة الحديد: الآية «١٠».

(٢) مسند الإمام أحمد، ح(١٣٨٤٨)، مسند أنس بن مالك.

(٣) أخرجه الشيخان واللفظ لمسلم، انظر: صحيح البخاري، أبواب التطوع، فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، ح(١١٣٣). وانظر: صحيح مسلم، كتاب الحج، باب فضل الصلاة بمسجدي مكة والمدينة، ح(١٣٩٤)

(٤) المعافى بن عمران بن نفيل بن جابر بن جبلة الامام، شيخ الإسلام، ياقوتة العلماء، أبو مسعود الأزدي الموصلي الحافظ، المتوفى سنة ١٨٥هـ، وقيل: سنة ١٨٦هـ، وقيل: سنة ١٨٤هـ، انظر ترجمته في: السير، ٨٠/٩، برقم ٢٣.

فغضب، وقال: يوم من معاوية أفضل من عمر بن عبد العزيز، ثم التفت إلى الرجل فقال: تجعل رجلاً من أصحاب محمد ﷺ مثل رجل من التابعين[١].

إن أصحاب النبي ﷺ جمعوا هذا الفضل كله، فضل الكم والكيف والزمان والمكان والإضافة، وجمع هذا كله وفاقهم فيه العشرة المبشرون بالجنة رضي الله عنهم أجمعين، فهم السابقون إلى الإسلام، وهم المهاجرون الأولون، وهم الأبطال الفاتحون، والعلماء العاملون، والأتقياء المخلصون، والقادة الربانيون، صحبوا الرسول ﷺ فأخلصوا له الصحبة، وكانت سيرتهم قدوة لمن بعدهم، قادوا جحافل الإسلام علماً وعملاً وسلوكاً، وكان زمانهم أزهى زمان الإسلام، بل إن تبشيره ﷺ العشرة بالجنة هو من دلائل النبوة، حيث بقوا على الإسلام، ولم يرتد أحد منهم بعد النبي ﷺ، وكانوا القادة بعده لباقي الصحابة، فضلاً عن غيرهم في عصرهم وبعده، فهم أفضل قريش، وأفضل السابقين المهاجرين، وأفضل البدريين، وأفضل أصحاب الشجرة، وسادة هذه الأمة في الدنيا والآخرة.

قال أبو بكر بن أبي داود[٢]:

وقل إن خير الناس بعد محمد ... وزيراه قدما ثم عثمان الأرجحُ
ورابعهم خيرُ البرية بعدهم ... علي حليفُ الخير بالخير منجحُ
وإنهم الرهطُ لا ريب فيهمُ ... على نُجب الفردوسِ في الخلد تسرحُ
سعيد وسعد وابن عوف وطلحة ... وعامر فهر والزبير الممدح[٣]

---

(١) انظر: تاريخ دمشق، ٦٢/١٤٢-١٤٣ ح(١٣٥٣٦)، السيرة النبوية: حرف الميم – معاوية ابن أبي سفيان.

(٢) أبو بكر عبد الله بن سليمان بن الأشعث، محدِّث بغداد ابن الإمام أبي داود السجستاني المتوفى سنة ٣١٠هـ، انظر ترجمته في: السير، ١٣/٢٢١، برقم ١١٨.

(٣) انظر: كتاب العلو للعلي الغفار للحافظ الذهبي، ١/٢١٠ حيث نقل القصيدة بسنده إلى ابن أبي داود، وفيه بالبيت الثاني «ممنح» بدل «منجح»، وبالبيت الثالث «بالنور» بدل «في الخلد».

وأنشد الرياشي لرجلٍ من قريش:

أيا سائِلي عَنْ خِيَار العِبِاد صَادَفْتَ ذا العِلْم والخِبْرَه
خِيَارُ العِبَادِ جميعاً قُرِيْشٌ وَخَيْرُ قُرَيْشٍ ذَوو الهجره
وخير ذوي الهجرة السابقون ثمانية وحدهم نصره
علي وعثمان ثم الزبير وطلحة واثنان من زهره
وبران قد جاورا أحمدا وجاور قبرهما قبره
فمن كان بعدهم فاخرا فلا يذكرن بعدهم فخره[1]

كان هذا تمهيداً موجزاً لموضوع بحثنا، وسنستعرض فيما نستقبل من صفحات سيرة ومسيرة العشرة المبشرين بالجنة، أصحاب القلوب التقية والنفوس الزكية والمنازل العلية، الذين بذلوا غوالي المهج، وجادوا بالغالي والنفيس لينشروا كلمة الله في الدنا كلها، وُيسمعوا بها القاصي والداني، حتى أحيوا بها قلوباً غلفاً، وفتحوا بها أعيناً عمياً، وأسمعوا بها آذاناً صماً، فرضي الله عنهم أجمعين.

ونستهلّ حديثنا عن العشرة المبشّرين بالجنة بأوَّلهم وأفضلهم وأقربهم إلى قلب النبي ﷺ ألا وهو الصِّدِّيق أبو بكر ﵁.

(١) تاريخ دمشق: ١٠٧/٢٥.

أول العشرة

أبو بكر الصِّدِّيق ﷺ

الصاحب في الغار والرفيق في الأسفار

إنه الصِّدِّيق أبو بكر ﷺ أفضل الصحابة وأحبهم وأقربهم إلى قلب النبي ﷺ، معدن الهدى والتصديق، الرفيق في الغار والصاحب في الأسفار، سيال العبرات كثير الدمعات، المتصدق في الأسفار وفي الأسحار وفي الخلوات.

أبو بكر الصِّدِّيق ﷺ نفحة طيبة وسيرة عطرة:

اسمه ونسبه ﷺ:

لعل من نافلة القول أن نشير إلى أن أبا بكر ﷺ وإخوانه من العشرة – من ذرية عدنان، وعدنان من ذرية إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، فهو قرشي تيمي، وقد اختلف في اسمه على قولين: عبد الله وعتيق، ولعل الأخير لقبه وليس اسمه.

قال ابن عساكر: «عبد الله ويقال: عتيق بن عثمان بن قحافة بن عامر ابن عمرو بن كعب بن سعيد بن تيم ابن مرة بن كعب بن لؤي»[(١)].

وهو: أبو بكر الصِّدِّيق، واسمه عبد الله بن أبي قحافة واسمه عثمان ابن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة، وقيل: إن اسمه كان عبد الكعبة فسماه الرسول ﷺ عبد الله[(٢)].

ومن خلال ما سبق يتضح لنا أن والد الصديق اسمه: عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة، وكنيته أبو قحافة .

---

(١) تاريخ دمشق: ابن عساكر، ٣/٣٠.

(٢) أسد الغابة: ابن الأثير، ٢٠٥/٣.

وأما أمه فهي: أم الخير، واسمها سلمى بنت صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم بن مُرَّة[١].

وقيل: اسمها ليلى بنت صخر، وذكر ابن الأثير أنها ابنة عم أبي قحافة[٢].

مولده ﷺ:

هناك أكثر من رأي في مولد الصِّدِّيق ﷺ، والراجح أنه ﷺ ولد بعد عام الفيل بثلاث سنوات[٣].

وواضح من تعريف الصِّدِّيق السابق عمق الاتصال النسبي بينه وبين النبي ﷺ، حيث يلتقي مع النبي ﷺ من ناحية أبيه وأمه في جده مُرَّة.

كنيته ﷺ:

وقد اشتهر الصِّدِّيق ﷺ بكنية أبي بكر وصارت ملازمة له، وأضحت عنواناً عليه، وأبو بكر مأخوذة من البكر وهو الفتى من الإبل، وهو بمنزلة الغلام من الناس، والأنثى بكرة[٤] والجمع بكارة وأبكر.

ألقابه ﷺ:

عُرف الصِّدِّيق ﷺ أيضاً ببعض الألقاب التي أُطلقت عليه إما في صغره وحداثة سنه، وإما بعد إسلامه وملازمته للنبي ﷺ، ومن هذه الألقاب:

١- العتيق:

وهو لقب عرف به الصِّدِّيق، وقد ذكر ابن حجر في الفتح بعض الأسباب التي من أجلها أطلق على أبي بكر عتيق، وعدَّ منها: لأنه ليس في نسبه ما يعاب به، أو لقدمه في الخير وسبقه إلى الإسلام، أو لحسنه، أو لأن أمه كان لا يعيش

---

(١) راجع: الطبقات الكبرى: محمد بن سعد، ١٦٩/٣ - طبقات خليفة: خليفة بن خياط، ص٤٨.

(٢) أسد الغابة: ٢٠٥/٣.

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد: ٢٠٢/٣.

(٤) النهاية في غريب الحديث: ابن الأثير، ١٤٩/١ - مختار الصحاح: الرازي، ٣٩.

لها ولد فلما ولد استقبلت به البيت فقالت: اللهم هذا عتيقك من الموت، أو لآن النبي ﷺ بشره بأن الله أعتقه من النار[1].

٢- الصِّدِّيق:

وهذا اللقب هو أشهر ألقاب أبي بكر رضي الله عنه على الإطلاق، وقد اشتهر إضافته إلى كنيته فيقال: أبو بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه.

وقد لُقِّب بالصِّدِّيق رضي الله عنه لكثرة تصديقه للنبي ﷺ، وفي هذا تروي أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، فتقول: لما أسري بالنبي إلى المسجد الأقصى، أصبح يتحدث الناس بذلك، فارتد ناسُ ممن كان آمنوا به وصدَّقوه، وسعى رجال من المشركين إلى أبي بكر، فقالوا: هل لك إلى صاحبك؟ يزعم أنه أسري به الليلة إلى بيت المقدس! قال: أو قال ذلك؟ قالوا: نعم، قال: لئن قال ذلك فقد صدق. قالوا: أو تصدقه أنه ذهب الليلة إلى بيت المقدس، وجاء قبل أن يصبح؟!! قال: نعم، إني لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك، أصدقه بخبر السماء في غدوةٍ أو روحةٍ، فلذلك سمي أبو بكر الصِّدِّيق[2].

٣- الصاحب:

وهو لقب مأخوذ من قول المولى جل وعلا في كتابه الكريم:

﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[3].

---

(١) انظر: فتح الباري لابن حجر العسقلاني: ٧/٧.

(٢) رواه البيهقي في الدلائل: باب الإسراء، ح(٦٥٢)، والحاكم في المستدرك: كتاب معرفة الصحابة، باب أبو بكر الصِّدِّيق، ح(٤٤٠٧). هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وعلق الذهبي في التلخيص وقال: صحيح. وأبو نعيم في معرفة الصحابة: ٨٢/١، ح(٦٢).

(٣) سورة التوبة الآية «٤٠».

وقد أجمع العلماء على أن المقصود بالصاحب في الآية إنما هو أبو بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه.

قال القاري: أجمع المفسرون على أن المراد بصاحبه في الآية يعني قوله تعالى: ﴿ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ ﴾ هو أبو بكر وقد قالوا من أنكر صحبة أبي بكر كفر لأنه أنكر النص الجلي بخلاف صحبة غيره من عمر أو عثمان أو علي رضوان الله عليهم أجمعين[1].

٤- خليفة رسول الله ﷺ:

الخلافة في اللغة: مأخوذة من الفعل خلف، وفي لسان العرب: «استخلف فلاناً من فلان: جعله مكانه، وخلف فلان فلاناً إذا كان خليفته، يقال: خلفه في قومه خلافة، وفي التنزيل العزيز: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾[2] وخلفْتُه أيضاً إذا جئت بعده. استخلفته أنا: جعلته خليفتي، واستخلَفَه: جعله خليفة»[3].والخليفة: من استُخلف مكان مَن قبله، ويقوم مقامه[4].

وهذا اللقب أُطلق على الصِّدِّيق رضي الله عنه بعد وفاة النبي ﷺ.

صفته رضي الله عنه:

بداية: وقبل بيان صفة أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه الخَلقية التي خلقه الله عليها، فلا بد من بيان شيء قبله، وهو أن حديثنا عن هذه المسألة في الصِّدِّيق وغيره من إخوانه من العشرة المبشرين لا يتعدى الناحية الوصفية الواردة في السنن والتواريخ وذلك من باب إعطاء القارئ صورة واضحة عن الشخصية المتحدَّث عنها، وتقريبها إلى ذهنه تقريباً يجعله وكأنه يراها، وليس من باب أن هذه الصفات

---

(١) تحفة الأحوذي: المباركفوري، ١٠/ ١٠٦.

(٢) سورة الأعراف الآية «١٤٢».

(٣) انظر: لسان العرب، ابن منظور، ٩/ ٨٤.

(٤) الخليل بن أحمد: العين، ٤/ ٢٦٨، دار الرشيد - العراق، ط١، سنة ١٩٨١م.

لها دور بذاتها في استحقاق صاحبها أن يكون من العشرة المبشرين بالجنة؛ لأنه كما هو واضح للجميع أن معيار التفاضل في الإسلام إنما هو بالتقوى والإيمان لا بالصور والأشكال، ولا بالأحساب والأنساب. فالله ﷻ لا ينظر إلى الصور وإنما ينظر إلى الأعمال والتقوى.

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم[1].

وعليه فإن أبا بكر رضي الله عنه لم يكن ليتصدر قائمة العشرة لبنيته الجسدية ولا لجمال هيئته، وإنما بإيمانٍ وَقَرَ في قلبه، ويقينٍ استقرَّ في فؤاده، وإخلاصٍ تحكَّم في مسار حياته، وعملٍ صدَّق هذا كله وأظهره.

ونعود إلى حديثنا عن صفة الصِّدِّيق الخَلقية، فقد كان رضي الله عنه رجلاً أبيض نحيفاً خفيف العارضين معروق الوجه قليل اللحم غائر العينين ناتئ الجبهة يخضب بالحناء والكتم[2].

إطلالة على بيته (زوجاته وأولاده) رضي الله عنه:

تزوج أبو بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه من أربع نساء أنجبن له ستة أولاد: ثلاثة من الذكور وثلاث من الإناث وهنّ على التوالي:

١ - قتيلة بنت عبد العزى بن عبد أسعد بن نضر بن مالك: وأنجبت له: عبد الله وأسماء ذات النطاقين.

٢ - أم رومان بنت عامر بن عويمر بن عبد شمس بن عتاب، ويقال: بل هي أم رومان بنت عامر بن عميرة بن ذهل بن دهمان بن الحارث بن غنم بن مالك ابن كنانة، .وأنجبت له عبد الرحمن وعائشة.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب البر والصلة، باب تحريم ظلم المسلم وخذله، ح(٢٥٦٤).

(٢) تاريخ دمشق: ابن عساكر، ١٩/٣٠ وخفيف العارضين: يُراد به خفة شعر عارضيه، وهما صفحتا الخدَّين (لسان العرب:١٨١/٧). ومعروق الوجه: قليل لحم الوجه (مقاييس اللغة: ابن فارس، ٢٨٧/٤) والكتم: هو نبات يُختضب به.(انظر: مقاييس اللغة: ، ١٥٧/٥).

٣- أسماء بنت عميس بن معد بن تيم بن الحارث بن كعب بن مالك بن قحافة، وأنجبت له محمد بن أبي بكر.

٤- حبيبة بنت خارجة بن زيد بن أبي زهير من بني الحارث بن الخزرج: وكانت بها نسأ[١] فلما توفي أبو بكر ولدت بعده، وأنجبت له أم كلثوم بنت أبي بكر[٢].

وننتهي من هذا إلى بيان أن الصِّدِّيق ﷺ كان له أربع زوجات أنجبن له ستة أولاد: ثلاثة من الذكور، وثلاث من النساء.

أبو بكر في الجاهلية:

حظي أبو بكر ﷺ بمكانة عظيمة في الجاهلية وكان معروفاً بالأخلاق الحميدة والشمائل الكريمة، وهذا أمر نلمحه من حديث ابن الدغنة له حينما همَّ بالهجرة إلى الحبشة.

روى البخاري بسنده عن عروة بن الزبير أن عائشة ﷺ قالت: لم أعقل أبوي قط إلا وهما يدينان الدين، ولم يمر علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله ﷺ طرفي النهار بكرة وعشية، فلما ابتلي المسلمون خرج أبو بكر مهاجراً قِبل الحبشة، حتى إذا بلغ برك الغماد[٣] لقيه ابن الدغنة وهو سيد القارة[٤]، فقال: أين تريد يا أبا بكر؟ فقال أبو بكر: أخرجني قومي، فأنا أريد أن أسيح في الأرض فأعبد ربي. **قال ابن الدغنة: إن مثلك لا يخرج ولا يخرج، فإنك تكسب المعدوم وتصل الرحم وتحمل الكل وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق وأنا لك جار فارجع فاعبد ربك ببلادك،** فارتحل ابن الدغنة فرجع مع أبي بكر،

---

(١) النسأ للمرأة حين يتأخر حيضها عن وقته فيرجى حبلها. انظر: الصحاح للجوهري:٧٦/١.

(٢) راجع: الطبقات الكبرى: ١٦٩/٣.

(٣) بَرك الغِماد: موضع وراء مكة بخمس ليالٍ مما يلي البحر. (انظر: معجم البلدان: الحموي، ٣٩٩/١).

(٤) القارَة: قبيلة مشهورة من بني الهُون بن خزيمة بن مدركة، وكانوا حلفاء بني زهرة من قريش، ويضرب بهم المثل في قوة الرمي. (انظر: فتح الباري، ١٨١/٧).

فطاف في أشراف كفار قريش، فقال لهم: إن أبا بكر لا يخرج مثله ولا يُخرج، أتخرجون رجلاً يكسب المعدوم ويصل الرحم ويحمل الكل ويقري الضيف ويعين على نوائب الحق. فأنفذت قريش جوار ابن الدغنة وآمنوا أبا بكر، وقالوا لابن الدغنة: مُر أبا بكرٍ فليعبد ربه في داره فليصل وليقرأ ما شاء ولا يؤذينا بذلك ولا يستعلن به فإنا قد خشينا أن يفتن أبناءنا ونساءنا. فقال ذلك ابن الدغنة لأبي بكر، فطفق أبو بكر يعبد ربه في داره ولا يستعلن بالصلاة ولا القراءة في غير داره، ثم بدا لأبي بكر فابتنى مسجداً بفناء داره وبرز، فكان يصلي فيه ويقرأ القرآن، فيتقصف عليه نساء المشركين وأبناؤهم يعجبون وينظرون إليه، وكان أبو بكر رجلاً بكاءً لا يملك دمعه حين يقرأ القرآن، فأفزع ذلك أشراف قريش من المشركين، فأرسلوا إلى ابن الدغنة فقدِم عليهم، فقالوا له: إنا كنا أجرنا أبا بكر على أن يعبد ربه في داره وإنه جاوز ذلك فابتنى مسجداً بفناء داره وأعلن الصلاة والقراءة وقد خشينا أن يفتن أبناءنا ونساءنا فأته فإن أحبَّ أن يقتصر على أن يعبد ربه في داره فعل، وإن أبى إلا أن يعلن ذلك، فسله أن يرد إليك ذمتك فإنا كرهنا أن نخفرك ولسنا مقرِّين لأبي بكر الاستعلان. قالت عائشة: فأتى ابن الدغنة أبا بكر فقال: قد علمت الذي عقدت لك عليه، فإما أن تقتصر على ذلك، وإما أن تردَّ إليَّ ذمتي، فإني لا أحب أن تسمع العرب أني أخفرت في رجلٍ عقدت له. قال أبو بكر: إني أردُّ لك جوارك وأرضى جوار الله[1].

فتأمل معي قول ابن الدغنة، وانظر كيف يصف الصِّدِّيق ﷺ، إن الرجل مشرك ومع ذلك يعرف للصديق فضله ويقرُّ له بمكانته وسمو أخلاقه، والعجيب أن هذه الصفات التي وصفه بها ابن الدغنة تكاد تكون هي نفس الصفات التي وصفت بها السيدة خديجة رسول الله ﷺ يوم أن جاءها فزعاً من غار حراء في بدء نزول الوحي عليه، مما يشعر بأن الصِّدِّيق إنما هو مهيأ ومُعدّ لصحبة رسول الله ﷺ.

---

(١) رواه البخاري: كتاب الكفالة، باب جوار أبي بكر في عهد النبي، ح(٢١٧٥).

فقد روى مسلم في صحيحه بسنده في باب بدء الوحي عن عروة بن الزبير عن عائشة زوج النبي ﷺ وفيه: ... فرجع بها رسول الله ﷺ ترجف بوادره حتى دخل على خديجة فقال: زمِّلوني زمِّلوني فزملوه حتى ذهب عنه الروع، ثم قال لخديجة: أي خديجة ما لي وأخبرها الخبر قال لقد خشيت على نفسي، قالت له خديجة: كلا أبشر فوالله لا يخزيك الله أبدا والله إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق[١].

قال النووي: وكان- أي الصِّدِّيق- من رؤساء قريش في الجاهلية وأهل مشاورتهم ومحبباً فيهم وأعلم لعالمهم، فلما جاء الإسلام آثره على ما سواه ودخل فيه أكمل دخول[٢].

قال السيوطي: وكان منشؤه - أي أبو بكر- بمكة لا يخرج منها إلا لتجارة، وكان ذا مال جزيل في قومه، ومرؤة تامة وإحسان وتفضل فيهم[٣].

وروى ابن عساكر بسنده عن عائشة رضي الله عنها قالت: والله ما قال أبو بكر شعراً في الجاهلية ولا في الإسلام، ولقد ترك هو وعثمان شرب الخمر في الجاهلية[٤].

وأخرج ابن عساكر عن معروف بن خربوذ قال: إن أبا بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه أحد عشر من قريش اتَّصل بهم شرف الجاهلية والإسلام، فكان إليه أمر الديات والمغرم[٥].

---

(١) رواه البخاري: كتاب الوحي، باب بدء الوحي، ح(٣) ومسلم: كتاب الإيمان، باب بدء الوحي، ح(٢٥٢).

(٢) تاريخ الخلفاء: السيوطي، ٣٤.

(٣) تاريخ الخلفاء: السيوطي، ٣٤.

(٤) تاريخ دمشق: ٣٣٤/٣٠.

(٥) تاريخ دمشق: ١١٧/٢٤ بتصرف.

الصِّدِّيق ﷺ في ركب الإيمان:

أدرك الصِّدِّيق ﷺ قافلة الإسلام مبكراً، وكان إسلامه وليد رحلةٍ إيمانيةٍ طويلةٍ من البحث عن الدين الحق الذي ينسجم مع الفِطر السليمة ويلبي رغباتها، ويتفق مع العقول الراجحة، والبصائر النافذة، فقد كان بحكم عمله التجاري كثير الأسفار، قَطَعَ الفيافي والصحاري، والمدن والقرى في الجزيرة العربية وتنقَّل من شمالها إلى جنوبها، وشرقها إلى غربها، واتصل اتصالاً وثيقاً، بأصحاب الديانات المختلفة وبخاصة النصرانية، وكان كثير الإنصات لكلمات النفر الذين حملوا راية التوحيد، راية البحث عن الدين القويم[1].

إن المتطلع لطبيعة شخصية أبي بكر سيجد أنها طبيعة دينية، فالرجل لم يمل قلبه إلى أحجار الجاهلية وأصنامها، ولم تستهوه يوماً أو تطلبها نفسه، ولم يُعرف عنه أنه سجد يوماً لصنمٍ، ويحدثنا الصِّدِّيق بنفسه عن نفسه فيقول: ما سجدت لصنم قط، وذلك أني لما ناهزت الحلم أخذني أبو قحافة بيدي فانطلق بي إلى مخدع فيه الأصنام، فقال لي: هذه آلهتك الشّمُ العوالي، وخلاني وذهب، فدنوت من الصنم وقلت: إني جائع فأطعمني فلم يُجبني فقلت: إني عار فأكسني، فلم يجبني، فألقيت عليه صخرة فخرَّ لوجهه[2].

ولم يشرب الخمر قط حتى في الجاهلية مع أنها كانت عادة شائعة بينهم، وقلَّ ما تجد من يتركها منهم.

عن أبي العالية الرياحي قال: قيل لأبي بكر الصِّدِّيق في مجمع من أصحاب رسول الله ﷺ: هل شربت الخمر في الجاهلية؟ فقال: أعوذ بالله فقيل: ولم؟ قال: كنت أصون عرضي وأحفظ مروءتي؛ فإن من شرب الخمر كان مضيّعاً

---

(١) الصلابي: أبو بكر شخصيته وعصره، ص٣٠.

(٢) المصدر السابق: ص٢٨.

في عرضه ومروءته. قال: فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: صدق أبو بكر صدق أبو بكر، مرتين[١].

ويضاف إلى ذلك أن الصِّدِّيق أبا بكر ﷺ ما كان يعجبه ما عليه قومه، ويتطلع دائماً إلى الدين الحق، الذي يأوي في ظله، الأمر الذي جعله دائماً باحثاً عن الحقيقة، منقِّباً عنها عند من يظن فيهم الخير، أو يأنس منهم الرشد.

ويحدثنا أبو بكر بنفسه عن هذا الأمر ويقول: كنت جالساً بفناء الكعبة وكان زيد ابن عمرو بن نفيل قاعداً فمرَّ به أمية بن الصلت، فقال: كيف أصبحت يا باغي الخير؟ قال: بخير، قال: وجدت؟ قال: لا، ولم آل من طلب، فقال: كل دين يوم القيامة إلا ما قضى الله والحنيفة بور! أما إن هذا النبي الذي يُنتظر منا أو منكم أو من أهل فلسطين، ولم أكن سمعت قبل ذلك بنبي ينتظر ولا يبعث، قال: فخرجت أريد ورقة بن نوفل وكان كثير النظر إلى السماء، كثير همهمة الصدر، فاستوقفته ثم اقتصصت عليه الحديث، فقال: نعم يا ابن أخي! أبى أهل الكتب والعلماء إلا أن هذا النبي الذي ينتظر من أوسط العرب نسباً ولي علم بالنسب، وقومك أوسط العرب نسباً، قال: قلت: يا عم! وما يقول النبي؟ قال: يقول ما قيل له إلا أنه لا ظلم ولا تظالم، فلما بعث رسول الله ﷺ آمنت وصدقت[٢].

أما عن قصة إسلام الصديق ﷺ وما دار فيها فلم يتحدث عنها كثير من العلماء واكتفوا بالإشارة إلى أنه لم يتردد في قبول الإسلام، ولكن هناك بعض الروايات التي تشير إلى قصة إسلامه منها ما يلي:

أورد البلاذري روايةً عن إسلام أبي بكر برواية أبو بكر نفسه يقول فيها: خرجت أريد النبي ﷺ فابتدأت فذكرت موضعه من قومه وما نشأ عليه وقلت: هذا أمر عظيم لا يقارك قومك عليه، قال: يا أبا بكر ألا أذكر شيئاً إن رضيته

(١) تاريخ دمشق: ٣٣٣/٣٠ – وأبو نعيم في معرفة الصحابة: ١٢٦/١، ح(١٠٣).

(٢) تاريخ دمشق: ٣٥/٣٠ – أسد الغابة: ٢٠٧/٣.

قلته وإن كرهته كتمته، قلت: هذا أدنى مالك عندي، فقرأ عليٌّ قرآنا وحدثني ببداء أمره فقلت: أشهد أنك صادق، وأن ما دعوت إليه حق وأن هذا كلام الله، وسمعتني خديجة فخرجت وعليها خمار أحمر فقالت: الحمد لله الذي هداك يا ابن أبي قحافة، فما رمت مكاني حتى أمسيت[(١)].

ويشهد لذلك ما ذكره النبي ﷺ حين قال: «ما دعوت أحداً إلى الإسلام إلا كانت عنده كبوة وتردد ونظر إلا أبا بكرٍ ما عتم منه حين ذكرته وما تردد فيه»[(٢)].

أبو بكر في الريادة دائماً:

من يتتبع أقوال العلماء والمؤرخين في إسلام أبي بكر ﷺ يجدهم يكادون يتفقون على أمرٍ وهو: أن أبا بكر كان في طليعة المسلمين الذين آمنوا بالإسلام، وبعبارة أخرى: كان من أول من أسلم، إلا أنهم حين يفصِّلون الأمر ويحاولون أن يحددوا أول شخصية أسلمت وآمنت نجدهم يختلفون اختلافاً ليس بالكبير.

ولن نحاول هنا التعرُّض لهذه الأقوال جميعاً، ولكن يكفينا أن نذكر بعضها.

يرى جمع كبير من العلماء أن الصِّدِّيق أبا بكر كان أول الناس إسلاماً.

١- فقد ذكر ابن سعد في الطبقات عدة روايات تفيد بأن أول الناس إسلاماً كان أبو بكر الصِّدِّيق.

ومنها ما رواه بسنده عن أبي أروى الدوسي قالوا: أول من أسلم أبو بكر الصِّدِّيق.

---

(١) أنساب الأشراف: البلاذري، ٣/ ٣٤٤.

(٢) دلائل النبوة: البيهقي، ٣٤/٢، ح(٤٦٩) تاريخ الإسلام للذهبي: ١٣٦/١.

وعن أسماء بنت أبي بكر قالت: أسلم أبي أول المسلمين ولا والله ما عقلت أبي إلا وهو يدين الدين[١].

وفي صحيح مسلم عن عمرو بن عبسة السلمي قال: كنت وأنا في الجاهلية أظن أن الناس على ضلالة وأنهم ليسوا على شئ وهم يعبدون الأوثان، فسمعت برجلٍ بمكة يخبر أخباراً، فقعدت على راحلتي، فقدمت حتى دخلت عليه، فإذا رسول الله ﷺ مستخفياً جرءاء عليه قومه، فتلطفت حتى دخلت عليه بمكة فقلت له: ما أنت؟ قال: أنا نبي، فقلت: وما نبي؟ قال: أرسلني الله، فقلت: وبأي شئ أرسلك؟ قال: أرسلني بصلة الأرحام وكسر الأوثان وأن يوحد الله لا يشرك به شئ، قلت له: فمن معك على هذا؟ قال: حر وعبد «قال: ومعه يومئذ أبو بكر وبلال ممن آمن به».....[٢].

فهذا النص الصحيح يوضح بجلاء أسبقية الصِّدِّيق في الإسلام، نعم النص ذكر أنه كان مع الصِّدِّيق بلال بن رباح ولم يحدد أيهما كان أسبق، إلا أنه بالجمع بينه وبين النصوص التي صرحت بأن الصِّدِّيق أول الناس إسلاماً يمكننا معه أن نجعل بلالاً في المرتبة الثانية بعد الصِّدِّيق رضي الله عنهما.

وقال ابن كثير معلقاً على رواية أبي الدرداء في البخاري فيما كان بين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وفيه: فقال رسول الله ﷺ: «إن الله بعثني إليكم فقلتم: كذبت، وقال أبو بكر: صدق. وواساني بنفسه وماله فهل أنتم تاركوا لي صاحبي» مرتين. فما أوذي بعدها[٣]. قال ابن كثير: وهذا كالنص على أنه أول من أسلم رضي الله عنه[٤].

---

(١) الطبقات الكبرى: ٣/ ١٧٠-١٧١.

(٢) صحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين، باب إسلام عمرو بن عبسة، ح(١٩٦٧).

(٣) رواه البخاري: كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي لو كنت متخذاً خليلاً، ح(٣٤٦١).

(٤) السيرة النبوية: ابن كثير، ١/ ٤٣٤.

وقد روى الترمذي وابن حبان عن أبي سعيد الخدري قال: قال أبو بكر الصِّدِّيق ﷺ: ألست أحق الناس بها، ألست أول من أسلم، ألست صاحب كذا؟[١].

ولا يقدح في أولية إسلام أبي بكر ما روي من أن أول الناس إسلاماً كان علي بن أبي طالب، أو زيد بن حارثة. من نحو ما ذكره ابن إسحاق:

قال ابن إسحاق: ثم كان أول ذكر من الناس آمن برسول الله ﷺ، وصلى معه، وصدق بما جاءه من الله تعالى، علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم، رضوان الله وسلامه عليه، وهو يومئذ ابن عشر سنين. وكان مما أنعم الله «به»على علي بن أبي طالب ﷺ أنه كان في حجر رسول الله ﷺ قبل الإسلام[٢].

وقال ابن إسحاق أول ذكر أسلم بعد النبي ﷺ، علي وزيد بن حارثة، ثم أسلم أبو بكر وأظهر إسلامه[٣].

وقد حاول بعض العلماء الجمع بين هذه النصوص بما لا يخرجها عن معناها، ولا يقدح في أحدٍ من أولئك السابقين الأبرار.

يقول الإمام ابن كثير: وأما علي ﷺ فإنه أسلم قديماً وهو دون البلوغ على المشهور، ويقال: إنه أول من أسلم من الغلمان، كما أن خديجة أول من أسلم من النساء، وأبو بكر الصِّدِّيق أول من أسلم من الرجال الأحرار، وزيد بن حارثة أول من أسلم من الموالي[٤].

---

(١) رواه الترمذي: كتاب المناقب، باب في مناقب أبي بكر وعمر، ح(٣٦٦٧) وعلق الألباني: صحيح. - ورواه ابن حبان: ذكر البيان بأن أبا بكر الصِّدِّيق ﷺ أول من أسلم من الرجال، ح(٦٨٦٣) وعلق شعيب الأرنؤوط: رجاله ثقات.

(٢) السيرة النبوية: ابن هشام الحميري، ١٦٢/١.

(٣) الكامل في التاريخ: ابن الأثير، ٥٩/٢.

(٤) البداية والنهاية: ابن كثير، ٣٦٩/٧ بتصرف.

ولما أسلم أبو بكر الصِّدِّيق فرح النبي ﷺ فرحاً شديداً وعمَّ السرور قلبه، حيث تقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: فلما فرغ من كلامه - أي النبي - أسلم أبو بكر فانطلق رسول الله ﷺ من عنده، ومابين الأخشبين أحد أكثر سروراً منه بإسلام أبي بكر(١).

أبو بكر: فاعلية وإيجابية: «حب الخير للغير»:

الناس في الهداية أصناف، فهناك صنف لا يقبل الهداية أصلاً، وهناك صنف ثانٍ يقبلها بعد لأيٍ ومشقةٍ، وهناك صنف ثالث يقبلها بعد تردد ونظر يسيرين، وهناك صنف رابع يقبلها بمجرد أن تعرض عليه، وهذا الصنف قليل في دنيا الناس ومنه قطعاً الصِّدِّيق أبو بكر، ومع ذلك نجده يتفوق على صنفه ولا يكتفي بهداية نفسه، وإنما يبدأ مرحلة الدعوة إلى دين الله لهداية القلوب إليه.

وتقص علينا السيدة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها فصلاً من فصول قصة إسلام أبيها أبي بكر الصِّدِّيق، يظهر منه مدى حرصه على إسلام غيره، فتقول:

خرج أبو بكر يريد رسول الله ﷺ وكان له صديقاً في الجاهلية، فلقيه فقال: يا أبا القاسم فُقدت من مجالس قومك واتهموك بالعيب لآبائها وأمهاتها. فقال رسول الله ﷺ: «إني رسول الله أدعوك إلى الله».

فلما فرغ كلامه أسلم أبو بكر فانطلق عنه رسول الله ﷺ وما بين الأخشبين أحد أكثر سروراً منه بإسلام أبي بكر، ومضى أبو بكر فراح لعثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص فأسلموا، ثم جاء الغد بعثمان بن مظعون وأبي عبيدة بن الجراح وعبد الرحمن ابن عوف وأبي سلمة بن عبد الأسد والأرقم بن أبي الأرقم فأسلموا رضي الله عنهم(٢).

---

(١) تاريخ دمشق: ٤٩/٣٠.

(٢) البداية والنهاية: ابن كثير، ٤٠/٣ – ٤١.

وقد أسلم عن طريق أبي بكر وبدعوة منه جمع من كبار الصحابة، مرَّ ذكر بعض منهم مثل: عثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص وعثمان بن مظعون وأبو عبيدة بن الجراح وعبد الرحمن بن عوف وأبو سلمة بن عبد الأسد والأرقم بن أبي الأرقم.

يقول ابن الأثير: ثم أسلم أبو بكر وأظهر إسلامه، وكان مانعاً لقومه محبباً فيهم، وكان أعلم بأنساب قريش وما كان فيها، وكان تاجراً يجتمع إليه قومه، فجعل يدعوا من يثق به من قومه، فأسلم على يده عثمان بن عفان والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وطلحة ابن عبيد الله، فجاء بهم إلى النبي ﷺ حين استجأبوا له، فأسلموا وصلوا، وكان هؤلاء النفر هم الذين سبقوا إلى الإسلام، ثم تتابع الناس في الإسلام حتى فشا ذكر الإسلام بمكة وتحدَّث به الناس[1].

وهنا يظهر لنا معلم هام من معالم شخصية أبي بكر ألا وهو حب الخير للغير، فبمجرد أن عُرض عليه الإسلام وأدرك أنه هو الخير أسلم مباشرة، ثم دفعه حب الخير لغيره أن ذهب يبحث عن أصدقائه ليدعوهم إلى هذا الخير، ويساهم في هدايتهم وإخراجهم من الظلمات إلى النور، ومن عبادة الأوثان إلى عبادة الواحد الديان.

وللصبر رجال:

إن طريق الدعوة إلى دين الله محفوف بالصعوبات مترع بالعقبات، ودأب المصلحين وديدنهم هو التعرض للأذى والصبر على عنت أقوامهم واضطهادهم، ولم يكن الصِّدِّيق من ذلك ببعيد.

روى ابن كثير بسنده عن عائشة قالت: لما اجتمع أصحاب النبي ﷺ وكانوا ثمانية وثلاثين رجلاً ألحَّ أبو بكر على رسول الله ﷺ في الظهور فقال: «يا أبا بكر إنا قليل» فلم يزل أبو بكر يلحُّ حتى ظهر رسول الله ﷺ وتفرق

---

(١) الكامل في التاريخ: ابن الأثير، ٢/٥٩. وانظر: تاريخ الطبري: ٢/٦١.

المسلمون في نواحي المسجد كل رجل في عشيرته، وقام أبو بكر في الناس خطيباً ورسول الله ﷺ جالس فكان أول خطيب دعا إلى الله وإلى رسوله ﷺ، وثار المشركون على أبي بكر وعلى المسلمين، فضربوا في نواحي المسجد ضرباً شديداً ووطئ أبو بكر وضرب ضرباً شديداً، ودنا منه الفاسق عتبة بن ربيعة فجعل يضربه بنعلين مخصوفتين ويحرفهما لوجهه، ونزا[1] على بطن أبي بكر حتى ما يعرف وجهه من أنفه، وجاء بنو تيم يتعادون، فأجلت المشركين عن أبي بكر وحملت بنو تيم أبا بكر في ثوب حتى أدخلوه منزله ولا يشكون في موته، ثم رجعت بنو تيم فدخلوا المسجد، وقالوا: والله لئن مات أبو بكر لنقتلن عتبة بن ربيعة، فرجعوا إلى أبي بكر، فجعل أبو قحافة وبنو تيم يكلمون أبا بكر حتى أجاب. فتكلم آخر النهار فقال: ما فعل رسول الله ﷺ؟ فمسوا منه بألسنتهم وعذلوه، ثم قاموا وقالوا لأمه أم الخير: أنظري أن تطعميه شيئاً أو تسقيه إياه، فلما خلت به ألحت عليه وجعل يقول: ما فعل رسول الله ﷺ؟ فقالت: والله مالي علم بصاحبك، فقال: اذهبي إلى أم جميل بنت الخطاب فاسأليها عنه، فخرجت حتى جاءت أم جميل فقالت: إن أبا بكر يسألك عن محمد بن عبد الله؟ فقالت: ما أعرف أبا بكر ولا محمد بن عبد الله وإن كنت تحبين أن أذهب معك إلى ابنك قالت: نعم، فمضت معها حتى وجدت أبا بكر صريعاً دنفاً[2]، فدنت أم جميل وأعلنت بالصياح وقالت: والله إن قوماً نالوا هذا منك لأهل فسق وكفر، وإني لأرجو أن ينتقم الله لك منهم، قال: فما فعل رسول الله ﷺ؟ قالت: هذه أمك تسمع، قال: فلا شئ عليك منها، قالت: سالم صالح، قال: أين هو؟ قالت: في دار ابن الأرقم، قال: فإن لله عليَّ أن لا أذوق طعاماً ولا أشرب شراباً أو آتي رسول الله ﷺ، فأمهلتا حتى إذا هدأت الرِّجل وسكن الناس، خرجتا به يتكئ عليهما حتى أدخلتاه على

---

(١) معنى نزا: أي وقع على بطنه ووطأها. (انظر: النهاية في غريب الحديث، ٥/٤٤).

(٢) الدنف: المرض الملازم، انظر: الصحاح للجوهري، ٤/١٣٦٠.

رسول الله ﷺ، قال: فأكبَّ عليه رسول الله ﷺ فقبَّله وأكبَّ عليه المسلمون، ورقَّ له رسول الله ﷺ رقة شديدة. فقال أبو بكر: بأبي وأمي يا رسول الله ليس بي بأس إلا ما نال الفاسق من وجهي، وهذه أمي برة بولدها، وأنت مبارك فادعها إلى الله وادع الله لها عسى الله أن يستنقذها بك من النار. قال: فدعا لها رسول الله ﷺ ودعاها إلى الله فأسلمت، وأقاموا مع رسول الله ﷺ في الدار شهراً وهم تسعة وثلاثون رجلاً[1].

هذه الرواية توضح لنا إلى أي مدى وصل القوم في اضطهادهم لرسول الله وصاحبه، كما أنها تكشف بجلاء عن هذا الحب العميق من الصِّدِّيق رضي الله عنه للنبي ﷺ، لدرجة أنه ما اهتم بنفسه، وما شغل بمصابه وكان شغله الشاغل أن يطمئن على رسول الله ﷺ، فأي حب هذا؟ وأي مودة تلك؟.

أبو بكر: الرفيق في الغار والصاحب في الهجرة والأسفار:

كانت هجرة الصِّدِّيق أبي بكر رضي الله عنه مع النبي ﷺ مرافقاً له ومصاحباً إياه إحدى ثمرات إخلاص الصِّدِّيق في دينه، هذا الإخلاص الذي ملك عليه زمام حياته التي عاشها منذ أن أسلم للإسلام وبالإسلام.

ولعل من نافلة القول هنا: أن نذكر أن ملازمة الصِّدِّيق للنبي ﷺ في الهجرة ومرافقته له في الغار لهي من أعظم مناقب الصِّدِّيق وفضائله، وأعظم دلالة على حب المولى له، حيث اختاره لمرافقة نبيه في هذه الرحلة الفاصلة والحدث العظيم، كما أنها في الوقت ذاته دليل على حب النبي ﷺ للصديق، وحب الصِّدِّيق له، الأمر الذي نلمحه في أحداث الهجرة.

ويروي الإمام البخاري أحداث هجرة الصِّدِّيق مع النبي ﷺ، فيقول في حديث طويل رواه عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ وفيه: ... فقال النبي ﷺ للمسلمين: «إني أُريت دار هجرتكم ذات نخلٍ بين لابتين». وهما الحرتان، فهاجر من هاجر قبل المدينة، ورجع عامة من كان هاجر بأرض

---

(١) البداية والنهاية: ابن كثير، ٣/ ٤١ – معرفة الصحابة لأبي نعيم: ١٥٣/٢٤، ح(٧٢٧٤).

الحبشة إلى المدينة، وتجهز أبو بكر قبل المدينة، فقال له رسول الله ﷺ: «على رسلك فإني أرجو أن يؤذن لي». فقال أبو بكر: وهل ترجو ذلك بأبي أنت؟ قال: «نعم». فحبس أبو بكر نفسه على رسول الله ﷺ ليصحبه وعلف راحلتين كانتا عنده ورق السمر، وهو الخبط، أربعة أشهر.

قال ابن شهاب قال عروة: قالت عائشة: فبينما نحن يوماً جلوس في بيت أبي بكر في نحر الظهيرة قال قائل لأبي بكر: هذا رسول الله ﷺ متقنعا في ساعة لم يكن يأتينا فيها، فقال أبو بكر: فداء له أبي وأمي والله ما جاء به في هذه الساعة إلا أمر. قالت فجاء رسول الله ﷺ فاستأذن فأذن له فدخل فقال النبي ﷺ لأبي بكر: «أَخرِج مَن عندك». فقال أبو بكر: إنما هم أهلك بأبي أنت يا رسول الله قال: «فإني قد أذن لي في الخروج». فقال أبو بكر: الصحابة بأبي أنت يا رسول الله؟ قال رسول الله ﷺ «نعم»، قال أبو بكر: فخذ - بأبي أنت يا رسول الله - إحدى راحلتيَّ هاتين، قال رسول الله ﷺ: «بالثمن»، قالت عائشة: فجهَّزناهما أحثَّ الجهاز[1] وصنعنا لهما سفرة في جراب فقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها فربطت به على فم الجراب، فبذلك سميت ذات النطاقين، قالت: ثم لحق رسول الله ﷺ وأبو بكر بغار في جبل ثور فكمنا فيه ثلاث ليال يبيت عندهما عبد الله بن أبي بكر وهو غلام شاب ثقف لقن[2] فيدلج من عندهما بسحر فيصبح مع قريش بمكة كبائت فلا يسمع أمرا يكتادان به إلا وعاه حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام ويرعى عليهما عامر بن فهيرة مولى أبي بكر منحة من غنم فيريحها عليهما حين تذهب ساعة من العشاء فيبيتان في رسل وهو لبن منحتهما ورضيفهما حتى ينعق بها عامر ابن فهيرة بغلس يفعل ذلك في كل ليلة من تلك الليالي الثلاث، واستأجر رسول الله ﷺ وأبو بكر رجلاً من بني الديل وهو من بني عبد بن عدي هادياً

---

(١) أحثّ الجهاز: أي أكمله وأفضله.

(٢) ثقف: حاذق. انظر: الصحاح(٧٢/١). ولقن: أي سريع الفهم. انظر: الصحاح(١٤٦/٢).

خريتاً، والخريت الماهر بالهداية، قد غمس حلفا في آل العاص بن وائل السهمي وهو على دين كفار قريش فأمناه فدفعا إليه راحلتيهما وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال فأتاهما براحلتيهما صبح ثلاث وانطلق معهما عامر بن فهيرة والدليل فأخذ بهم طريق السواحل..[(١)].

ويروي أبو بكر الصِّدِّيق ﷺ بعض ما دار في الغار بينه وبين النبي ﷺ حيث يقول فيما رواه عنه أنس: كنت مع النبي ﷺ في الغار فرأيت آثار المشركين قلت يا رسول الله: لو أن أحدهم رفع قدمه رآنا قال: «ما ظنك باثنين الله ثالثهما»[(٢)].

ويكفي الصِّدِّيق شرفاً أن المولى ذكر هذا في كتابه الكريم قرآنا يتلى إلى يوم القيامة فقال عز من قائل: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾[(٣)].

الصِّدِّيق ﷺ في موكب الخلافة:

إنه من المقرر لدى جمهور أهل السنة والجماعة أن النبي ﷺ لحق بربه ولم ينص على أحدٍ بعينه خليفة من بعده، وإن كان هناك من قال: إن النبي ﷺ قد أشار إلى خلافة الصِّدِّيق في مواضع منها: قول النبي ﷺ لامرأة كلمته في بعض أمرها إن لم تجديني فأتي أبا بكر.

روى البخاري بسنده عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال: أتت النبي ﷺ امرأة فكلمته في شيء، فأمرها أن ترجع إليه، قالت: يا رسول الله،

---

(١) رواه البخاري: كتاب فضائل الصحابة، باب هجرة النبي وأصحابه إلى المدينة، ح(٣٦٩٢).

(٢) رواه البخاري: كتاب التفسير، باب سورة براءة، ح(٤٣٨٦).

(٣) سورة التوبة الآية «٤٠».

أرأيت إن جئت ولم أجدك؟ كأنها تريد الموت، قال:«إن لم تجديني فأتي أبا بكر»[1].

ومنها: قول النبي ﷺ في مرضه الذي توفي فيه: مروا أبا بكر فليصلي بالناس.

ونصُّ الرواية كما في مسلم عن عائشة قالت: لما ثقل رسول الله ﷺ جاء بلال يؤذنه بالصلاة، فقال: مرو أبا بكر فليصل بالناس قالت: فقلت يا رسول الله: إن أبا بكر رجل أسيف[2] وإنه متى يقم مقامك لا يسمع الناس، فلو أمرت عمر، فقال: مروا أبا بكر فليصل بالناس، قالت: فقلت لحفصة: قولي له: إن أبا بكر رجل أسيف وإنه متى يقم مقامك لا يسمع الناس فلو أمرت عمر، فقالت له، فقال رسول الله ﷺ: إنكن لأنتن صواحب يوسف مروا أبا بكر فليصل بالناس، قالت: فأمروا أبا بكر يصلي بالناس، قالت: فلما دخل في الصلاة وجد رسول الله ﷺ من نفسه خفة فقام يهادي بين رجلين ورجلاه تخطان في الأرض، قالت: فلما دخل المسجد سمع أبو بكر حسه ذهب يتأخر، فأومأ إليه رسول الله ﷺ قم مكانك، فجاء رسول الله ﷺ حتى جلس عن يسار أبي بكر، قالت: فكان رسول الله ﷺ يصلي بالناس جالساً وأبو بكر قائماً يقتدي أبو بكر بصلاة النبي ﷺ ويقتدي الناس بصلاة أبي بكر[3].

ومنها: أمر النبي قبيل وفاته بسدِّ جميع الأبواب في المسجد إلا باب أبي بكر.

روى البخاري بسنده عن أبي سعيد الخدري قال: خطب رسول الله ﷺ بالناس فقال: إن الله خيَّر عبداً بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عند الله. فبكى أبو بكر رضي الله عنه، فقلت في نفسي: ما يبكي هذا الشيخ؟ إن يكن الله خيَّر

---

(١) رواه البخاري: كتاب الفتن، باب الاستخلاف، ح(٦٧٩٤).

(٢) الأسيف: السريع الحُزن والرقيق القلب. (انظر: تاج العروس للزبيدي، ١٢/٨٢).

(٣) رواه مسلم: كتاب الصلاة، باب استخلاف الإمام إذا عرض له عذر، ح(٤١٨).

عبداً بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عند الله، فكان رسول الله ﷺ هو العبد، وكان أبو بكر أعلمنا. قال: «يا أبا بكر، لا تبك، إن أمنّ الناس عليَّ في صحبته وماله أبي بكر، ولو كنت متخذاً خليلاً من أمتي لاتخذت أبا بكر ولكن أخوة الإسلام ومودته، لا يبقين في المسجد باب إلا سُدَّ إلا باب أبي بكر»[1].

وروى البخاري بسنده عن ابن عباس: أن رسول الله ﷺ قال وهو على المنبر في مرضه الذي توفي فيه:«لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكن خلة الإسلام أفضل، سدُّوا علي كل خوخةٍ غير خوخة أبي بكر»[2].

وأخرج الحاكم وصحَّحه عن أنس ﷺ قال: بعثني بنو المصطلق إلى رسول الله ﷺ أن سله إلى من ندفع صدقاتنا بعدك؟ فأتيته فسألته، فقال: إلى أبي بكر[3].

فأخذ بعض العلماء - وحق له أن يأخذ - من هذه الروايات وغيرها أن فيها إشارة قوية على خلافة أبي بكر بعد النبي ﷺ، ولسنا هنا بصدد ترجيح بعض الآراء على بعض، إلا أن ما يعنينا هنا هو أن بعض العلماء فهِم من دلالة هذه الروايات وغيرها أنها تحوي إشارات قوية على خلافة الصِّدِّيق ﷺ بعد النبي ﷺ.

وبعد وفاة النبي ﷺ تولى الصِّدِّيق الخلافة إثر اجتماع عقده الأنصار في سقيفة بني ساعدة ليختاروا من بينهم خليفة للمسلمين، وتوجَّه الصِّدِّيق أبو بكر إليهم ومعه الفاروق عمر وأبو عبيدة حتى يتداركوا الأمر، ويقضوا على فتنة من

---

(١) رواه البخاري: كتاب أبواب المسجد، باب الخوخة والممر في المسجد، ح(٤٥٤).

(٢) رواه البخاري: كتاب أبواب المسجد، باب الخوخة والممر في المسجد، ح(٤٥٥). والخوخة: باب صغير كالنافذة الكبيرة، وتكون بين بيتين يُنصب عليها باب.(النهاية في غريب الحديث لابن الأثير:٢/٨٦).

(٣) المستدرك: كتاب معرفة الصحابة: باب أبو بكر الصِّدِّيق، ح(٤٤٦٠) وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الذهبي في التلخيص: صحيح.

شأنها أن تؤثر سلباً على المسلمين ؛ نتيجة انفراد الأنصار باختيار خليفة من بينهم دون مشاورة المهاجرين.

ويروي الإمام البخاري ما دار في السقيفة وما حدث من تدارك أبي بكر للأمر وحسمه للخلاف قبل أن ينشب الصراع ويحتدم النزاع.

ويقول فيما يرويه بسنده عن عروة عن عائشة: واجتمعت الأنصار إلى سعد ابن عبادة في سقيفة بني ساعدة، فقالوا: منا أمير ومنكم أمير، فذهب إليهم أبو بكر وعمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح، فذهب عمر يتكلم فأسكته أبو بكر، وكان عمر يقول: والله ما أردت بذلك إلا أني قد هيأت كلاما قد أعجبني خشيت أن لا يبلغه أبو بكر، ثم تَكلَّم أبو بكر، فتكلم أبلغ الناس، فقال في كلامه: نحن الأمراء وأنتم الوزراء، فقال حباب بن المنذر: لا والله لا نفعل منا أمير ومنكم أمير، فقال أبو بكر: لا ولكنا الأمراء وأنتم الوزراء، هم أوسط العرب داراً وأعربهم أحسابا فبايعوا عمر أو أبا عبيدة بن الجراح فقال عمر: بل نبايعك أنت فأنت سيدنا وخيرنا وأحبنا إلى رسول الله ﷺ، فأخذ عمر بيده فبايعه وبايعه الناس[1].

فما حدث في السقيفة بداية كان من شأنه أن يعصف بالأمة الإسلامية ويقودها إلى التناحر والقتال لولا أن منَّ الله عليهم بالصديق والفاروق وأبي عبيدة، الذين قاموا بالأمر خير قيام، وقضوا على الفتنة في مهدها، وجمعوا كلمة المسلمين على أمرٍ سواء.

أحداث في خلافة الصِّدِّيق صنعت تاريخاً:

كانت خلافة الصِّدِّيق خلافة خير ورحمة وبركة على المسلمين، وحدثت في خلافته الوجيزة أحداث جسام برزت فيها عظمة الصِّدِّيق القيادية والسياسية، ففيها كانت حروب الردة، وفيها اتسعت رقعة الدولة الإسلامية بكثرة الفتوحات، وفيها دخل خلق كثير الإسلام وأصبحوا جنداً من جنوده المخلصين.

(١) رواه البخاري: كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي: لو كنت متخذاً خليلاً، ح(٣٤٦٧).

وفيها تمَّ جمع القرآن الكريم في مصحفٍ واحد ، وفيما يلي عرض أهم الأحداث التي حدثت في خلافة الصِّدِّيق بإيجازٍ شديد ، وهذا بلا شك له فائدته لأنه يساعد في إبراز معالم شخصية الصِّدِّيق، ويوضح بجلاء أن خلافته كانت خلافة خير وبركة على المسلمين، وسنحاول هنا التعرض لحدثين مهمين من هذه الأحداث:

١- جمع القرآن في خلافة الصِّدِّيق ﷺ:

قبل هذا الجمع لم يكن القرآن موجوداً في مصحفٍ واحدٍ، بل كان أولاً في صدور الحفَّاظ ثم متفرقاً في صحفٍ وغيرها ، وما حدث هو أن قام الصِّدِّيق بإصدار أوامره بجمع القرآن من صدور الحفاظ ومن الصحف والعسب واللخاف[1] ليكون في مصحفٍ واحدٍ جامعٍ، خشية أن يذهب أجزاء منه بموت الحفاظ، ومما يجدر ذكره هنا أن هذا الجمع كان بإشارة من عمر بن الخطاب ﷺ.

روى البخاري بسنده عن عبيد بن السباق أن زيد بن ثابت ﷺ قال: أرسل إليَّ أبو بكر مقتل أهل اليمامة فإذا عمر بن الخطاب عنده، قال أبو بكر ﷺ: إن عمر أتاني فقال: إن القتل قد استحرَّ يوم اليمامة بقرَّاء القرآن وإني أخشى أن يستحرَّ القتل بالقرَّاء بالمواطن فيذهب كثير من القرآن، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن، قلت لعمر: كيف تفعل شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ؟ قال عمر: هذا والله خير، فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك، ورأيت في ذلك الذي رأى عمر. قال زيد: قال أبو بكر: إنك رجل شاب عاقل لا نتَّهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ فتتبع القرآن فاجمعه. فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما أمرني به من جمع القرآن.قلت: كيف تفعلون شيئاً لم يفعله رسول الله؟ قال: هو والله خير، فلم يزل أبو بكر

(١) العسب: جريد النخل، غريب الحديث لابن قتيبة، ٢/٣٠٤ — واللخاف: حجارة بيض رقاق: غريب الحديث: ٤/١٥٦.

يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري، لم أجدها مع أحد غيره ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾[1] حتى خاتمة براءة فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله ثم عند عمر حياته ثم عند حفصة بنت عمر رضي الله عنه[2].

٢- موقف الصِّدِّيق من قتال المرتدين:

لعل من أشهر مواقف الصِّدِّيق التي حمى بها الإسلام هو موقفه من المرتدين ومانعي الزكاة بعد وفاة رسول الله ﷺ، وفي هذا الوقت العصيب خرجت اتجاهات تنادي بضرورة الكفِّ عنهم حقناً للدماء، وهنا ظهرت عبقرية الصِّدِّيق القيادية والسياسية وقال قولته المشهورة: والله لأقاتلنَّ من فرَّق بين الصلاة والزكاة، وكان نعم الرأي ونعم الموقف.

روى البخاري بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما توفي رسول الله ﷺ وكان أبو بكر رضي الله عنه وكفر من كفر من العرب، فقال عمر رضي الله عنه: كيف تقاتل الناس؟ وقد قال رسول الله ﷺ «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قالها فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله». فقال: والله لأقاتلن من فرَّق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عناقاً كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها، قال عمر رضي الله عنه: فوالله ما هو إلا أن قد شرح الله صدر أبي بكر رضي الله عنه فعرفت أنه الحق[3].

---

(١) سورة التوبة الآية «١٢٨».

(٢) البخاري: كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن، ح(٤٧٠١).

(٣) رواه البخاري: كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة، ح (١٣٣٥) ومسلم: كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، ح(٢٠).

وبهذا الموقف العظيم الذي وقف فيه الصديق وقفة صلبة لا تعرف اللين، وقوية لا تعرف الضعف، حمى الصديق - بفضل من الله ومنة - دين الإسلام ودولته، فكانت هذه المحنة - لو لم يسخر الله لها الصديق بداية وباقي الصحابة من بعده - كفيلة باجتثاث الأخضر واليابس، وكان موقف الصديق نعم الموقف ورأيه نعم الرأي، فرحمه الله رحمة واسعة.

وفاته ﷺ:

تُوفي أبو بكر رحمه الله مساء ليلة الثلاثاء لثماني ليال بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من مهاجر النبي ﷺ، فكانت خلافته سنتين وثلاثة أشهر وعشر ليال، وكان أبو معشر يقول: سنتين وأربعة أشهر إلا أربع ليال، وتوفي رحمه الله وهو ابن ثلاث وستين سنة، مجمع على ذلك في الروايات كلها، استوفى سنَّ رسول الله ﷺ وكان أبو بكر ولد بعد الفيل بثلاث سنين[1].

ودُفن الصِّدِّيق بجوار حبيبه ﷺ، فعن عروة والقاسم بن محمد قالا: أوصى أبو بكر عائشة أن يدفن إلى جانب رسول الله ﷺ فلما توفي حفر له وجعل رأسه عند كتفي رسول الله ﷺ وألصق اللحد بقبر رسول الله ﷺ فقُبر هناك[2].

وما كان الله ليدفن بجنب نبيه إلا طيِّباً طاهراً، فرحمه الله ورضي عنه.

وبعد هذه الإطلالة السريعة على حياة الصِّدِّيق ﷺ يبقى أن نتساءل: إذاً لماذا كان أبو بكر أول العشرة؟.

ولكي نجيب على هذا التساؤل فيجب أن نلقي الضوء أكثر على الصِّدِّيق وشخصيته ومناقبه التي اشتهر بها.

---

(١) الطبقات الكبرى: ٣ /٢٠٢.

(٢) الطبقات الكبرى: ٢٠٩/٣ - تاريخ دمشق: ٤٤٦/٣٠.

أبو بكر الصِّدِّيق بين المناقب والفضائل:

إنه أبو بكر الصِّدِّيق ﷺ، السابق إلى التصديق، الملقَّب بالعتيق، المؤيد من الله بالتوفيق، صاحب النبي ﷺ في الحضر والأسفار، ورفيقه الشفيق في جميع الأطوار، وضجيعه بعد الموت في الروضة المحفوفة بالأنوار، المخصوص في الذكر الحكيم بمفخر فاق به كافة الأخيار وعامة الأبرار، وبقي له شرفه على كرور الأعصار، ولم يسم إلى ذروته همم أولي الأيد والأبصار، حيث يقول عالم الأسرار: ثاني اثنين إذ هما في الغار، إلى غير ذلك من الآيات والآثار ومشهور النصوص الواردة فيه والأخبار التي غدت كالشمس في الانتشار، وفضل كل من فاضل وفاق كل من جادل وناضل، ونزل فيه لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل، توحّد الصِّدِّيق في الأحوال بالتحقيق واختار الاختيار من الله دعاه إلى الطريق فتجرد من الأموال[1].

لقد جمع الصِّدِّيق كثيراً من الفضائل وحاز كثيراً من المناقب، ولو أردنا إحصاء فضائله ومناقبه لاحتجنا إلى الكثير والكثير مما لا تحتمله طبيعة هذا البحث المتواضع، ولكن تكفينا هنا بعض الإشارات، وكما يقال رُب إشارة أبلغ من عبارة، ومن أراد الاستزادة فعليه بالمصادر والمراجع التي سنشير إليها في الحواشي.

إن لصِدِّيق الأمة مناقب جليلة وفضائل كثيرة منها: أنه أول من آمن من الرجال، وكان من أهل بدر وأحد والخندق وبيعة الرضوان، بل لا يعلم أنه تخلَّف عن مشهدٍ من المشاهد.

ومنها إسلام أبويه. أيضا، فقد أدرك أبواه الإسلام وأسلما، وكذا ابنه وابن ابنه.

قال أبو أحمد الحاكم: أدرك أبو بكر بن أبي قحافة الصِّدِّيق رسول الله ﷺ وأبوه أبو قحافة عثمان بن عامر وابنه عبد الرحمن بن أبي بكر

---

(١) حلية الأولياء: أبو نعيم، ٢٨/١.

الصِّدِّيق وابن ابنه أبو عتيق محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصِّدِّيق أربعتهم ولاء رسول الله ﷺ ليست هذه المنقبة لأحد من أصحاب النبي ﷺ غيره، وأدرك من أولاده وأهل بيته ومواليه سواهم نفر من الرجال والنساء رسول الله ﷺ، منهم بنوه عبد الله وعبد الرحمن صحبا رسول الله ﷺ وابنه الثالث محمد ولد عام حجة الوداع ولدته أسماء بنت عميس بقباء[1].

وفيما يلي سنستعرض بعضاً من مناقب وفضائل الصِّدِّيق أبي بكر ﷺ، ولعل من أوَّلها حبّ النبي ﷺ له، وحبّه للنبي ﷺ.

الحب المتبادل بين الصِّدِّيق ﷺ والنبي ﷺ:

هذا الموضوع من المسلَّمات عند جميع المنصفين والعقلاء من المسلمين، فالعلاقة بين الصِّدِّيق والنبي ﷺ علاقة تسودها المحبة المتبادلة، وتدل عليها الملازمة التي كانت بينهما، فالصِّدِّيق ما كان يترك النبي ﷺ في سفرٍ ولا حضرٍ، وما حدث أن تخلف عنه في غزوة، أو فرَّ من جنبه في موقعة، بل كان ملازماً له يقدم حياة النبي ﷺ على حياته، ويجعل من نحره هدفاً دون نحر النبي ﷺ، وفيما يلي نستعرض بعض الأمثلة والشواهد على هذه المحبة المتبادلة بين الصِّدِّيق والنبي ﷺ.

حبُّ النبي ﷺ للصِّدِّيق:

إنه من الواضح أن لأبي بكر ﷺ خصوصية برسول الله ﷺ ليست لغيره من الصحابة، فهذا عمرو بن العاص يقول: سألت رسول الله ﷺ: أي الناس أحب إليك؟ قال: «عائشة». فقلت: من الرجال؟ فقال: «أبو ها». قلت: ثم مَن؟ قال: «عمر بن الخطاب»، فعد رجالاً[2].

---

(١) تاريخ دمشق: ١٨/٣٠.

(٢) رواه البخاري: كتاب فضائل الصحابة باب قول النبي لو كنت متخذاً خليلاً، ح(٣٤٦٢) ومسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي بكر، ح(٢٣٨٤).

وروى البخاري بسنده عن أبي الدرداء قال: كنت جالساً عند النبي ﷺ إذ أقبل أبو بكر آخذاً بطرف ثوبه حتى أبدى عن ركبته، فقال النبي ﷺ «أما صاحبكم فقد غامر». فسلم وقال: إني كان بيني وبين ابن الخطاب شيء فأسرعت إليه ثم ندمت فسألته أن يغفر لي، فأبى عليَّ، فأقبلت إليك، فقال:«يغفر الله لك يا أبا بكر»ثلاثاً، ثم إن عمر ندم فأتى منزل أبي بكر، فسأل أثَمَّ أبو بكر؟ فقالوا: لا، فأتى إلى النبي ﷺ، فسلَّم، فجعل وجه النبي ﷺ يتمعَّر حتى أشفق أبو بكر، فجثا على ركبتيه فقال: يا رسول الله، والله أنا كنت أظلم مرتين، فقال النبي ﷺ: «إن الله بعثني إليكم فقلتم: كذبت وقال أبو بكر: صدق، وواساني بنفسه وماله، فهل أنتم تاركوا لي صاحبي». مرتين، فما أوذي بعدها[1].

حب الصِّدِّيق للنبي ﷺ:

أماعن حب الصِّدِّيق ﷺ للنبي ﷺ ومع أنه أمر ظاهر ولا يحتاج لإثبات إلا أن من شواهده ما يلي:

روى البخاري بسنده عن عروة بن الزبير قال: قلت لعبد الله بن عمرو ابن العاص: أخبرني بأشدّ ما صنع المشركون برسول الله ﷺ قال: بينما رسول الله ﷺ يصلي بفناء الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي معيط فأخذ بمنكب رسول الله ﷺ ولوى ثوبه في عنقه فخنقه خنقاً شديداً فأقبل أبو بكر، فأخذ بمنكبه ودفع عن رسول الله ﷺ وقال: ﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ﴾[2][3].

---

(١) البخاري: كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي لو كنت متخذاً خليلاً، ح(٣٤٦١).

(٢) سورة غافر الآية «٢٨».

(٣) صحيح البخاري: كتاب التفسير، باب سورة غافر، ح(٤٥٣٧).

وروى ابن عساكر بسنده عن ضبة بن محصن العنزي قال: كان علينا أبو موسى الأشعري أميراً بالبصرة فوجَّهني في بعثه إلى عمر بن الخطاب، فقدمت على عمر فضربت عليه الباب، فخرج إليَّ فقال: من أنت؟ فقلت: أنا ضبة ابن محصن العنزي، قال: فأدخلَني منزله وقدَّم إليَّ طعاماً، فأكلت ثم ذكرت له أبا بكر الصِّدِّيق، فبكى، فقلت له: أنت خير من أبي بكر فازداد بكاءً لذلك، ثم قال وهو يبكي: والله لليلة من أبي بكر ويوم خير من عمر وآل عمر، هل لك أن أحدثك بيومه وليلته؟ فقلت: نعم يا أمير المؤمنين، فقال: أما الليلة فإنه لما خرج النبي ﷺ هارباً من أهل مكة خرج ليلاً فاتبعه أبو بكر فجعل مرة يمشي أمامه ومرة خلفه ومرة عن يمينه ومرة عن يساره، فقال له النبي ﷺ: «ما هذا يا أبا بكر؟ ما أعرف هذا من فعالك!». فقال: يا رسول الله أذكر الرصد فأكون أمامك، وأذكر الطلب فأكون خلفك ومرة عن يمينك ومرة عن يسارك لا آمن عليك، قال: فمشى رسول الله ﷺ ليله كله حتى أدغل[1] أطراف أصابعه، فلما رآه أبو بكر حمله على عاتقه وجعل يشتد به حتى أتى به فم الغار فأنزله ثم قال: والذي بعثك بالحق لا تدخله حتى أدخله قبلك فإن يك فيه شيء نزل بي دونك قال: فدخل أبو بكر؛ فلم ير شيئاً، فقال له: اجلس فإن في الغار خرقاً أسدُّه وكان عليه رداء فمزَّقه وجعل يسد به خرقا خرقا فبقي جحران فأخذ النبي ﷺ فحمله فأدخله الغار، ثم ألقم قدميه الجحرين، فجعل الأفاعي والحيَّات يضربنه ويلسعنه إلى الصباح، وجعل هو يتقلا من شدة الألم ورسول الله ﷺ لا يعلم بذلك ويقول له: «يا أبا بكر لا تحزن إن الله معنا» فأنزل الله عليه وعلى رسوله السكينة والطمأنينة لأبي بكر، فهذه ليلته.

وأما يومه فلما توفي النبي ﷺ ارتدت العرب؛ فقال بعضهم: نصلِّي ولا نُزكِّي، وقال بعضهم: نزِّكي ولا نصلِّي، فأتيته لا آلوه نصحاً، فقلت: يا خليفة رسول الله ﷺ ارفق بالناس! وقال غيري ذلك، فقال أبو بكر: قد

---

(١) الدَغَل: الفساد.

قبض النبي ﷺ وارتفع الوحي ووالله لو منعوني عقالاً مما كانوا يعطون رسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه قال: فقاتلنا فكان والله شديد الأمر فهذا يومه[١].

أرأيتم هذا الحب الذي ملأ قلب الصِّدِّيق للنبي ﷺ، إنه حب من نوع فريد يجعل الصِّدِّيق يقدم حياة النبي ﷺ على حياته، ويجعله يتحمل العناء والألم بنفسٍ راضية فداءً للنبي ﷺ.

أبو بكر أفضل الأمة بعد النبي ﷺ:

أجمع أهل السنة على أن أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي ثم سائر العشرة ثم باقي أهل بدر ثم باقي أهل أحد ثم باقي أهل البيعة ثم باقي الصحابة[٢].

وروى البخاري عن ابن عمر قال: كنا نخيَّر بين الناس في زمان رسول الله ﷺ فنخير أبا بكر ثم عمر ثم عثمان[٣].

وأخرجه ابن عساكر عن ابن عمر قال: كنا وفينا رسول الله ﷺ نفضِّل أبا بكر وعمر وعثمان وعليا[٤].

وأخرج البخاري عن محمد بن علي بن أبي طالب قال: قلت لأبي: أي الناس خير بعد رسول الله ﷺ؟ قال: أبو بكر قلت: ثم من؟ قال: عمر وخشيت أن يقول عثمان فقلت: ثم أنت؟ قال: ما أنا إلا رجل من المسلمين[٥].

---

(١) تاريخ دمشق: ٣٠/٨٠ - وانظر: فضائل الصحابة، ١/ ١٧٨.
وروى الحاكم الجزء الأول من الرواية باختلاف يسير دون ذكر لضبة بن محصن وقال: هذا حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين لولا إرسال فيه ولم يخرجاه.
وعلَّق عليه الذهبي في التلخيص قائلاً: صحيح مرسل.(المستدرك: كتاب الهجرة، ح(٤٢٦٨).

(٢) انظر: تاريخ الخلفاء، السيوطي، ١٧.

(٣) رواه البخاري: كتاب فضائل الصحابة، باب فضل أبي بكر بعد النبي، ح(٣٤٥٥).

(٤) تاريخ دمشق: ٣٠/٣٤٦.

(٥) رواه البخاري: كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي: لو كنت متخذاً خليلاً ح(٣٤٦٨).

وأخرج الترمذي والحاكم عن عمر بن الخطاب قال: أبو بكر سيدنا وخيرنا وأحبنا إلى رسول الله ﷺ[١].

وأخرج ابن عساكر عن ابن أبي ليلى قال: قال علي: لا يفضلني أحد على أبي بكر وعمر إلا جلدته حد المفتري[٢].

روى أحمد والترمذي عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: أرحم أمتي بأمتي أبو بكر وأشدهم في أمر الله عمر وأصدقهم حياء عثمان وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل وأفرضهم زيد بن ثابت وأقرؤهم أبي بن كعب، ولكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجرَّاح[٣].

فعلمنا من خلال ما سبق أن الصِّدِّيق هو أفضل الأمة بعد النبي ﷺ، وأحب الأمة إلى قلب رسول الله ﷺ.

أبو بكر ﷺ ثاني اثنين[٤]:

يقول المولى تعالى في كتابه الكريم مشيراً إلى هجرة النبي ﷺ: ﴿ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ ﴾[٥] وفي هذه الآية إشارة إلى منقبة عظيمة للصديق ألا وهي مرافقته للنبي ﷺ في الغار وأثناء الهجرة.

---

(١) رواه الترمذي: كتاب المناقب، باب مناقب أبي بكر الصِّدِّيق، ح(٣٦٥٦) وقال: حديث صحيح غريب، وقال الألباني: حسن. ورواه الحاكم في المستدرك: كتاب معرفة الصحابة، باب أبو بكر الصِّدِّيق، ح(٤٤٢١) وقال: صحيح على شرطهما ولم يخرجاه، قال الذهبي في التلخيص: على شرط البخاري ومسلم.

(٢) تاريخ دمشق: ٣٨٣/٣٠.

(٣) رواه الترمذي: كتاب المناقب، باب مناقب معاذ بن جبل وزيد بن ثابت، ح(٣٧٩٠) وقال الشيخ الألباني: صحيح. وأحمد في المسند: ٨٤/٣ باب مسند أنس بن مالك، ح(١٢٩٢٧). وابن ماجة في سننه: كتاب الفضائل، باب فضائل خباب، ح(١٥٤) وقال الشيخ الألباني: صحيح.

(٤) انظر: إمامة الصديق، طه حامد الدليمي، ٥٦/١ وما بعدها.

(٥) سورة التوبة الآية «٤٠».

ويكفي الصِّدِّيق أنه نال شرف صحبة النبي ﷺ في الهجرة، وكان ثاني اثنين في الغار.

ولعل من أبرز ما يُعلم عن الصِّدِّيق أنه صاحب الغار، وكفى بها فضيلة[١].

وروى البخاري بسنده عن أنس أن أبا بكر حدَّثه قال: قلت للنبي ﷺ ونحن بالغار: يا رسول الله لو أن أحدهم نظر إلى قدميه لأبصرنا تحت قدميه! فقال: «يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما»[٢].

وهنا يجب أن نلفت الأنظار إلى شيء هام يتعلق بالصِّدِّيق، وهو أن قول الله تبارك وتعالى: ﴿إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ﴾ بجانب أنه يشير إلى مرافقة الصِّدِّيق رضي الله عنه للنبي ﷺ في الغار والهجرة إلا أنه أيضاً يشير إلى دور الثنائية في حياة الصِّدِّيق رضي الله عنه.

فهذه الثنائية التي أشارت إليها الآية تصدُق على الصِّدِّيق في حوادث أخرى وفي أمور متعددة منها ما يلي:

ثاني اثنين: في الدعوة إلى الله:

ففي الدعوة إلى الله كان أبو بكر ثاني اثنين، روى البخاري بسنده عن عمار بن ياسر قال: رأيت رسول الله ﷺ وما معه إلا خمسة أعبد وامرأتان وأبو بكر[٣].

فكان الصِّدِّيق رضي الله عنه مع النبي ﷺ من أول الدعوة ملازماً له في حلِّه وترحاله، وسفره وحضره، ومجلسه وسمره، يدعو إلى الله، ويتعلم من نبيه، وهذا ما عرفه جميع الصحابة.

فها هو علي بن أبي طالب يقرُّ بهذا الأمر ويقول حين مات الفاروق وبعد أن ترحَّم عليه: ما خلفت أحداً أحب إلى أن ألقى الله تعالى بمثل عمله منك، وأيم

---

(١) مختصر تاريخ دمشق:١/ ١٧٦٣.

(٢) أخرجه البخاري: كتاب التفسير، باب تفسير سورة براءة، ح(٤٣٨٦) ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي بكر الصِّدِّيق، ح(٢٣٨١).

(٣) رواه البخاري: كتاب فضائل الصحابة، باب إسلام أبي بكر، ح(٣٦٤٤).

الله إن كنت لأظن أن يجعلك الله مع صاحبيك، وحسبت أني كنت كثيراً أسمع رسول الله ﷺ يقول: ذهبت أنا وأبو بكر وعمر ودخلت أنا وأبو بكر وعمر وخرجت أنا وأبو بكر وعمر[1].

وعن عمر ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ يسمر عند أبي بكر ﷺ الليلة كذاك في الأمر من أمر المسلمين وأنا معه[2].

وكان الصِّدِّيق ﷺ مع رسول الله ﷺ دائماً، في مشورته، فكان يستشيره في أموره كلها صلوات الله وسلامه عليه.

ثاني اثنين: كما وصفه ابن الدغنة:

فقد مرَّ علينا قول ابن الدغنة لأبي بكر: «فإنك تكسب المعدوم وتصل الرحم وتحمل الكل وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق»، وهو نفس ما وصفت به السيدة خديجة رسول الله ﷺ، و نحن لا نقول أبداً: إن رسول اللّه وأبا بكر سواء في كل شيء، إذ كيف نشبِّه أبا بكر برسول الله سيد الأولين والآخرين صلوات الله وسلامه عليه في كل أموره؟ ولكن نقول: هو أقرب الناس شبهاً برسول الله ﷺ.

ثاني اثنين: في الهجرة:

لما هاجر رسول الله ﷺ اختص أبا بكر من دون الناس، فكان أبو بكر يستأذن رسول الله ﷺ يا رسول الله أهاجر؟ أهاجر؟ يقول: انتظر حتى يكتب الله، حتى يأمر الله، حتى أخبره أن الله اختصّه له وأنه سيهاجر مع رسول الله ﷺ.

---

(١) رواه البخاري: كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عمر بن الخطاب، ح(٣٤٨٢) واللفظ له. ورواه مسلم في صحيحه: كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عمر بن الخطاب، ح(٦٣٣٨) وأحمد في المسند: ١١٢/١، ح(٨٩٨).

(٢) مسند أحمد: ح (١٧٨) ٢٦/١، مسند عمر بن الخطاب.

ثاني اثنين: في الكلام بحضرة النبي ﷺ:

فكان النبي يتكلم وأبو بكر بعده وفي حضرته ﷺ كما في غزوة بدر لما جاءت قريش بحدِّها وحديدها، عندها استشار رسول الله ﷺ الناس، فقال أبو بكر رضي الله عنه فأحسن، ثم قام عمر فقال فأحسن، ثم قام المقداد بن عمرو فقال: يا رسول الله، امض لما أمرت به، فنحن معك[1].

ولما استشار النبي ﷺ في الأسرى فكان ثاني من تكلم بعد النبي ﷺ أبو بكر.

روى مسلم بسنده عن عمر بن الخطاب: .. فلما أسروا الأسارى قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر: ما ترون في هؤلاء الأسارى؟ فقال أبو بكر: يا نبي الله هم بنو العمِّ والعشيرة، أرى أن تأخذ منهم فدية فتكون لنا قوة على الكفار، فعسى الله أن يهديهم للإسلام، فقال رسول الله ﷺ: ما ترى؟ يا ابن الخطاب؟ قلت: لا والله ما أرى الذي رأى أبو بكر ولكني أرى أن تُمكِّنا فنضرب أعناقهم[2].

ثاني اثنين: في الشدة على الأعداء:

ففي أحد عندما قام أبو سفيان- وكان وقتها مشركاً- ونادى: أفي القوم محمد، أفي القوم ابن أبي قحافة، ونصُّ الرواية.

روى البخاري بسنده عن البراء رضي الله عنه قال: لقينا المشركين يومئذ وأجلس النبي ﷺ جيشاً من الرماة، وأمَّر عليهم عبد الله وقال: «لا تبرحوا إن رأيتمونا ظهرنا عليهم فلا تبرحوا، وإن رأيتموهم ظهروا علينا فلا تعينونا».فلما لقيناهم هربوا حتى رأيت النساء يشتددن في الجبل رفعن عن سوقهن قد بدت خلاخلهن فأخذوا يقولون: الغنيمة الغنيمة فقال عبد الله: عهد إلى النبي ﷺ أن لا تبرحوا، فأبوا، فلما أبوا صرفت وجوههم فأصيب سبعون قتيلاً وأشرف أبو سفيان فقال:

---

(١) رواه البيهقي في الدلائل: ح(٨٧٤).

(٢) رواه مسلم: كتاب الجهاد والسير، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر، ح (١٧٦٣).

أيـ في القوم محمد؟ فقال: «لا تجيبوه». فقال: أيـ في القوم ابن أبي قحافة؟ قال: «لا تجيبوه». فقال: أيـ في القوم ابن الخطاب؟ فقال: إن هؤلاء قتلوا فلو كانوا أحياء لأجابوا، فلم يملك عمر نفسه فقال: كذبت يا عدو الله أبقى الله عليك ما يحزنك، قال أبو سفيان: اعل هبل، فقال النبي ﷺ «أجيبوه». قالوا: ما نقول؟ قال:«قولوا: الله أعلى وأجلُّ». قال أبو سفيان: لنا العُزى ولا عُزى لكم، قال النبي ﷺ: «أجيبوه». قالوا: ما نقول؟ قال:«قولوا: الله مولانا ولا مولى لكم». قال أبو سفيان: يوم بيوم بدر والحرب سجال وتجدون مثلة لم آمر بها ولم تسؤني[1].

فجاء نداء أبي سفيان مرتباً بادئاً بأكثر الأشخاص إزعاجاً للمشركين وهو النبي ﷺ ثم ثنَّى نداءه بالصِّدِّيق أبي بكر رضي الله عنه ثم بعمر بن الخطاب رضي الله عنه.

ثاني اثنين: في سؤال عمر يوم الحديبية:

لما جاء عمر لرسول الله ﷺ وقال له بعد صلح الحديبية، بعد الشرط الذي ظنه كثير من أصحاب النبي ﷺ أنه شرط ظالم «من أتى من المشركين مسلماً رده رسول الله ﷺ إذا طلبوه، ومن خرج من عند رسول الله ﷺ كافرا وطلبه من المشركين لا يردونه» فظن عمر كغيره من الصحابة أن هذا الشرط ظالم، فجاء لرسول الله ﷺ وسأله عن سبب قبول هذا الشرط، ثم ثنى بالصِّدِّيق الذي كانت إجابته نفس إجابة النبي ﷺ حذو القذة بالقذة.

ونصُّ الحديث كما رواه البخاري بسنده عن حبيب بن أبي ثابت قال: أتيت أبا وائل أسأله، فقال: كنا بصفين فقال رجل: ألم تر إلى الذين يدعون إلى كتاب الله فقال علي: نعم فقال سهل بن حنيف: اتهموا أنفسكم فلقد رأيتنا يوم الحديبية، يعني الصلح الذي كان بين النبي ﷺ والمشركين، ولو نرى قتالاً لقاتلنا، فجاء عمر فقال: ألسنا على الحق وهم على الباطل؟ أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار؟ قال:«بلى». قال: ففيم نعطي الدنية في ديننا ونرجع ولما يحكم الله بيننا؟ فقال:«يا ابن الخطاب إني رسول الله ولن يضيعني الله

---

(١) رواه البخاري: كتاب المغازي: باب غزوزة أحد، ح(٣٨١٧).

أبداً».فرجع متغيظاً فلم يصبر حتى جاء أبا بكر، فقال: يا أبا بكر، ألسنا على الحق وهم على الباطل، قال: يا ابن الخطاب، إنه رسول الله ﷺ ولن يضيعه الله أبداً فنزلت سورة الفتح[1].

وفي رواية أحمد إيضاح لكلام أبي بكر حيث تقول الرواية: يقول عمر: فقلت: يا رسول الله ألسنا على حقٍ وهم على باطلٍ قال: بلى، قال: أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار، قال: بلى، قال: ففيم نعطي الدنية من ديننا؟ قال: يا ابن الخطاب إني رسول الله ولن يضيعني الله أبداً قال: أوليس كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به، قال: بلى، فأخبرتك أنا نأتيه العام، قال: لا، قال: فإنك آتيه ومطوف به، فذهب عمر لأبي بكر الصِّدِّيق فقال له: يا أبا بكر ألسنا على حقٍ وهم على باطلٍ، قال: بلى، قال، أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار، قال: بلى قال: علام نعطي الدنية من ديننا، قال: يا ابن الخطاب إنه رسول الله ولن يضيعه الله أبداً.

فالزم غرزه، قال: أليس حدثنا أنا نطوف بالبيت، قال: أوأخبرك أنك تطوف هذه السنة، قال: لا، قال: إنك آتيه وإنك مطوف به[2].

ما الذي جمع كلام أبي بكر مع كلام رسول الله ﷺ إنها هذه الثنائية المدهشة، ثاني اثنين، إن أبا بكر أجاب بنفس جواب رسول الله ﷺ وما سمع من رسول الله حرفاً واحداً.

ثاني اثنين: في إمامة الصلاة:

حيث إنه لما مرض رسول الله ﷺ صلَّى أبو بكر بالناس.

ثاني اثنين: في الاستخلاف:

حيث تولى الخلافة بعد رسول الله ﷺ.

---

(١) رواه البخاري: كتاب التفسير باب تفسير سورة الفتح، ح(٤٥٦٣). ورواه مسلم: كتاب الجهاد والسير، باب صلح الحديبية، ح(١٧٨٥).

(٢) مسند أحمد:٤/٣٢٣، ح(١٨٩٣٠) حديث المسور بن مخرمة.

ثاني اثنين: في الدفن:

دفن مع رسول الله ﷺ بجانبه.

إن لأبي بكر خصوصية بالنبي ﷺ، فكان ﷺ ملازماً للنبي ﷺ كظله لا يغيب عنه، وهذه إحدى مناقبه رضي الله عنه وأرضاه.

الإسلام أولاً وقبل كل شيء:

إن أولويات الصِّدِّيق ﷺ تمثلت أولاً في دينه ورسوله ﷺ، فكان يقدِّم حبَّ الإسلام ورسوله ﷺ على أي شيء سواهما، بل إنه كان على أتمِّ استعداد أن يَقْتل ولده بيده حباً للإسلام وإخلاصاً له.

روى بن عساكر بسنده عن ابن سيرين: أن عبد الرحمن بن أبي بكر الصِّدِّيق كان يوم بدر مع المشركين، فلما أسلم قال لأبيه: لقد أهدفتَ لي يوم بدر فصرفت عنك ولم أقتلك، فقال أبو بكر: لكنك لو أهدفت لي لم أنصرف عنك[(١)].

وقال عبد الله بن مسلم بن قتيبة قوله: «أهدفت لي» معناه: أشرفت لي، ومنه قيل للبناء المرتفع: هدف وهدف، الرامي منه لأنه شيء ارتفع للرامي حتى يراه وإن عبد الرحمن كره أن يقاتل أباه أو انصرف عنه هيبة له. وقول أبي بكر: لو أهدفت لي لم أصرف وجهي عنك؛ وهذا من أكبر فضائله؛ لأنه كان لا تأخذه في الله لومة لائم لما جعل الله في قلبه من جلالة الإيمان، وبهذا وصف الله أصحاب محمد ﷺ، فقال: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾[(٢)(٣)].

(١) تاريخ دمشق: ١٢٨/٣٠.

(٢) سورة المجادلة الآية «٢٢».

(٣) تاريخ دمشق: ١٢٨/٣٠.

بين الصِّدِّيق والطاعة:

بين أبي بكر الصِّدِّيق ﷺ والطاعة علاقة قوية لا تنفصم، وهذه مسألة واضحة في حياة الصِّدِّيق يدركها من له أدنى اطلاع على سيرته، والطاعة هنا ليست قاصرة على العبادة فحسب، بل المراد بها كل أنواع البر والخير، فكان الصِّدِّيق حريصاً على بذل كل طاعة سبَّاقاً إليها.

روى مسلم بسنده عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن أصبح منكم اليوم صائمًا». قال أبو بكر ﷺ: أنا. قال « فمن تبع منكم اليوم جنازةً». قال أبو بكر ﷺ: أنا. قال:«فمن أطعم منكم اليوم مسكينًا». قال أبو بكر ﷺ: أنا. قال: «فمن عاد منكم اليوم مريضاً». قال أبو بكر ﷺ: أنا. فقال رسول الله ﷺ: «ما اجتمعن في امرئٍ إلا دخل الجنة»[1].

وجاء في صحيح البخاري عن أبي هريرة ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «مَن أنفقَ زوجين في سبيل الله نودي من أبواب الجنَّة يا عبد الله هذا خير، فمن كان من أهل الصلاة دُعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دُعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريَّان، ومن كان من أهل الصَّدقة دعي من باب الصَّدقة، فقال أبو بكر ﷺ: بأبي أنت وأمِّي يا رسول اللّه ما على من دعي من تلك الأبواب من ضرورةٍ فهلْ يُدعى أحدمن تلك الأبواب كلها؟ قال: نعم، وأرجو أن تكون منهم»[2].

ولقد أقرَّ الصحابة بأسبقية الصِّدِّيق ﷺ لهم في البر والخير.

فهاهو عمر بن الخطاب يقول فيما رواه عنه الترمذي بسنده: أمرنا رسول الله ﷺ أن نتصدَّق، فوافق ذلك مالاً فقلت: اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يوماً، قال: فجئت بنصف مالي فقال رسول الله ﷺ ما أبقيت لأهلك؟

---

(١) رواه مسلم: كتاب الزكاة، باب من جمع الصدقة وأعمال البر، ح(١٠٢٨).

(٢) رواه البخاري: كتاب الصيام، باب الريان للصائمين، ح(١٧٩٨). ورواه مسلم: كتاب الزكاة، باب من جمع الصدقة وأعمال البر، ح(١٠٢٧).

قلت: مثله، وأتى أبو بكر بكل ما عنده، فقال: يا أبا بكر ما أبقيت لأهلك؟ قال: أبقيت لهم الله ورسوله، قلت: والله لا أسبقه إلى شيء أبداً[١].

وهاهو علي بن أبي طالب حيث يُروى عنه أنه كان إذا ذُكِر عنده أبو بكر قال: السبَّاق تذكرون، السبَّاق تذكرون قال: والذي نفسي بيده ما استبقنا إلى خيرٍ قط إلا سبقنا إليه أبو بكر[٢].

ويروي لنا الفاروق عمر بن الخطاب ﷺ فصلاً آخر من فصول الطاعة مع الصِّدِّيق فيقول:«كان رسول الله ﷺ لا يزال يسمر عند أبي بكر في الأمر من أمر المسلمين، وإنه سمر عنده ذات ليلةٍ وأنا معه، فخرج رسول الله ﷺ يمشي وخرجنا معه، فإذا رجل قائم يصلي في المسجد، فقام رسول الله ﷺ يسمع قراءته، فلما كدنا أن نعرف الرجل قال رسول الله ﷺ: من سرَّه أن يقرأ القرآن رطباً كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد، قال: ثم جلس الرجل يدعو، فجعل رسول الله ﷺ يقول: سل تعطه مرتين، قال: فقال عمر: فقلت: والله لأغدون إليه فلأبشرنه، قال: فغدوت إليه لأبشره فوجدت أبا بكر قد سبقني إليه فبشره، ولا والله ما سابقته إلى خير قط إلا سبقني»[٣].

فتأمل معي أخي القارئ إلى حرص الصِّدِّيق على سوق البشرى إلى غيره ومسارعته في ذلك، وسعيه الحثيث على إدخال السرور على قلب المسلم، وهذا من باب قول النبي ﷺ حين بعث معاذاً وأبا موسى إلى اليمن قال:«يسِّرا ولا تعسِّرا وبشِّرا ولا تنفِّرا وتطاوعا ولا تختلفا»[٤].

---

(١) رواه الترمذي: كتاب المناقب، باب في مناقب أبي بكر وعمر، ح(٣٦٧٥) وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح وعلق الشيخ الألباني قائلاً: حسن- سنن أبي داود: كتاب الزكاة، باب الرخصة في ذلك، ح(١٦٧٨) وقال الشيخ الألباني: حسن.

(٢) رواه الطبراني في الأوسط: ح(٧١٦٨) وقال الهيثمي في المجمع: (٣٤٣/٨) رواه الطبراني في الأوسط وفيه أحمد بن عبد الرحمن المفضل الحراني، ولم أعرفه وبقية رجاله ثقات.

(٣) مسند أحمد: ٢٥/١، مسند عمر بن الخطاب، ح(١٧٥).

(٤) رواه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب ما يكره من التنازع والاختلاف، ح(٢٨٧٣).

وروى أبو نعيم في الحلية: عن ابن عمر قال: قيل: يا رسول الله، أي العباد أحب إلى الله؟ قال: أنفع الناس للناس، قيل: فأي العمل أفضل؟ قال: إدخال السرور على قلب المؤمن[١].

وهكذا كان دأب الصِّدِّيق وديدنه، كان مفتاحاً للخير مغلاقاً للشر، حريصاً على الخير والبر مساهماً في أي عمل من شأنه أن ينفع الإسلام والمسلمين.

روى ابن سعد في الطبقات عن أسامة بن زيد بن أسلم عن أبيه قال: كان أبو بكر معروفاً بالتجارة، لقد بعث النبي ﷺ وعنده أربعون ألف درهم، فكان يعتق منها ويقوِّي المسلمين، حتى قدم المدينة بخمسة آلاف درهم، ثم كان يفعل فيها ما كان يفعل بمكة[٢].

الصِّدِّيق متواضعاً:

إن المتأمل في شخصية الصِّدِّيق ﷺ لابد وأن تلوح أمامه حقيقة ظاهرة باهرة واضحة للعيان وضوح الشمس في ضحاها ألا وهي أن هذه الشخصية الفريدة الرائدة لم يعرف الكبر إليها طريقاً، بل كانت شخصية متواضعة خاضعة لله رب العالمين.

فكان ﷺ حتى وهو خليفة يستوقفه المار فيقف، ويسأله السائل فيعطيه.

روى البخاري بسنده عن سالم بن عبد الله عن أبيه: عن النبي ﷺ قال: «مَن جرَّ ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة». قال أبو بكر: يا رسول الله إن أحد شقي إزاري يسترخي إلا أن أتعاهد ذلك منه؟ فقال النبي ﷺ «لست ممن يصنعه خيلاء»[٣].

---

(١) حلية الأولياء: ٣٤٨/٦.

(٢) الطبقات الكبرى: ١٧٢/٣.

(٣) رواه البخاري: كتاب اللباس، باب من جر إزاره من غير خيلاء، ح (٥٤٤٧).

كما يشهد على تواضع الصِّدِّيق - مع أنه لا شهادة أصدق من شهادة النبي ﷺ ولكن لا مانع من ذكر أمثلةٍ أخرى - ما حدث من توديعه لجيش أسامة بعد وفاة النبي ﷺ.

يقول الطبري: ثم خرج أبو بكر حتى أتاهم - أي أسامة وجيشه - فأشخصهم وشيعهم وهو ماش وأسامة راكب وعبد الرحمن بن عوف يقود دابة أبي بكر، فقال له أسامة: يا خليفة رسول الله، والله لتركبن أو لأنزلن فقال: والله لا تنزل ووالله لا أركب، وما على أن أغبِّر قدميَّ في سبيل الله ساعة، فإن للغازي بكل خطوة يخطوها سبعمائة حسنة، تكتب له وسبعمائة درجة ترفع له، وترفع عنه سبعمائة خطيئة[1].

وروى أحمد في مسنده عن ابن أبي مليكة قال: كان ربما سقط الخطام من يد أبي بكر الصِّدِّيق ﵁، قال: فيضرب بذراع ناقته فينيخها فيأخذه، قال: فقالوا له: أفلا أمرتنا نناولكه فقال: إن حبيبي رسول الله ﷺ أمرني أن لا أسأل الناس شيئاً[2].

وروى ابن سعد أنه لما استخلف أبو بكر أصبح غادياً إلى السوق وعلى رقبته أثواب يتجر بها، فلقيه عمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح فقالا له: أين تريد يا خليفة رسول الله ﷺ؟ قال: السوق، قالا: تصنع ماذا وقد وليت أمر المسلمين؟ قال: فمن أين أطعم عيالي؟ قالا: انطلق حتى نفرض لك شيئاً، فانطلق معهما ففرضوا له كل يوم شطر شاة وما كسوه في الرأس والبطن، فقال عمر: إليَّ القضاء، وقال أبو عبيدة: وإليَّ الفيء[3].

---

(١) راجع: تاريخ الطبري: ٤٦٢/٢ – تاريخ دمشق: ٥٠/٢ – الكامل: ٣٣٥/٢.

(٢) مسند أحمد: ١١/١، مسند أبي بكر الصِّدِّيق، ح(٦٥) – تاريخ دمشق: ٣٢٣/٣٠.

(٣) الطبقات الكبرى: ١٨٤/٣ – تاريخ دمشق: ٣٢١/٣٠. فتح الباري: ٢٥٨/٤.

الصِّدِّيق ورِعاً:

كان الصِّدِّيق رضي الله عنه رجلاً ورِعاً يتحرَّى كل شيءٍ ويطلب الحلال دائماً، وبخاصة فيما يدخل جوفه، وهذا كان شأن أصحاب النبي ﷺ حيث كان الكفُّ عن المحارم دأباً لازماً لهم، بل إنهم قد يتركون سبعين باباً من الحلال مخافة أن يتلبسوا ويقعوا في الحرام، وهكذا كان الصِّدِّيق رضي الله عنه.

روى البيهقي بسنده عن زيد بن أرقم قال: كنت عند أبي بكر، فأتاه غلام له بطعامٍ، فأهوى إلى لقمة فأكلها، ثم سأله من أين اكتسبه؟ قال: كنت قسا للقوم في الجاهلية، فأوعدوني، فأطعموني هذا، يعني اليوم، فقال: لا أراك إلا أطعمتني ما حرم الله ورسوله، ثم أدخل إصبعيه فتقيأ، ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أيما لحمٍ نبت من حرامٍ فالنار أولى به»[1].

وروى ابن عساكر بسنده عن الأسود - يعني ابن قيس - عن نبيح - يعني العنزي - عن أبي سعيد الخدري، قال: كنا عنده، - أي أبا سعيد- وهو متكئ، فذكرنا علياً ومعاوية، فتناول رجل معاوية، فاستوى أبو سعيد الخدري جالساً، ثم قال: كنا ننزل رفاقاً مع رسول الله ﷺ، فكنا في رفقة أبي بكر، فنزلنا على أهل أبيات، أو قال: أهل بيت وفيهم امرأة حبلى، ومعنا رجل من أهل البادية، فقال لها البدوي: أيسرك أن تلدي غلاماً إن جعلت لي شاة؟ فولدت غلاماً، فأعطته شاة، فسجع لها أساجيع، فذبحت الشاة، وطبخت فأكلنا منها ومعنا أبو بكر، فذكر أمر الشاة، فرأيت أبا بكر متبرزاً مستنتلاً «أي مستعداً» يتقيأ، ثم أتى عمر بذلك الرجل البدوي يهجو الأنصار، فقال عمر: لولا أن له صحبة من رسول الله لا أدري ما قال فيها لكفيتكموه، ولكن له صحبه[2].

---

(١) شعب الإيمان: البيهقي، ١٢/٢٤٧، ح(٥٥١٩).

(٢) تاريخ دمشق: ٥٩/٢٠٥.

الصِّدِّيق في ساحات الوغى نحره دون نحر النبي ﷺ:

قلنا فيما سبق: إن أبا بكر الصِّدِّيق ﷺ عاش حياته بعد أن أسلم للإسلام وبالإسلام، ولم يترك عملاً من شأنه أن يكون فيه إعزاز للدين إلا وقدَّمه بنفسٍ خالصةٍ وقلبٍ مطمئنٍ، فمنذ بدء الإسلام كانت صفحات جهاد الصِّدِّيق تتوالى غزوة تلو غزوة، ومعركة تلو معركة حتى آخر أيامه رضي الله عنه وأرضاه.

ولهذا لم يترك الصِّدِّيق ﷺ غزوة من الغزوات، بل شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، ولم يحدث مرة أن فرَّ عنه أو استثقل الجهاد معه، بل كان نعم العون في الشدة والرفيق في السفرة، بعد المولى جل وعلا.

يقول ابن سعد: وشهد أبو بكر بدراً وأحداً والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، ودفع رسول الله ﷺ رايته العظمى يوم تبوك إلى أبي بكر، وكانت سوداء، وأطعمه رسول الله ﷺ بخيبر مائة وسق، وكان في من ثبت مع رسول الله ﷺ يوم أحد حين ولى الناس ... وعن إياس بن سلمة عن أبيه قال: بعث رسول الله ﷺ أبا بكر إلى نجد وأمَّره عليها، فبيتنا ناساً من هوازن، فقتلت بيدي سبعة أهل أبيات، وكان شعارنا أمت أمت[1].

لقد كان الصِّدِّيق ﷺ شجاعاً مقداماً في الحروب ثابتاً مع النبي ﷺ، ملازما له في غزواته لا يتركه يغيب عن ناظريه لحظة واحدة، رغم أنه يعلم أن هدف المشركين الأول في الغزوات التي خاضها النبي ﷺ إنما هو النبي ﷺ فكانوا يتحينون الفرص بغية الوصول إليه والانقضاض عليه، وبدهي أن من يلازم النبي ﷺ في مثل هذه الظروف سيكون عرضة للخطر أكثر من غيره، وهذا ما كان يدركه الصِّدِّيق ﷺ، غير أنه ما كان يزيده ذلك إلا ملازمة للنبي ﷺ.

---

(١) الطبقات الكبرى: ٣ / ١٧٥.

ولقد أقرَّ علي بن أبي طالب ﷺ بهذه الحقيقة في محضر كبير من الناس، فقد روى البزار في مسنده من حديث محمد بن عقيل عن علي أنه خطبهم فقال: أيها الناس أخبروني بأشجع الناس. فقالوا: أنت يا أمير المؤمنين، فقال: أما إني ما بارزت أحداً إلا انتصفت منه، ولكن أخبروني بأشجع الناس، قالوا: لا نعلم، فمن؟ قال: أبو بكر، إنه لما كان يوم بدرٍ جعلنا لرسول الله ﷺ عريشاً، فقلنا: من يكون مع رسول الله ﷺ؛ لئلا يهوي إليه أحد من المشركين، فوالله ما دنا منه أحد إلا أبو بكر شاهراً بالسيف على رأس رسول الله ﷺ لا يهوي إليه أحد إلا أهوى إليه، فهذا أشجع الناس. فقال علي: ولقد رأيت رسول الله ﷺ وأخذته قريش فهذا يجأه، وهذا يتلتله[1] وهم يقولون: أنت الذي جعلت الآلهة إلهاً واحداً، قال: فوالله ما دنا منه أحد إلا أبو بكر يضرب هذا ويجأ هذا ويتلتل هذا وهو يقول: ويلكم أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله، ثم رفع علي بردة كانت عليه فبكى حتى اخضلت لحيته، ثم قال: أنشدكم بالله أمؤمن آل فرعون خير أم أبو بكر؟ فسكت القوم، فقال ألا تجيبوني: فوالله لساعة من أبي بكرٍ خير من ملء الأرض من مؤمن آل فرعون، ذاك رجل كتم إيمانه، وهذا رجل أعلن إيمانه[2].

فانظر رحمك الله إلى هذا الإقرار الصادر عن رجل حنَّكته الحروب، وتساقط تحت أقدامه الفرسان والشجعان في ساحات الوغى وهو علي بن أبي طالب ﷺ، كيف وهو الشجاع يعترف بأن الصِّدِّيق أشجع منه، إنهم بحق خير جيل وطىء الثرى فرضي الله عنهم أجمعين.

---

(١) يجأه: يضربه، ويتلتله: يحركه ويزلزله.

(٢) رواه البزار في مسنده (٤٤٥/١) ح(٧٦١) وقال الهيثمي في المجمع: (٤٧/٩) رواه البزار .. وفيه من لم أعرفه. ولكن لبعض هذا المتن شواهد في الأحاديث الصحيحة انظرها في: البخاري: كتاب المغازي، باب قوله تعالى: «إذ تستغيثون ربكم» ومسلم: كتاب الجهاد والسير، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر.

وظل أبو بكرﷺ حياته كلها وفياً لدين الله ولرسوله ﷺ ملازماً له حتى توفي رسول الله ﷺ ، فقام من بعده بأمر المسلمين خير قيام، فصان دولتهم وحمى بيضتهم وذبَّ عن حياض الإسلام والمسلمين حتى لقي ربه جل وعلا.

الصِّدِّيق نعم العون في الشدة بعد المولى جل وعلا:

لم تقتصر مشاركة الصِّدِّيقﷺ للنبي ﷺ في الجهاد بالنفس والسلاح فقط، بل إنه شارك كذلك بماله الذي أتى به في مرات كثيرة وفي أوقات عصيبة بين يدي النبي ﷺ ، حتى قال النبي ﷺ فيما رواه الترمذي بسنده عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : ما لأحد عندنا يد إلا وقد كافيناه ما خلا أبا بكر فإن له عندنا يداً يكافئه الله به يوم القيامة، وما نفعني مال أحدٍ قطُّ ما نفعني مال أبي بكر، ولو كنت متخذاً خليلاً، لاتخذت أبا بكر خليلاً ألا وإن صاحبكم خليل الله[1].

إن أبا بكر جنَّد ماله وحياته لخدمة دين الله، وطالما أعتق بماله أنفساً عُذبت في الله.

فقد أعتق أبو بكر سبعة ممن كانوا يعذبون في الله منهم: بلال مؤذن رسول الله ﷺ وشهد بدراً والمشاهد كلها، وعامر بن فهيرة وشهد بدراً وغيرها حتى استشهد يوم بئر معونة، وكان هؤلاء من الضعفاء الذين لايستفيد أبو بكر بعتقهم شيئاً من الدنيا.

وعن عروة قال: أعتق أبو بكر الصِّدِّيق ممن كان يعذب في الله بمكة سبعة أنفس: بلالاً الحبشي الأسود وعامر بن فهيرة والنَّهدية وابنتها وأم عبيس وزِنِّيرة وجارية بني المؤمل[2].

---

(١) رواه الترمذي: كتاب المناقب، باب مناقب أبي بكر، ح(٣٦٦١) قال الشيخ الألباني: صحيح.

(٢) تفسير الطبري: ٦١١/١٢ .

وعن عامر بن عبد الله بن الزبير قال: كان أبو بكر الصِّدِّيق يعتق على الإسلام بمكة فكان بعتق عجائز ونساء إذا أسلمن، فقال له أبوه: أي ببني أراك تعتق أناساً ضعفاء، فلو أنك أعتقت رجالاً جلداء يقومون معك ويمنعونك ويدفعون عنك فقال: أي أبت إنما أريد - أظنه قال - ما عند الله قال: فحدثني بعض أهل بيتي أن هذه الآية أنزلت فيه ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴾[1][2].

مَن للأمانة غير الصِّدِّيق أبي بكر ﷺ؟:

عرف الصِّدِّيق بالأمانة بكل صورها، الأمانة في الأقوال، الأمانة في حفظ لأسرار، الأمانة في أموال المسلمين.

ومن أكبر الشواهد على أمانة الصِّدِّيق ﷺ: أمانته في حفظ سرِّ النبي ﷺ.

روى البخاري بسنده عن سالم بن عبد الله: أنه سمع عبد الله بن عمر بيحدث أن عمر بن الخطاب حين تأيّمت حفصة بنت عمر من خنيس بن حذافة السهمي، وكان من أصحاب رسول الله ﷺ فتوفي بالمدينة، فقال عمر بن الخطاب: أتيت عثمان بن عفان فعرضت عليه حفصة فقال: سأنظر في أمري، فلبثت ليالي، ثم لقيني فقال: قد بدا لي أن لا أتزوج يومي هذا. قال عمر: فلقيت أبا بكر الصِّدِّيق فقلت: إن شئت زوَّجتك حفصة بنت عمر، فصمت أبو بكر فلم يرجع إلي شيئاً، وكنت أوجد عليه مني على عثمان، فلبثت ليالي، ثم خطبها رسول الله ﷺ، فأنكحتها إياه، فلقيني أبو بكر فقال: لعلك وجدت عليَّ حين عرضت عليَّ حفصة فلم أرجع إليك شيئاً؟ قال عمر: قلت: نعم، قال أبو بكر: فإنه لم يمنعني أن أرجع إليك فيما عرضت عليَّ إلا أني كنت علمت

---

(١) سورة الليل الآية «٤-٧».

(٢) تفسير الطبري: ٢٧٩/٣٠.

أن رسول الله ﷺ قد ذكرها، فلم أكن لأفشي سرّ رسول الله ﷺ ولو تركها رسول الله ﷺ قبلتها[١].

وهذا المثال خير دلالة على شيئين: أولهما: ثقة النبي ﷺ في الصِّدِّيق أبي بكر وحبه له وإسراره إليه بأشياء لا يعلمها غيره، ثانيهما: وأمانة الصِّدِّيق على سرِّ رسول الله ﷺ.

أما عن أمانة الصِّدِّيق أبي بكر في أموال المسلمين، فيروي ابن سعد: أنَّ أبا بكر الصِّدِّيق كان له بيت مال بالسنح[٢] معروف ليس يحرسه أحد فقيل له: يا خليفة رسول الله ﷺ ألا تجعل على بيت المال من يحرسه فقال: لا يخاف عليه، قلت: لم؟ قال: عليه قفل وكان يعطي ما فيه حتى لا يبقى فيه شيء، فلما تحول أبو بكر إلى المدينة حوَّله، فجعل بيت ماله في الدار التي كان فيها، وكان قدم عليه مال من معدن القبلية ومن معادن جهينة كثير، انفتح معدن بني سليم في خلافة أبي بكر، فقدم عليه منه بصدقته، فكان يوضع ذلك في بيت المال، فكان أبو بكر يقسِّمه على الناس نقراً نقراً، فيصيب كل مائة إنسان كذا وكذا، وكان يسوِّي بين الناس في القسم، الحر والعبد والذكر والأنثى والصغير والكبير فيه سواء. وكان يشتري الإبل والخيل والسلاح فيحمل في سبيل الله، واشترى عاماً قطائف أتى بها من البادية، ففرقها في أرامل أهل المدينة في الشتاء، فلما توفي أبو بكر ودُفن دعا عمر بن الخطاب الأمناء ودخل بهم بيت مال أبي بكر ومعه عبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان وغيرهما، ففتحوا بيت المال فلم يجدوا فيه ديناراً ولا درهماً، ووجدوا خيشة للمال، فنقضت فوجدوا فيها درهماً، فرحموا على أبي بكر، وكان بالمدينة وزَّان على عهد

---

(١) البخاري: كتاب النكاح، باب عرض الإنسان ابنته أو أخته على أهل الخير، ح(٤٥٤).

(٢) السنح: إحدى محال المدينة، وبها منزل أبي بكر الصِّدِّيق، وكانت بعوالي المدينة وبينها وبين منزل النبي ﷺ ميل. (انظر: معجم البلدان للحموي، ٣/٢٦٥).

رسول الله ﷺ، وكان يزن ما كان عند أبي بكر من مال، فسئل الوزَّان: كم بلغ ذلك المال الذي ورد على أبي بكر؟ قال: مائتي ألف[1].

إنَّ أبا بكر رضي الله عنه كان نموذجاً رفيعاً في صيانة الأمانات، والورع في مال المسلمين فرضي الله عنه وأرضاه.

ثبات الجبال الرواسي أم ثبات الصِّدِّيق في المحن والمآسي؟:

إن ثبات الصِّدِّيق ورباطة جأشه كانت بحق معلماً فريداً من معالم شخصيته، ومثار إعجاب من القاصي والداني، لقد كان ثباتاً أقوى من ثبات الجبال الرواسي.

فقد مرَّت الأمة الإسلامية بمحطات رئيسة ومواقف عظيمة كادت فيها أن تنقسم وتتشرذم لولا أن قيَّض الله لها الصِّدِّيق أبا بكر رضي الله عنه، ومن هذه المواقف:

١- وفاة النبي ﷺ:

لما توفي النبي ﷺ وتلقى المسلمون الخبر أصيبوا بخطب جلل وما تمالكوا أنفسهم، فهم ما بين رجلٍ باكٍ وآخر لا يصدق وثالث يضرب بكفٍ على كفٍ إلى أن جاء الصِّدِّيق وتدارك الأمر، فسكَّن النفوس وطمأن القلوب.

روى البخاري في صحيحه عن عروة بن الزبير عن عائشة زوج النبي ﷺ: أن رسول الله ﷺ مات وأبو بكر بالسنح - قال إسماعيل يعني بالعالية - فقام عمر يقول: والله ما مات رسول الله ﷺ قالت: وقال عمر: والله ما كان يقع في نفسي إلا ذاك وليبعثنه الله فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم. فجاء أبو بكر فكشف عن رسول الله ﷺ فقبَّله قال: بأبي أنت وأمي طبت حياً ميتاً، والذي نفسي بيده لا يذيقنك الله الموتتين أبداً، ثم خرج فقال: أيها الحالف على رسلك، فلما تكلم أبو بكر جلس عمر، فحمد الله أبو بكر وأثنى عليه وقال: ألا من كان يعبد محمداً ﷺ فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي

---

(١) الطبقات الكبرى:٣/٢١٣.

لا يموت. وقال: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾[١]. وقال: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴾[٢] فنشج الناس يبكون[٣].

وفي رواية أخرى للبخاري: أنَّ أبا بكر ﷺ خرج وعمر ﷺ يكلِّم الناس فقال: اجلس، فأبى، فقال: اجلس فأبى، فتشهَّد أبو بكر ﷺ فمال إليه الناس وتركوا عمر فقال: أما بعد، فمن كان منكم يعبد محمداً ﷺ فإن محمداً ﷺ قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، قال الله تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ - إلى -ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴾. والله لكأن الناس لم يكونوا يعلمون أن الله أنزلها حتى تلاها أبو بكر ﷺ فتلقاها منه الناس فما يسمع بشر إلا يتلوها[٤].

٢- موقفه من اجتماع السقيفة:

ويقصُّ علينا الإمام البخاري فيما يرويه عن أم المؤمنين عائشة بسنده ما دار في السقيفة وما حدث من تدارك أبي بكر للأمر وحسمه للخلاف والنزاع قبل أن ينشب الصراع ويحتدم النزاع.

قال: واجتمعت الأنصار إلى سعد بن عبادة في سقيفة بني ساعدة فقالوا: منا أمير ومنكم أمير، فذهب إليهم أبو بكر وعمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح، فذهب عمر يتكلم، فأسكته أبو بكر، وكان عمر يقول: والله ما أردت بذلك إلا أني قد هيَّأت كلاماً قد أعجبني خشيت أن لا يبلغه أبو بكر، ثم تكلَّم أبو بكر، فتكلم أبلغ الناس، فقال في كلامه: نحن الأمراء وأنتم

---

(١) سورة الزمر الآية «٣٠».

(٢) سورة آل عمران الآية «١٤٤».

(٣) رواه البخاري: كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ: لو كنت متخذاً خليلاً، ح(٣٤٦٧).

(٤) رواه البخاري: كتاب الجنائز، باب الدخول على الميت بعد الموت، ح (١١٨٥).

الوزراء، فقال حباب بن المنذر: لا والله لا نفعل، منا أمير ومنكم أمير، فقال أبو بكر: لا، ولكنا الأمراء وأنتم الوزراء، هم أوسط العرب داراً وأعربهم أحساباً، فبايعوا عمر أو أبا عبيدة بن الجراح، فقال عمر: بل نبايعك أنت، فأنت سيدنا وخيرنا وأحبنا إلى رسول الله ﷺ، فأخذ عمر بيده فبايعه وبايعه الناس...[1].

إن هذا الموقف الحازم والصارم من أبي بكر رضي الله عنه حسم النزاع وقضى على الفتنة في مهدها، وفيه خير دلالة على قوة شكيمة الصِّدِّيق وثباته فرضي الله عنه وأرضاه.

٣- موقفه من قتال المرتدين:

وفي هذا الموقف ظهرت براعة الصِّدِّيق القيادية حين أصرَّ على وجوب مقاتلة من فرَّق بين الصلاة والزكاة حرصاً منه على حفظ أركان الإسلام، وتنقية الصفِّ، وكان رأيه هو الصواب[2].

شهادة النبي ﷺ له بالجنة:

لكل ما سبق وغيره شهد النبي ﷺ للصديق أبي بكر رضي الله عنه بالجنة وبشَّره بها، واستحقَّ أبو بكر أن يكون أول المبشَّرين بالجنة، مكافأة له على ما قدَّم لدين الله بنفسٍ راضيةٍ وقلبٍ مطمئنٍ.

فقد روى مسلم في صحيحه بسنده عن أبي موسى الأشعري قال: بينما رسول الله ﷺ في حائطٍ من حائط المدينة وهو متكئ يركز بعود معه بين الماء والطين إذا استفتح رجل، فقال: افتح وبشِّره بالجنة، قال: فإذا أبو بكر، ففتحت له وبشَّرْته بالجنة، قال: ثم استفتح رجل آخر، فقال: افتح وبشِّره بالجنة، قال: فذهبت فإذا هو عمر ففتحت له وبشَّرته بالجنة، ثم استفتح رجل آخر، قال: فجلس النبي ﷺ، فقال: افتح وبشِّره بالجنة على بلوى تكون، قال:

---

(١) رواه البخاري: كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي: لو كنت متخذاً خليلاً، ح(٣٤٦٧).

(٢) انظر: البخاري: كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة، ح (١٣٣٥).

فذهبت فإذا هو عثمان بن عفان، قال: ففتحت وبشَّرته بالجنة، قال: وقلت الذي قال، فقال: اللهم صبراً، أو الله المستعان[1].

وروى الترمذي بسنده عن عبد الرحمن بن حميد عن أبيه أن سعيد بن زيد حدَّثه في نفرٍ: أن رسول الله ﷺ قال: عشرة في الجنة، أبو بكر في الجنة وعمر في الجنة وعثمان وعلي والزبير وطلحة وعبد الرحمن وأبو عبيدة وسعد بن أبي وقاص قال: فعدَّ هؤلاء التسعة وسكت عن العاشر، فقال القوم: ننشدك الله يا أبا الأعور مَن العاشر؟ قال: نشدتموني بالله، وأبو الأعور في الجنة[2].

فهذه نصوص تشهد بأن الصِّدِّيق أبا بكر إنما هو من أهل الجنة، فهنيئاً لك يا صِدَّيق بالجنة.

كانت هذه لمحات ومقتطفات موجزة من حياة الصِّدِّيق وظهر من خلالها أسبقية الصِّدِّيق أبي بكر إلى الإسلام وحبه لرسول الله ﷺ وتضحيته في سبيل دينه بالغالي والنفيس، وجمعه لعظيم المناقب وجليل الفضائل فرضي الله عنه وأرضاه.

العلاقة بين أبي بكر وأهل البيت رضي الله عنهم أجمعين:

وفي هذا الجزء سنتناول وبإيجاز شديد العلاقة الطيِّبة بين أبي بكر وآل بيت النبي ﷺ باعتبار أننا مطالبون بمعرفة حدود هذه العلاقة الطيبة التي كانت سائدة بين جيل القدوة رضي الله عنهم أجمعين.

إن أكبر معلم من معالم العلاقة الطيبة بين الصِّدِّيق وآل البيت يتمثل في مرافقة الصِّدِّيق للنبي ﷺ في حلِّه وترحاله، ثم في زواج النبي ﷺ من السيدة أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنها.

---

(١) رواه البخاري: كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عمر بن الخطاب، ح(٣٤٩٠) ورواه مسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عثمان، ح(٢٤٠٣).

(٢) رواه الترمذي: كتاب المناقب، باب مناقب عبد الرحمن بن عوف، ح(٣٧٤٨) وقال الشيخ الألباني: صحيح - والحاكم في المستدرك: كتاب معرفة الصحابة، باب ذكر مناقب سعيد بن زيد، ح(٥٨٥٨).

كما أن الناظر إلى سيرة الصِّدِّيق سيجد أن العلاقة بينه وبين آل النبي ﷺ، وبخاصة علي بن أبي طالب كانت علاقة حب ومودة وأخوة وقربى، وما كان علي يتحدث عن الصِّدِّيق إلا بالخير، وكان ﷺ دائم الثناء عليه.

روى ابن عساكر بسنده عن النزال بن سبرة الهلالي قال: وافقنا من علي ابن أبي طالب ذات يوم طيب نفسٍ ومزاح فقلنا له: يا أمير المؤمنين حدثنا عن أصحابك قال: كل أصحاب رسول الله ﷺ أصحابي قلنا: حدثنا عن أصحابك خاصة، قال: ما كان لرسول الله ﷺ صاحب إلا كان لي صاحباً، قلنا: حدثنا عن أصحاب رسول الله ﷺ قال: سلوني، قلنا: حدثنا عن أبي بكر الصِّدِّيق، قال: ذاك امرؤ سمَّاه الله صديقاً على لسان جبريل ومحمد صلى الله عليهما، كان خليفة رسول الله ﷺ رضيه لديننا فرضيناه لدنيانا[1].

وعن عائشة قالت: خرج أبي شاهراً سيفه راكباً على راحلته إلى ذي القصة فجاء علي بن أبي طالب فأخذ بزمام راحلته فقال: إلى أين يا خليفة رسول الله ﷺ؟ أقول لك ما قال لك رسول الله ﷺ يوم أحد: «أشهر سيفك[2] ولا تفجعنا بنفسك» فوالله لئن أصبنا بك لا يكون للإسلام بعدك نظام أبداً، فرجع وأمضى الجيش[3].

وعن محمد بن الحنفية قال: قلت لأبي: يا أبت، مَن خير هذه الأمة بعد نبيها؟ قال: أبو بكر يا بني، قلت: ثم مَن؟ قال: عمر، فخفت من أن قلت: ثم مَن؟ أن يقول: عثمان: قلت: ثم أنت يا أبه؟ قال: ما أبو ك إلا رجل من المسلمين[4].

---

(١) تاريخ دمشق: ٧٥/٣٠. — أسد الغابة: ٢١٦/٣.

(٢) وفي مختصر تاريخ دمشق لابن منظور (٩٨/١٣).أشمر سيفك - وفي الكامل في التاريخ لابن الأثير (٤٢٢/٢) شمّ شيفك - وفي البداية والنهاية لابن كثير (٣٤٦/٦) لمّ سيفك.

(٣) تاريخ دمشق: ٣١٦/٣٠. – البداية والنهاية: ٣٤٦/٦.

(٤) تاريخ دمشق: ٣٤٧/٣٠.

وعن أبي سريحة قال: سمعت علياً يقول على المنبر: ألا إن أبا بكر أوَّاه منيب القلب، ألا إن عمر ناصح الله فنصحه[1].

وأخرج ابن عساكر عن ابن أبي ليلى قال: قال علي: لا أجد أحداً يفضلني على أبي بكر وعمر إلا جلدته حدَّ المفتري[2].

لهذا وغيره كان علي ﷺ وزير صدق للشيخين، أميناً في نصحهما، وما كان يُكنُّ لهما في حياتهما إلا الحب، وبعد وفاتهما إلا الوفاء والثناء، وتسمية أبنائه بأسمائهما.

روى الدارقطني أنه جاء رجل إلى علي بن الحسين فقال: أخبرني عن أبي بكر، قال: عن الصِّدِّيق، تسأل؟ قال: قلت: نعم يرحمك الله، وتسمِّيه الصِّدِّيق؟ قال: ثكلتك أمك، قد سمَّاه صديقاً من هو خير مني ومنك: رسول الله ﷺ والمهاجرون والأنصار، فمَن لم يسمِّه صديقاً، فلا صدَّق الله قوله في الدنيا ولا في الآخرة، فاذهب فأحِبَّ أبا بكر وعمر، وتولَّهما، فما كان من إثم ففي عنقي[3].

وعن عروة بن عبد الله الجعفي، قال: قلت لأبي جعفر (الباقر): أتسمي أبا بكر ﷺ الصِّدِّيق؟ قال: سمَّاه رسول الله ﷺ الصِّدِّيق، فمن لم يسمِّه الصِّدِّيق فلا صدَّق الله قوله في الدنيا ولا في الآخرة[4].

وعن حنان بن سدير، قال: سمعت جعفر «الصادق» بن محمد، وسئل عن أبي بكر، وعمر، فقال: إنك تسألني عن رجلين، قد أكلا من ثمار الجنة[5].

---

(١) تاريخ دمشق: ٣٧٩/٣٠.

(٢) تاريخ دمشق: ٣٨٣/٣٠.

(٣) فضائل الصحابة للدارقطني: ١ /٦٢ - سير أعلام النبلاء: ٣٩٥/٤.

(٤) فضائل الصحابة للدارقطني: ١ / ٥١.

(٥) فضائل الصحابة للدارقطني: ١ / ٧٧. تاريخ الإسلام للذهبي: ٩١/٩.

وقال سالم بن أبي حفصة: قال لي جعفر بن محمد: يا سالم أيسبُّ الرجل جدَّه؟ أبو بكر ﷺ جدي لا نالتني شفاعة محمد ﷺ يوم القيامة إن لم أكن أتولاهما وأبرأ من عدوهما[١].

وذلك أن أم جعفر الصادق هي أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر[٢].

كانت هذه جولة سريعة حول شخصية الصِّدِّيق أبا بكر حاولنا فيها الإيجاز قدر المستطاع، وبات واضحاً من خلالها أن الصِّدِّيق رجل المواقف العظام، والأحداث الجسام، رجل الأخلاق الفاضلة والسيرة الحسنة العاطرة، رجل عاش حياته للإسلام وبالإسلام فاستحق أن يبشر بالجنة من النبي العدنان عليه الصلاة والسلام، فهنيئاً لك يا صديق بالجنة، وهنيئاً لأمة أنت أحد قادتها وعظمائها.

---

(١) تاريخ دمشق: ٢٨٥/٥٤، وسير أعلام النبلاء للذهبي: ٢٥٨/٦.

(٢) فضائل الصحابة للدارقطني: ١ / ٣١. - تاريخ دمشق: ٢٨٥/٥٤.

ثاني العشرة

الفاروق عمر بن الخطاب ﷺ

قوة في رحمة ... وحزم في رقة

عمر بن الخطاب باقة أنس وإطلالة نسب:

اسمه ونسبه ﷺ:

هو: عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط ابن رزاح بن عدي بن كعب، ويكنى أبا حفص وأمه حنتمة بنت هاشم بن المغيرة ابن عبد الله بن عمر ابن مخزوم(١).

وهو من قبيلة بني عدي، وهي قبيلة عظيمة من قبائل قريش، وكانت لها السفارة في قريش.

مولده ﷺ:

ولد عمر رضي الله عنه بعد عام الفيل بثلاث عشرة سنة، وروى أسامة بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده قال: سمعت عمر يقول: ولدت بعد الفجار الأعظم بأربع سنين.(٢)

صفته ﷺ:

لقد حبا المولى جل وعلا عمر بن الخطاب ببعض الصفات الخَلقية الفريدة، والتي تدل أول ما تدل على القوة، وعلى الندرة، من حيث البسطة في الجسم، والملكات الجسدية من نحو أنه كان يعمل بكلتا يديه، وهذا أمر فيه ندرة. ومن هذه الصفات ما أورده صاحب أسد الغابة حيث قال:

كان عمر أعسر يسر يعمل بيديه، وكان أصلع طويلاً قد فرع الناس كأنه على دابة، وقال الواقدي: كان عمر أبيض أمهق(٣) تعلوه حمرة يصفِّر لحيته،

---

(١) الطبقات الكبرى: محمد بن سعد، ٢٦٥/٣.

(٢) راجع: طبقات خلبفة: ١٠٩ ـ الاستيعاب: ١١٤٥/٣.

(٣) المهق: بياض في زرقه، وقيل: هو شدة البياض. انظر: (لسان العرب:٣٤٩/١٠).

وإنما تغيَّر لونه عام الرمادة؛ لأنه أكثر أكل الزيت لأنه حرم على نفسه السمن واللبن حتى يخصب الناس فتغير لونه.

وقال سماك: كان عمر أروح كأنه راكب وكأنه من رجال بني سدوس. والأروح: الذي يتدانى قدماه إذا مشى.

وقال زر بن حبيش: كان عمر أعسر يسر آدم، قال الواقدي: لا يعرف عندنا أن عمر كان آدم إلا أن يكون رآه عام الرمادة.

قال أبو عمر: وصفه زر بن حبيش وغيره أنه كان آدم شديد الأدمة، وهو الأكثر عند أهل العلم[1].

وروى أنه كان طويلاً جسيماً أصلع، شديد الصلع أبيض شديد حمرة العينين، سبلته كثيرة الشعر في أطرافها صهبة[2].

وكان كما يروي الطبراني إذا غضب فتل شاربه ونفخ[3].

إطلالة على بيته (زوجاته وأولاده)ﷺ:

كان نصيب عمر بن الخطاب وافراً من الزوجات والأولاد، فتزوَّج أكثر من واحدة، ورزقه الله جملة من الأولاد ذكوراً وإناثاً.

فالبنسبة لزوجاته ﷺ فهن كالتالي:

١ - زينب بنت مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح.

٢ - أم كلثوم بنت جرول بن مالك بن المسيب بن ربيعة.

٣ - جميلة بنت ثابت بن أبي الأقلح .

٤ - لهية - أم ولد «امرأة من اليمن».

٥ - أم حكيم بنت الحارث بن هشام بن المغيرة.

---

(١) أسد الغابة: ابن الأثير، ٧٨/٤.

(٢) الاستيعاب: ١١٤٦/٣. والسبلة: طرف اللحية من جهة الصدر. انظر: (الكنز اللغوي لابن السكيت/١٧٦). والصهبة: حمرة يعلوها سواد. انظر: (النهاية لابن الأثير٦٢/٣).

(٣) المعجم الكبير: الطبراني، ٦٦/١، باب نسبة عمر، ح(٥٤).

٦- فكيهة ـ أم ولد .

٧ - عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل.

٨- أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب[١].

أما عن أولاده ﷺ فهم:

عبد الله وعبد الرحمن، وزيد الأكبر، وعبد الرحمن الأوسط، وعبيد الله، وعبد الرحمن الأصغر، وحفصة ورقية وزينب وهي أصغر ولد عمر[٢].

عمر في الجاهلية:

نشأ عمر في كنف والده وورث عنه طباعه الصارمة، التي لا تعرف الخور، والحزم الذي لا يدانيه التردد، والتصميم الذي لا يقبل أنصاف الحلول.

وكان ﷺ من أشراف قريش وأعيانها، وإليه كانت السفارة في الجاهلية.

روى ابن عساكر بسنده عن معروف بن خربوذ قال: من انتهى إليه الشرف من قريش فوصله الإسلام عشرة نفر من عشرة بطون من هاشم وآمنة ونوفل وأسد وعبد الدار وتيم ومخزوم وعدي وسهم وجمح، فكان من بني عدي عمر ابن الخطاب وكانت إليه السفارة، إن وقعت حرب بين قريش وبين غيرهم بعثوه سفيراً، وإن فاخرهم مفاخر بعثوه مفاخراً ورضوا به[٣].

ونال السفارة خاصة من بين قومه لصفات جسدية وأخرى شخصية؛ فمن صفاته الجسدية التي أهَّلته لهذا الأمر: أنه كان قوي البنيان، مجدول اللحم، قد زاده الله بسطة في الجسم.

ومن صفات شخصيته ﷺ: أنه كان رابط الجأش، ثابت الجنان، صارماً حازماً، لا يعرف التردد والأَرْجحة، ينأى عن الذبذبة والمراوغة، لا تتناوبه الأهواء المتنازعة، ولا الآراء المشتتة، بل هو نسيج واحد، إذا تحرك تحركت كل قدراته، فحيثما وجد عمر ﷺ وجدت شخصية وإرادة ومنهج، في دقة واتساق،

(١) انظر: الطبقات الكبرى: محمد بن سعد، ٣/ ٢٦٥.

(٢) انظر: الطبقات الكبرى، ٣/ ٢٦٥.

(٣) تاريخ مدينة دمشق: ٤٤/ ٢٥٨-٢٥٩.

كأنه جيش يتحرك بخطى قوية إلى اتجاه واحد محدد، بشخصية فذة ليس لذرة في كيانه عن إرادته شذوذ، أو عن وجهته مهرب.

الفاروق عمر ﷺ بين صفوف المسلمين:

شهد الإسلام في مكة في مهده مواقف شكَّلت بالنسبة له قفزات، ومن أهم تلك المواقف والمشاهد، إسلام الفاروق عمر بن الخطاب، ذلك المشهد العظيم غير المتوقع وتحديداً لدى كثير من المشركين وقتها، وبخاصة مع ما كان يُعرف عن عمر من شدة عداوته للمسلمين، وقسوته عليهم وإيذائه لهم.

إلا أنه ومن باب الإنصاف والاعتراف بالحق يظهر للباحث في شخصية عمر بن الخطاب أن القسوة التي كانت تبدو عليه وتكتنف شخصيته، بل وتسيطر عليها أحياناً ما هي إلا قشرة تخفي ورائها جبال من الرحمة وألواناً من الحنان وأنهراً من الرقة والعطف.

وخير شاهدٍ على ذلك ما روته كتب السير عن زوجة عامر بن ربيعة قالت: والله إنا لنرتحل إلى أرض الحبشة وقد ذهب عامر بن ربيعة في بعض حاجتنا إذ أقبل عمر بن الخطاب حتى وقف عليَّ، قالت: وكنا نلقى منه البلاء أذى لنا وغلظة علينا، فقال: إنه الانطلاق يا أم عبد الله قالت: قلت: نعم، والله لنخرجن في أرض الله، آذيتمونا وقهرتمونا حتى يجعل الله لنا فرجاً، فقال عمر: صحبكم الله، ورأيت منه رقة لم أرها منه قط، قالت: فلما رجع ابن ربيعة من حاجته قلت: يا أبا عبد الله، لو رأيت عمر بن الخطاب أتانا ورقَّته وحزنه علينا، قال عامر: كأنك طمعت في إسلام عمر قالت: قلت: نعم، فقال لها: لا يسلم الذي رأيت حتى يسلم حمار الخطاب إياساً[1].

وكأن هذا الذي قاله عامر بن ربيعة إياساً من إسلام عمر، وشاء الله أن يسلم عمر ابن الخطاب وأن يكون مدداً للمسلمين وقوة لهم.

---

(١) القصة رواها الطبراني في الكبير(٢٩/٢٥) ح(٤٧) ومن طريقه أبي نعيم في المعرفة (٤٨٥/٢٣) ح(٧١٨٧) ورواها البيهقي في الدلائل(٩٥/٢) ح(٥٢٢) وصححها الشيخ الألباني في صحيح السيرة(١٩٠/١) وذكرها ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق (٢٣/٤٤).

وتروي المصادر الحديثية والتاريخية قصة إسلام عمر بن الخطاب وما ورد فيها:

فعن أنس بن مالك قال: خرج عمر متقلداً السيف فلقيه رجل من بني زهرة فقال له: أين تعمد يا عمر؟ قال: أريد أن أقتل محمداً، قال: وكيف تأمن من بني هاشم وبني زهرة وقد قتلت محمداً؟ قال: فقال له عمر: ما أراك إلا قد صبوت وتركت دينك الذي أنت عليه قال: أفلا أدلك على العجب، إن ختنك وأختك قد صبوا وتركا دينك الذي أنت عليه قال: فمشى عمر ذامراً - يعني غضباناً- حتى أتاهما وعندهما رجل من المهاجرين يقال له خباب، قال: فلما سمع خباب بحِسِّ عمر توارى في البيت، فدخل عليهما فقال: ما هذه الهينمة[1] التي سمعتها عندكم قال: وكانوا يقرأون «طه» فقالا: ما عدا حديثاً تحدثناه بيننا قال: فلعلكما قد صبوتما، فقال له ختنه: يا عمر إن كان الحق في غير دينك قال: فوثب عمر على ختنه فوطئه وطئاً شديداً قال: فجاءت أخته لتدفعه عن زوجها فنفحها نفحة بيده فدمي وجهها فقالت وهي غضبى: وإن كان الحق في غير دينك إني أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، قال عمر: أعطوني الكتاب الذي هو عندكم فأقرأه قال: وكان عمر يقرأ الكتب، فقالت أخته: إنك رجس وإنه لا يمسُّه إلا المطهرون، فقم فاغتسل أو توضأ قال: فقام عمر فتوضأ ثم أخذ الكتاب فقرأ «طه» حتى انتهى إلى ﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴾[2] فقال عمر: دلُّوني على محمد ﷺ قال: فلما سمع خباب قول عمر خرج من البيت فقال: أبشر يا عمر فإني أرجو أن تكون دعوة رسول الله ﷺ ليلة الخميس«اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب أو بعمرو بن هشام»، وكان رسول الله ص في الدار التي في أصل الصفا قال: فانطلق عمر حتى أتى الدار وعلى باب الدار حمزة وطلحة وناس من أصحاب

---

(١) الهينمة: الصوت الخفي الذي لايُفهم. (لسان العرب: ابن منظور، ١٢/٦٢٣).

(٢) سورة طه الآية «١٤».

النبي ﷺ فلما رأى حمزة وجل القوم من عمر قال حمزة: هذا عمر إن يرد الله بعمر خيراً يسلم فيتبع النبي ﷺ وإن يرد غير ذلك يكون قتله علينا هيناً قال: والنبي ﷺ داخل يوحى إليه، قال: فخرج رسول الله ﷺ حتى أتى عمر فأخذ بمجامع ثوبه وحمائل السيف وقال: ما أنت بمنته يا عمر حتى ينزل الله بك من الخزي والنكال ما أنزل بالوليد بن المغيرة، فهذا عمر بن الخطاب، اللهم أعز الدين بعمر بن الخطاب، قال: فقال عمر: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك عبده ورسوله[١].

ونلمح في هذه القصة الخطوط العريضة لشخصية الفاروق، فالرجل قوي نعم، شديد نعم، إلا أن هذه الشدة وتلك القوة إنما هما ممزوجتان برحمة دفينة، ورقة هادئة لا تلبث أن تظهر عليه في الأحداث المختلفة، وهذا ما حدث في قصة إسلامه.

وهذا الذي حدث مع عمر كان استجابة من المولى لدعاء نبيه صحين قال: اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب[٢].

وقد اختلف العلماء في السنة التي أسلم فيها عمر بن الخطاب:

فقال بعض العلماء: إن إسلامه كان عقب الهجرة الأولى إلى الحبشة.

وقال بعضهم: كان إسلامه في ذي الحجة سنة ست من البعثة، وكان له وقتها ست وعشرون سنة.

وقال بعضهم: أسلم سنة خمس من البعثة.

وقال بعضهم: أسلم بعد إسلام حمزة بثلاثة أيام[٣].

---

(١) رواه البيهقي في الدلائل: ح(٥١٩) وأبو نعيم في معرفة الصحابة: ٤٠٧/٢٣ ح(٧١٤٧) وانظر: تاريخ الخلفاء، السيوطي، ص١٢٥، ١٢٦ - تاريخ مدينة دمشق: ابن عساكر، ٣٤/٤٤-٣٥، الطبقات الكبرى: ابن سعد، ٣/ ٢٦٧-٢٦٨، دار صادر – بيروت، بدون.

(٢) المعجم الكبير: الطبراني، ١٥٩/١٠، حديث رقم: ١٠٣١٤.

(٣) راجع: سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد: الصالحي الشامي، ٢/ ٤٩٣.

وذكر ابن سعد في طبقاته: عن الزهري عن سعيد بن المسيب قال: أسلم عمر بعد أربعين رجلاً وعشرة نسوة، فما هو إلا أن أسلم عمر فظهر الإسلام بمكة[١].

ويحدثنا ابن سعد في طبقاته عن الأثر الذي أحدثه عمر في الإسلام وحياة المسلمين بعد أن أسلم، فيروي عن صهيب بن سنان أنه قال: لما أسلم عمر ظهر الإسلام ودعي إليه علانية وجلسنا حول البيت حلقاً وطفنا بالبيت وانتصفنا ممن غلظ علينا، ورددنا عليه بعض ما يأتي به[٢].

فهذا الذي ذكره ابن سعد يؤكد لنا ذلك الأثر العظيم الذي أحدثه إسلام عمر في نفوس المسلمين، وتلك القوى المعنوية التي أضافها لهم، الأمر الذي يمكننا القول معه بأن إسلام عمر كان فتحاً على المسلمين، وهذا ما ذكره ابن مسعود حيث روي عنه قوله: «ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر»[٣].

ويروى عن ابن مسعود أنه قال في موضع آخر: قال: كان عمر أعلمنا بكتاب الله وأفقهنا في دين الله، وكان إسلامه فتحاً، وكانت هجرته نصراً، وكانت خلافته رحمة[٤].

وهذا المعنى هو ما ألمح إليه ابن حجر في الإصابة حين قال: وكان إليه- أي عمر-السفارة في الجاهلية، وكان عند المبعث شديداً على المسلمين ثم أسلم، فكان إسلامه فتحاً على المسلمين وفرجاً لهم من الضيق[٥].

---

(١) الطبقات الكبرى: ابن سعد، ٣/ ٢٦٩.

(٢) المصدر السابق: ٣/ ٢٦٩.

(٣) رواه البخاري: كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عمر، ح(٣٤٨١).

(٤) رواه ابن سعد في الطبقات: (٢٧٠/٣) وانظر: سبل الهدى والرشاد: الصالحي الشامي، ٢٧٣/١١.

(٥) الإصابة: ابن حجر ٤٨٤/٤ .

كنية عمر بن الخطاب ﷺ ولقبـه:

قصدت تأخير الحديث عن كنية عمر ولقبه إلى ما بعد الحديث عن إسلامه لارتباط ألقابه ﷺ بإسلامه.

اشتهر عمر بن الخطاب بكنية أبي حفص[١]، وهي كنية أُطلقت عليه وفيها معنى الشدة والقوة؛ لأن حفصاً من أسماء ولد الأسد[٢]، وفي إطلاقه على عمر تشبيه له بالأسد في قوته وشدته؛ لأن أبا صغير الأسد(الشبل) لا يكون إلا أسداً، وقد تكون هذه الكنية نسبة إلى ابنته حفصة، والأمر يحتمل المعنيين.

كما اشتهر عمر أيضاً ببعض الألقاب التي لقب بها وصارت علماً عليه يعرف بها وتعرف به، ومن أشهر هذه الألقاب:

الفاروق:

ويرجع السر في تلقيبه بهذا اللقب إلى أنه أظهر الله به الإسلام، وفرَّق به بين الحق والباطل.

وذلك أن عمر لما أسلم في دار الأرقم أمام النبي ﷺ فكبَّر أهل الدار تكبيرة سمعها أهل المسجد! فقال عمر: فقلت: يا رسول الله! ألسنا على الحق؟ قال: بلى! قلت: ففيم الاختفاء! فخرجنا صفين: أنا في أحدهما وحمزة في الآخر حتى دخلنا المسجد، فنظرتْ قريش إليَّ وإلى حمزة فأصابتهم كآبة شديدة، فسماني رسول الله ﷺ «الفاروق» يومئذ وفرق بين الحق والباطل[٣].

وروى ابن عساكر بسنده عن ابن عباس قال: سألت عمر بن الخطاب، لأي شيء سميت الفاروق؟ قال: أسلم حمزة قبلي بثلاثة أيام قال: فخرجت إلى المسجد فرجع رسول الله ﷺ، فأسرع أبو جهل إلى رسول الله ﷺ يسبه قال: فلما رجع حمزة أُخبر قال: فرفع رداءه وأخذ قوسه ثم خرج إلى المسجد إلى حلقة قريش

---

(١) انظر: تاريخ دمشق: ٤٦٦/٤٤. — تاريخ الطبري: ٢٦٧/٣.

(٢) راجع: مقاييس اللغة، ٨٦/٢.

(٣) انظر: تاريخ الخلفاء:السيوطي، ١٢٨، ١٢٩. - تاريخ دمشق: ٣١/٤٤ — حلية الأولياء: ٤٠/١.

التي فيها أبو جهل قال: فاتكأ على قوسه مقابل أبي جهل قال: فنظر إليه فعرف الشر في وجهه فقال: ما لك يا أبا عمارة؟ قال فرفع القوس فضرب بها أخدعيه[1]. فقطعه فسالت الدماء قال: فأصلحت ذلك قريش مخافة أن يكون بينهم قائدة، قال: ورسول الله ﷺ مختف في دار أرقم بن أبي الأرقم المخزومي قال: فانطلق حمزة مغضباً حتى أتى النبي ﷺ فأسلم، وخرجت بعده بثلاثة أيام فإذا فلان بن فلان المخزومي فقلت له: أرغبت عن دين آبائك واتبعت دين محمد؟ قال: إن فعلت فقد فعله من هو أعظم عليك حقا مني قال: قلت: ومن هذا؟ قال: أختك وختنك قال: فانطلقت فوجدت الباب مغلقاً وسمعت همهمة- ثم ساق خبر إسلامه - قلت: يا رسول الله ألسنا على الحق إن متنا وإن حيينا؟ قال: «بلى والذي نفسي بيده إنكم على الحق إن متم وإن حييتم» قال: فقلنا: ففيم الاختفاء؟ والذي بعثك بالحق لتخرجن فأخرجناه في صفين: حمزة في أحدهما وأنا في الآخر له كديد ككديد الطحين حتى دخلنا المسجد قال: فنظرت إلى قريش وإلى حمزة فأصابتهم كآبة لم يصبهم مثلها، فسماني رسول الله يومئذ الفاروق وفرق بين الحق والباطل، ثم خرجت فكنت لا أشاء أن أرى رجلاً من المسلمين يضرب إلا رأيته قال: ثم ذهبت إلى خالي فقرعت عليه الباب فقال: من هذا؟ فقلت: ابن الخطاب فخرج إليَّ فقلت له: أعلمت أني صبوت؟ قال: فعلت؟ قلت: نعم قال: لا تفعل، ثم دخل وأجاف الباب دوني قال: قلت: ما هذا بشيء قال: فذهبت إلى رجل من أشراف قريش فقرعت عليه بابه فقال: من هذا؟ قلت: ابن الخطاب فخرج فقلت: أشعرت أني صبوت؟ قال: أفعلت؟ قلت: نعم قال: لا تفعل ثم دخل وأجاف دوني الباب. قال: قلت: ما هذا بشيء. قال: فقال لي رجل: أتحب أن تعلم إسلامك؟ قال: قلت: نعم قال: فإذا كان الناس في الحجر جئت إلى ذلك الرجل فجلست إلى جنبه وأصغيت إليه فقلت: أعلمت أني صبوت؟ قال: أو فعلت؟

---

(١) الأخدعان: عرقان في جانبي العنق، وقال ابن منظور: عرقان خفيان في موضع الحجامة من العنق. (انظر: لسان العرب، ٨/٦٦).

قلت: نعم قال: فرفع بأعلى صوته ثم قال: ابن الخطاب قد صبأ وثار الناس عليَّ فضربوني، فضربتهم، فقال رجل: ما هذه الجماعة؟ قالوا: هذا ابن الخطاب قد صبأ، فقام على الحجر ثم أشار بكمه فقال: ألا إني قد أجرت ابن أختي قال: فقلت: لا، حتى يصيبني ما يصيب المسلمين، فأمهلت حتى إذا جاء الناس في الحجر فجئت إلى خالي فقلت: اسمع فقال: ما أسمع؟ قلت: جوارك رد عليك قال: لا تفعل يا ابن أختي، قال: قلت: بل هو رد عليك فقال: ما شئت. قال: ما زلت أضرب الناس ويضربونني حتى أعز الله بنا الإسلام[١].

أرأيتم إلى أي حد كان عمر حريصاً على أن يسمع المشركين خبر إسلامه، وأن يقرع آذانهم بشهادة التوحيد غير مبال بما قد يجره عليه ذلك من محن وخطوب، إن هذا الصحابي الجليل وغيره من أصحاب النبي ﷺ يمثلون قيمة كبيرة في تاريخ المسلمين ومنطلقاً إلى مستقبلهم، وعلى كل مسلم أن يجعل من تضحياتهم نبراساً أمامه يهديه إلى الطريق المستقيم، فرضي الله عنهم أجمعين.

الفاروق رضي الله عنه في طليعة المهاجرين:

لما أراد عمر بن الخطاب أن يهاجر اختار لنفسه طريقة تنبئ عن شخصيته الجريئة ووقوفه في وجه الظلم والاضطهاد والعنت، طريقة جمعت بين طياتها شخصية الفاروق عمر بن الخطاب وأضحت عنواناً له، فعمر لما أراد الهجرة ما هاجر بليل ولا حين غفلة من المشركين، بل هاجر جهاراً نهاراً عياناً بياناً أمام مرأى ومسمع من المشركين، فكانت هجرته تحدٍ سافر لمشاعر المشركين.

فيروي ابن السمان في الموافقة عن علي رضي الله عنه قال:

ما علمت أن أحداً من المهاجرين هاجر إلا مختفياً إلا عمر بن الخطاب، فإنه لما همَّ بالهجرة تقلَّد سيفه وتنكَّب قوسه وانتضى في يده أسهماً واختصر عنزته[٢]، ومضى قِبل الكعبة، والملأ من قريش بفنائها، فطاف بالبيت سبعاً «متمكناً»، ثم أتى المقام فصلَّى ركعتين، ثم وقف على الحلق واحدة واحدة،

---

(١) تاريخ دمشق: ٣٣/٤٤ – تاريخ الإسلام للذهبي: ١٧٩/١.

(٢) العنزة: شبه العكازة. (النهاية لابن الأثير: ٣٦/٢).

وقال لهم: شاهت الوجوه، لا يرغم الله إلا هذه المعاطس[١]، من أراد أن يثكل أمه أو يؤتم ولده أو يرمل زوجته، فليلقني وراء هذا الوادي. قال علي: فلم يتبعه أحد إلا قوم من المستضعفين علمهم ما أرشدهم إليه، ثم مضى لوجهه[٢].

ولعل سائل يسأل ويقول: هل عمر بهجرته هذه كان أجرأ من رسول الله ﷺ حيث لم يهاجر النبي ﷺ إلا خفية من المشركين، ونسي مَن يسأل هذا السؤال أن النبي ﷺ كان مطلوباً من المشركين، وأنه ﷺ حين يهاجر فإن هناك من يقتدي به، فلو حدث وهاجر النبي ﷺ جهاراً نهاراً عياناً بياناً لاقتدى به المسلمون وقلدوه في هجرته، وهم وقتها ضعاف لا شوكة لهم، ولوقعوا تحت طائلة المشركين، فالنبي ﷺ حينما يهاجر فإنه يشرع لأمته كلها ضعافها وأقويائها، وفعل النبي ﷺ وقوله إنما هما محطّ أنظار الأمة واهتمامها، فأراد النبي ﷺ بهجرته أن يحمي آحاد الأمة وضعافها من أن يقعوا فريسة للظلم والظالمين، وإلا فالنبي ﷺ كان أشجع من وطأ الثرى، وهذا ما يحكيه عنه أصحابه وما حوته كتب السنن.

فيقول عنه علي بن ابي طالب وهو من أشجع أصحابه: كنا إذا احمرَّ البأس ولقي القوم القوم اتقينا برسول الله ﷺ، فما يكون منا أحد أدنى من القوم منه[٣].

---

(١) المعاطس: الأنوف، لأن العطاس يخرج منها، وهي كناية عن أصحابها. (النهاية لابن الأثير: ٢٥٧/٣).

(٢) سبل الهدى والرشاد: الصالحي الشامي، ٣ / ٢٢٥.

(٣) رواه أحمد في المسند: ١٥٦/١، مسند علي بن أبي طالب، ح(١٣٤٦) وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح. والحاكم في المستدرك: كتاب قسم الفيء، ح(٢٦٣٣) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

الفاروق عمر ﷺ الملهَم الموهوب:

مَن يتابع سيرة الفاروق عمر سيجد أنه كان ملهماً وموفَّقاً في آرائه، وسيلاحظ أن الوحي نزل يسدِّد آراءه، ويؤيده في مواقف عديدة، ولعل من أشهر هذه المواقف، ما أخبرنا بها عمر نفسه قائلاً فيما رواه عنه البخاري بسنده عن أنس قال: قال عمر: وافقت ربى في ثلاث، قلت: يا رسول الله لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى، فنزلت ﴿ وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴾[(١)]، وآية الحجاب[(٢)] قلت: يا رسول الله لو أمرت نساءك أن يحتجبن فإنه يكلمهن البر والفاجر، فنزلت آية الحجاب، واجتمع نساء النبي ﷺ في الغيرة عليه فقلت لهن: ﴿ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ ﴾.... فنزلت هذه الآية[(٣)(٤)].

وأخرج مسلم عن عمر قال: وافقت ربي في ثلاث: في مقام إبراهيم وفي الحجاب، وفي أسارى بدر[(٥)].

ويقول النووي معلقاً على هذا الحديث: هذا من أجلِّ مناقب عمر وفضائله ﷺ[(٦)].

ولعل هذا مصداقاً لحديث النبي ﷺ: إن الله تعالى جعل الحق على لسان عمر وقلبه[(٧)].

---

(١) سورة البقرة الآية «١٢٥».

(٢) آية الحجاب : المراد بها الآية «٥٩» من سورة الأحزاب.

(٣) سورة التحريم الآية «٥».

(٤) رواه البخاري: كتاب أبواب القبلة، باب ما جاء في القبلة، ح(٣٩٣).

(٥) رواه مسلم: كتاب الفضائل، باب من فضائل عمر بن الخطاب، ح(٢٣٩٩).

(٦) شرح النووي على صحيح مسلم: ١٦٦/١٥، دار الكتاب العربي- بيروت، ط٢، سنة ١٤٠٧هـ .

(٧) رواه الترمذي: كتاب المناقب، باب في مناقب عمر بن الخطاب، ح(٣٦٨٢). وقال الشيخ الألباني: صحيح – وأحمد في المسند: مسند عمر بن الخطاب، ح(٥١٤٥) وقال شعيب: صحيح.

الآثار الواردة في مناقب الفاروق وفضائله:

لقد حاز الفاروق كثيراً من الفضائل والمناقب؛ فهو ذو المقام الثابت المأنوق، أعلن الله تعالى به دعوة الصادق المصدوق، وفرَّق به بين الفصل والهزل، وأيَّد بما قوَّاه به من لوامع الطول، ومهَّد له من منائح الفضل شواهد التوحيد، وبدَّد به مواد التنديد، فظهرت الدعوة ورسخت الكلمة، فجمع الله تعالى بما منحه من الصولة ما نشأت لهم من الدولة، فَعَلَتْ بالتوحيد أصواتهم بعد تخافت، وتثبَّتوا في أحوالهم بعد تهافت، غلب كيد المشركين بما ألزم قلبه من حق اليقين لا يلتفت إلى كثرتهم وتواطيهم، ولا يكترث لممانعتهم وتعاطيهم اتكالاً على مَن هو منشئهم وكافيهم، واستنصاراً بمن هو قاصمهم وشافيهم، محتملاً لما احتمل الرسول ﷺ، ومصطبراً على المكاره لما يؤمل من الوصول، ومفارقاً لمن اختار التنعم والترفيه، ومعانقاً لما كلف من التشمر والتوجيه، المخصوص من بين الصحابة بالمعارضة للمبطلين والموافقة في الأحكام لرب العالمين، السكينة تنطق على لسانه والحق يجري الحكمة عن بيانه، كان للحق مائلاً وبالحق صائلاً وللأثقال حاملاً، ولم يخف دون الله طائلاً[(١)].

وقد وردت روايات كثيرة عن رسول الله ﷺ في فضل الفاروق ومناقبه، ومن هذه الروايات:

١- روى البخاري بسنده عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: لقد كان فيما قبلكم من الأمم ناس محدَّثون، فإن يكن في أمتى أحد فإنه عمر[(٢)].

٢- روى البخاري بسنده عن عبد الله بن عمر ب: أن النبي ﷺ قال: «أريت في المنام أني أنزع بدلو بكرة على قليبٍ، فجاء أبو بكر فنزع ذنوباً أو ذنوبين

---

(١) حلية الأولياء: أبو نعيم، ٣٨/١.

(٢) رواه البخاري: كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عمر، ح(٣٤٨٦).

نزعاً ضعيفاً والله يغفر له، ثم جاء عمر بن الخطاب فاستحالت غرباً[(١)] فلم أرَ عبقرياً يفري فريه حتى روي الناس وضربوا بعطن»[(٢)(٣)].

٣- روى البخاري بسنده عن أبي أمامة بن سهل أنه سمع أبا سعيد الخدرى يقول: قال رسول الله ﷺ: بينا أنا نائم رأيت الناس يعرضون على وعليهم قُمُص منها ما يبلغ الثدى ومنها ما دون ذلك، وعُرض عليَّ عمر بن الخطاب وعليه قميص يجره، قالوا: فما أوَّلت ذلك يا رسول الله، قال: الدين[(٤)].

٤- وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: مرَّ فتى على عمر فقال عمر: نعم الفتى، قال: فتبعه أبو ذر فقال: يا فتى استغفر لي، فقال: يا أبا ذر، أستغفر لك وأنت صاحب رسول الله ﷺ قال: استغفر لي، قال: لا أو تخبرني؟ فقال: إنك مررت على عمر، فقال: نِعم الفتى، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه[(٥)].

---

(١) أي تحولت دلواً عظيمة. (انظر: النهاية في غريب الحديث، (٤٦٣/١).

(٢) معنى العطن: الضرب بعَطَن إذا رويت الإبل ثم بركت حول الماء، والمراد اتساع الأمصار، والغَرْب: الدلو العظيمة التى تتخذ من جلد الثور.

(٣) رواه البخاري: كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عمر، ح(٣٤٧٩) ومسلم في صحيحه: باب من فضائل عمر، ح(٣٦٤٧).

(٤) رواه البخاري: كتاب التعبير باب القميص في النوم، ح(٦٦٠٦). ورواه مسلم: باب من فضائل عمر بن الخطاب، ح(٢٣٩٠).

(٥) رواه الحاكم في المستدرك: كتاب معرفة الصحابة، باب من مناقب عمر، ح(٤٥٠١) وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذه السياقة. وقال الذهبي في التلخيص: على شرط مسلم.

وفي رواية الترمذي عن ابن عمر: إن الله تعالى جعل الحق على لسان عمر وقلبه[١].

فهذه النصوص وغيرها تشهد بفضل عمر بن الخطاب ومكانته في الإسلام، وتصرِّح بما لا يدع مجالاً للشَّك أن هذا الصحابي هو من خِيرة أصحاب النبي ﷺ، ومن حملة لواء الدعوة، وأمانة التبليغ، وهي بمثابة طعنات في قلوب من استحلوا واستباحوا سبّ الفاروق ولعنه، عليهم من الله ما يستحقون.

الفاروق عمر ﷺ ونفسه التوَّاقة للجهاد:

ومن شمائل الفاروق ﷺ: حبّ الجهاد في سبيل الله، والناظر إلى سيرته ﷺ يرى أنه ومنذ بدء الإسلام كانت صفحات الجهاد العمرية تتوالى غزوة تلو غزوة، ومعركة تلو معركة حتى آخر أيامه ﷺ.

فشهد عمر بن الخطاب ﷺ مع النبي ﷺ بدراً، وأُحداً، والخندق، وبيعة الرضوان، وخيبر، وفتح مكة، وحُنيناً، وغيرها من المشاهد الجسام في العهد النبوي، وكان له في كل موقعة بصمات واضحة.

أكرم بالسابق وأنعم باللاحق:

كانت وفاة الصِّدِّيق ﷺ في يوم الإثنين عشية وقيل: بعد المغرب، ودُفن من ليلته، وذلك لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة بعد مرض خمسة عشر يوماً، وكان عمر بن الخطاب يُصلي عنه فيها بالمسلمين، وفي أثناء هذا المرض عهد بالأمر من بعده إلى عمر بن الخطاب ﷺ، وكان الذي كتب العهد عثمان بن عفان، وقرئ على المسلمين فأقروا به وسمعوا له وأطاعوا، فكانت خلافة الصِّدِّيق سنتين وثلاثة أشهر، وكان عمره يوم توفي ثلاثاً وستين سنة، للسن الذي توفي فيه رسول الله ﷺ، وقد جمع الله بينهما في التربة، كما جمع بينهما في الحياة، فرضي الله عنه وأرضاه[٢].

---

(١) رواه الترمذي: كتاب المناقب، باب في مناقب عمر بن الخطاب ح(٣٦٨٢). وقال الشيخ الألباني: صحيح.

(٢) البداية والنهاية: ابن كثير، ١٨/٧.

ولـي الفـاروق ﷺ الخلافـة بعهـد مـن الصِّـدِّيق ﷺ بعـد أن استشـار كبـار الصحابة وتبيَّن له أنهم لا يعدلون بعمر أحداً، فعهد له بالخلافة بعده.

وكانت خلافة الفاروق خلافة نصر وبركة زادت فيها الفتوحات، واتسعت فيها رقعة الدولة الإسلامية، وتصدَّع فيها مُلك فارس، ورحل الحكم الكسروي بلا رجعة.

وكان الفاروق عمر بن الخطاب ﷺ أول من لُقِّب بأمير المؤمنين(١).

وأصل ذلك أن عمر ﷺ بعث إلى عامله بالعراق أن يبعث إليه لبيد بن ربيعة وعدي بن حاتم ﷺ فلما وصلا المدينة دخلا المسجد، فوجدا عمرو بن العاص ﷺ فقالا له: استأذن لنا على أمير المؤمنين، فقال لهما عمرو: أنتما والله أصبتما اسمه، ثم دخل على عمر ﷺ فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين، فقال: ما بدا لك يابن العاص لتخرجن من هذا القول، فقص عليه القصة، فأقرَّه على ذلك، فكان ذلك أول تلقيبه بأمير المؤمنين(٢).

وكانت هذه هي البداية الفعلية لظهور هذا اللقب، وكان أول من تلقَّب به - كما سبق- هو سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ.

---

(١) الإمارة في اللغة تحمل معنى الملك والقيام بأمر الغير. ورد في لسان العرب: «الأمير»: ذو الأمر، والأمير: الآمر. «انظر: لسان العرب: ابن منظور، ٤/٢٧».

وفي التعاريف:«الإمارَة بالكسر»: الولاية، وبالفتح العلامة. (انظر: الجرجاني: التعاريف، ص٩٠). وقد تأتي الإمارة مطلقة، أو مقيدة بإمارة المؤمنين العامة، وتعني رياسة المسلمين العامة، وتكون مرادفة للخلافة والولاية.

(٢) مآثر الإنافة في معالم الخلافة: القلقشندي، ١/٢٧، مطبعة حكومة الكويت- الكويت، ط٢، سنة ١٩٨٥م.

ولزم هذا اللقب كل من ولي الخلافة بعد عمر بن الخطاب ﷺ خلا خلفاء بني أمية بالأندلس، فإنهم كانوا يُخاطَبون بالإمارة فقط إلى أن ولى منهم عبد الرحمن بن محمد المعروف بالمقتول[١]، فتلقب بأمير المؤمنين، واستمرّ ذلك فيهم إلى حين انقراضهم[٢].

من ثمار خلافة الفاروق عمر:

خلافة الفاروق عمر ﷺ كانت خلافة خير وبركة على المسلمين، فكثُر فيها الخير، وأُقيم فيها العدل، وقُتلت فيها الفتنة، وكثرت فيها الفتوحات الإسلامية التي كانت تعدُّ إيذاناً بعصرٍ جديدٍ للإسلام، فاتَّسعت في خلافة الفاروق رقعة الدولة الإسلامية، وكسر المسلمون الفرس في معقلهم، وخسر الروم أكبر حامياتهم.

وكان من أشهر الفتوحات والمواقع في خلافة الفاروق عمر:

فتح دمشق - وقعة النمارق - وقعة الجسر - وقعة البويب - غزوة القادسية - وقعة حمص الأولى - وقعة قنسرين - وقعة قيسارية - وقعة أجنادين - فتح بيت المقدس - فتح المدائن - وقعة جلولاء - فتح حلوان - فتح تكريت والموصل ... فتح الأهواز ومنازر - فتح تستر - غزو بلاد فارس - فتح مصر - فتح الري - فتح جرجان - غزوة الأكراد[٣].

---

(١) عبد الرحمن بن محمد: عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد أول من تلقَّب بالخلافة من رجال الدولة الأموية في الأندلس، ولي الخلافة بعد موت أبيه في أول ربيع الآخر سنة ثلاث مئة من الهجرة، وظلَّ عليها خمسين سنة، وكانت ولايته مما يستغرب، لأنه كان شاباً، وأعمامه وأعمام أبيه حاضرون، فتصدَّى لها، واحتازها دونهم، ووجد الأندلس مضطربة بالمخالفين، مضطرمة بنيران المتغلبين، فأطفأ تلك النيران، واستنزل أهل العصيان، واستقامت له الأندلس في سائر جهاتها. «انظر: سير أعلام النبلاء: الذهبي، ١٥٦/١٤، وهامشها، تحقيق: نذير حمدان».

(٢) انظر: مآثر الإنافة في معالم الخلافة: القلقشندي، ٢٨/١.

(٣) راجع: فتوح البلدان: البلاذري، ١٠٤/١-، ١٣٥، ١٣٨، ١٦٤، ٢٥٤، ٣٠٥، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة - البداية والنهاية: ١٩/٧-١٣٠.

أوَّليَّات الفاروق عمر رضي الله عنه:

استحدث الفاروق أموراً لم يسبقه فيها أحد، وكانت موضع إشادةٍ من القاصي والداني والقريب والبعيد والعدو والصِّدِّيق، ومن ضمن هذه الأمور التي سبق فيها الفاروق ما يلي:

قال العسكري: هو أول من سُمي بأمير المؤمنين، وأول من كتب التاريخ من الهجرة، وأول من اتخذ بيت المال .. وأول من عسَّ بالليل[(١)]، وأول من عاقب على الهجاء، وأول من ضرب في الخمر ثمانين .. وأول من نهى عن بيع أمهات الأولاد، وأول من جمع الناس في صلاة الجنائز على أربع تكبيرات، وأول من اتخذ الديوان، وأول من فتح الفتوح ومسح السواد، وأول من حمل الطعام من مصر في بحر أيلة إلى المدينة، وأول من احتبس صدقة في الإسلام، وأول من أعال الفرائض، وأول من أخذ زكاة الخيل، وأول من قال: أطال الله بقاءك، قاله لعلي، وأول من قال: أيَّدك الله، قاله لعلي[(٢)].

كما ورد أيضاً أن عمر:

- أول من اتخذ الدِّرة[(٣)].
- أول من استقضى القضاة في الأمصار.
- أول من مصَّر الأمصار[(٤)].
- أول من اتخذ القناديل في المساجد.
- أول من اتخذ دار الدقيق.
- أول من أخرج اليهود من الحجاز إلى الشام[(٥)].

---

(١) عسَّ: طاف بالليل ليتفقَّد الرعية. (انظر: مختار الصَحَّاح لمحمد بن أبي بكر الرازي، ص٢٢٧).

(٢) تاريخ الخلفاء: السيوطي، ص١٥٥، ١٥٦، بتصرف.

(٣) الدِّرة: التي يضرب بها. (انظر: لسان العرب لابن منظور، ٤/٢٨٢).

(٤) مصَّر الأمصار: أي مدَّن المدائن وحدَّدها. (انظر: تاج العروس للزبيدي، ٧/٤٨٤).

(٥) راجع: المصدر السابق، ص١٥٦.

كانت هذه أموراً لم يُسبق إليها الفاروق ﷺ وكلها شاهدة على عظمته وسياسته الحكيمة التي أدار بها دولة الإسلام، وقضَّ بها مضاجع الظالمين وعروش المتكبرين، فرحم الله الفاروق رحمة واسعة.

الفاروق عمر ﷺ في قافلة الشهداء وموكب العظماء:

كانت وفاة الفاروق عمر ﷺ سنة ثلاث وعشرين من الهجرة، واختلف العلماء في عمره يوم مات، فقال بعضهم: إنه قتل وهو ابن خمس وخمسين سنة، وقال بعضهم: قتل وهو ابن ست وخمسين سنة، وقيل: ثلاث وخمسين، وقيل: ثلاث وستين، وقيل: خمس وستين، وقيل: قتل وهو ابن ستين سنة، وقال الواقدي: وهو أثبت الأقاويل عندنا[(١)].

وملخَّص ما ورد في قصة استشهاد الفاروق عمر بن الخطاب:

روى ابن الأثير بسنده عن أبي رافع قال: كان أبو لؤلؤة عبداً للمغيرة ابن شعبة، وكان يصنع الأرحاء، وكان المغيرة يستغله كل يوم أربعة دراهم، فلقي أبو لؤلؤة عمر فقال: يا أمير المؤمنين، إن المغيرة قد أثقل عليَّ غلتي، فكلِّمه يخفف عني فقال له عمر: اتق الله وأحسن إلى مولاك، ومن نية عمر أن يلقى المغيرة فيكلمه يخفف عنه، فغضب العبد وقال: وسع الناس كلهم عدله غيري، فأضمر على قتله، فاصطنع له خنجراً له رأسان وشحذه وسمَّه، ثم أتى به الهرمزان فقال: كيف ترى هذا؟ قال: أرى أنك لا تضرب به أحداً إلا قتلته قال: فتحيَّن أبو لؤلؤة عمر فجاءه في صلاة الغداة حتى قام وراء عمر، وكان عمر إذا أقيمت الصلاة يقول: أقيموا صفوفكم فقال: كما كان يقول، فلما كبَّر وجأه أبو لؤلؤة في كتفه، ووجأه في خاصرته، وقيل: ضربه ست ضربات فسقط عمر وطعن بخنجره ثلاثة عشر رجلاً فهلك منهم سبعة، وأفرق منهم ستة، وحمل عمر فذهب به[(٢)].

---

(١) انظر: البداية والنهاية، ١٣١/٧.

(٢) أسد الغابة: ابن الاثير، ٧٦/٤.

وذكر ابن سعد في الطبقات أن عمر قال لابنه عبد الله بعد أن طُعن:

يا عبد الله، اذهب إلى عائشة أم المؤمنين فقل لها: يقرأ عليك عمر السلام، ولا تقل أمير المؤمنين فإني لست لهم اليوم بأمير، يقول: تأذنين له أن يُدفن مع صاحبيه، فأتاها ابن عمر فوجدها قاعدة تبكي، فسلَّم عليها، ثم قال: يستأذن عمر بن الخطاب أن يُدفن مع صاحبيه، فقالت: قد والله كنت أريده لنفسي ولأوثرنه به اليوم على نفسي، فلما جاء قيل: هذا عبد الله بن عمر، فقال عمر: ارفعاني فأسنده رجل إليه، فقال: ما لديك؟ فقال: أذنت لك، قال عمر: ما كان شئ أهم إليَّ من ذلك المضجع يا عبد الله بن عمر، انظر إذا أنا مت فاحملني على سرير ثم قف بي على الباب فقل: يستأذن عمر بن الخطاب، فإن أذنت لي فأدخلني، وإن لم تأذن فادفني في مقابر المسلمين، فلما حمل فكأن المسلمين لم تصبهم مصيبة إلا يومئذ قال: فأذنت له، فدفن رحمه الله حيث أكرمه الله مع النبي ﷺ وأبي بكر، وقالوا له حين حضره الموت: استخلف فقال: لا أجد أحداً أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض، فأيهم استخلف فهو الخليفة من بعدي، فسمَّى علياً وعثمان وطلحة والزبير وعبد الرحمن وسعداً، فإن أصابت سعداً فذاك، وإلا فأيهم استخلف فليستعن به فإني لم أعزله عن عجز ولا خيانة، قال: وجعل عبد الله معهم يشاورونه وليس له من الأمر شئ[1].

فهذه هي قصة وفاة الفاروق عمر رضي الله عنه، وهذه القصة تحمل بين ثناياها نهاية الفاروق التي كان يتمناها ويدعو بها، فقد روي البخاري بسنده عن عمر أنه كان يدعو ربه قائلاً: اللهم ارزقني شهادة في سبيلك، واجعل موتي في بلد رسولك[2].

---

(١) الطبقات الكبرى: ٣ /٣٣٧-٣٣٩.

(٢) صحيح البخاري: أبواب فضائل المدينة، باب كراهية النبي أن تعرَّى المدينة، ح(١٧٩١).

وقد أجاب الله مطلبه وزاده عليه، فرزقه الشهادة حتى ينال أجر الشهداء، وأنعم عليه بأن دفُن بجوار النبي ﷺ، وليس في بلده فقط.

ويلاحظ في قصة الوفاة السابقة ذلك الأدب العالي الذي لازم عمر حتى وفاته بل وبعد وفاته، حين أرسل يستأذن السيدة عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ في أن يدفن بجوار صاحبيه، ثم لم يكتف بموافقة السيدة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في حياته، بل طلب أن تُستأذن مرة ثانية بعد وفاته وقبل أن يدخل ليُدفن، مخافة أن تكون موافقتها الأولى استحياء منه في حياته.

شهادة صدق عن عظيمٍ راحل:

ولما مات عمر حزن الصحابة عليه حزناً شديداً، وانفتح في الإسلام باب خرجت منه رياح الفتن، التي لا يزال المسلمون يعانون آثارها إلى اليوم.

قال عبد الله بن مسعود بعد موت الفاروق عمر: كان عمر حصناً حصيناً للإسلام يدخلون فيه ولا يخرجون منه، فلما مات عمر انثلم الحصن، فالناس يخرجون من الإسلام[١].

وعن سلمة بن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف قال: لما مات عمر بن الخطاب بكى سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل فقيل: ما يبكيك؟ فقال: لا يبعد الحق وأهله اليوم يهي أمر الاسلام[٢].

وروي أن سعيد بن زيد بكى فقال له قائل: يا أبا الأعور ما يبكيك، فقال: على الإسلام أبكي، إن موت عمر ثلم الإسلام ثلمة[٣] لا ترتق إلى يوم القيامة[٤].

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير، ح(٨٨٠٤) – وابن أبي شيبة في المصنف: ٣٥٤/٦، باب ما ذكر في فضل عمر، ح(٣١٩٧٧) – وعبد الرزاق في المصنف: ٢٣١/١١، باب بيع أمهات الأولاد، ح(٢٠٤٠٧).

(٢) تاريخ دمشق: ٤٩٥/٤٤.

(٣) الثلمة: الخرق الذي يقع في طرف الشيء. (انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس، ٣٨٤/١).

(٤) الطبقات الكبرى: ٣٧٢/٣.

وقال أبو عبيدة بن الجراح يوماً وهو يذكر عمر فقال: إن مات عمر رق الإسلام ما أحب أن لي ما تطلع عليه الشمس أو تغرب وأني أبقى بعد عمر، قال قائل: ولمَ؟ قال سترون ما أقول إن بقيتم، أما هو فإن ولي وال بعد عمر فأخذهم بما كان عمر يأخذهم به لم يطع له الناس بذلك ولم يحملوه، وإن ضعف عنهم قتلوه[١].

وروي عن الحسن أنه قال: أي أهل البيت لم يجدوا فَقْدَ عمر، فهم أهل بيت سوء[٢].

وعن ربعي بن حراش عن حذيفة كان الإسلام في زمن عمر كالرجل المقبل لا يزداد إلا قربا فلما قتل عمر رحمه الله كان كالرجل المدبر لا يزداد إلا بعداً[٣].

وقال أنس بن مالك: لما أُصيب عمر بن الخطاب قال أبو طلحة: ما من أهل بيت من العرب حاضر ولا باد إلا قد دخل عليهم بقتل عمر نقص[٤].

إن هذا الكلام الذي نعى به الصحابة رضوان الله عليهم عمر بن الخطاب ﷺ يدل أول ما يدل على دور عمر الفاعل في حياة الأمة، وعلى حبهم الشديد له، وحزنهم على فقده.

---

(١) تاريخ دمشق: ٣٣٥/٤٤.

(٢) انظر: الطبقات الكبرى: ٣٧٣/٣ .

(٣) تاريخ دمشق: ٤٥٩/٤٤.

(٤) الطبقات الكبرى: ٣٧١/٣-٣٧٥.

الفاروق عمر بن الخطاب ﷺ: وقفات وتأملات:

وفي هذا الجزء سنقف وقفات سريعة مع الفاروق عمر، نتأمل فيها ملامح عبقريته وخصائص شخصيته، وفصولاً من سيرته رضي الله عنه وأرضاه.

ملامح شخصية الفاروق عمر ﷺ:

عمر بن الخطاب شخصية فريدة في دنيا الناس، جمعت بين طيَّاتها خصائص ومقومات قلما تتوفر لغيره، ففيها شدة الحق، وفيها رهبة العدل، وفيها رحمة القلب، وفيها الخضوع والتذلل والانقياد والانكسار للمولى جل وعلا.

ولو أردنا أن نجمل شخصية عمر بن الخطاب في كلمة واحدة فستكون بلا أدنى شك: «العبقرية».

وهي الكلمة التي أطلقها النبي ﷺ وعني بها عمر بن الخطاب، حيث قال:« ... لم أر عبقرياً يفري فريه»[1].

وهذه الكلمة لا يقولها إلا عظيم، خلق لسياسة الأمم، وقيادة الرجال.

فالنبي ﷺ نفذت بصيرته إلى أعماق نفس عمر، وعرف بالبديهة الصائبة والوحي الصادق، ملامح عبقريته، ولأي المواقف يصلح، وبأي الأعمال يضطلع، ومتى يحن أوانه، وتجب ندبته، ومتى ينبغي التريُّث في أمره إلى حين.

وقد كان عمر قوي النفس بالغاً في القوة النفسية، ولكنه على قوته البالغة، لم يكن من أصحاب الطمع والاقتحام، ولم يكن ممن يندفعون إلى الغلبة والتوسع في الجاه والسلطان بغير دافعٍ يحفزه إليه وهو كاره، لأنه كان مفطوراً على العدل وإعطاء الحقوق والتزام الحرمات[2].

وهذه الصفات جعلت عمر خليقاً أن يستوى على مكان الزعامة والقيادة بين قبيلته الصغرى بني عدي، وقبيلته الكبرى قريش، بل بين العرب جميعاً، بل لا أغالي إذا قلت: بين العالم أجمع.

---

(١) شرح النووى على صحيح مسلم: ١٥/ ١٦٢.

(٢) العقاد: عبقرية عمر، ص١٤، نهضة مصر- القاهرة، سنة ١٤٠٩هـ.

مهابة الفاروق عمر ﷺ:

ولو أردنا أن نتحدث عن بعض ملامح هذه الشخصية العبقرية، فإن أول ما يمثل بين أيدينا هو تلك المهابة التي أودعها الله شخصية عمر، فلا يراه أحد إلا ويهابه، حتى قال له النبي ﷺ: ما لقيك الشيطان سالكاً فجًّا إلا وسلك فجاً غير فجِّك[1].

ويذكر لنا الإمام أحمد بن حنبل رواية أخرى تدل على مهابة الفاروق وخوف الشيطان منه، فيروي في مسنده عن عبد الله بن بريدة عن أبيه أن أَمة سوداء أتت رسول الله ﷺ ورجع من بعض مغازيه فقالت: إني كنت نذرت إن ردَّك الله صالحاً أن أضرب عندك بالدفِّ، قال: إن كنت فعلت فافعلي، وإن كنت لم تفعلي فلا تفعلي. فضربت، فدخل أبو بكر وهي تضرب، ودخل غيره وهي تضرب، ثم دخل عمر، قال: فجعلت دفَّها خلفها وهي مقنَّعة، فقال رسول الله ﷺ: إن الشيطان ليفرق منك يا عمر، أنا جالس ههنا ودخل هؤلاء فلما أن دخلت فعلت ما فعلت[2].

وهناك أمثلة أخرى تدل على مدى تمكُّن هذه الصفة من الفاروق ﷺ وتغلغلها في شخصيته، وما ذُكر فيه البيان والإفادة.

وهذه المهابة التي كست شخصية الفاروق عمر ﷺ كانت واضحة للصَّدِيق قبل العدو، وعلى حدِّ تعبير العقاد:

«إن الذين يعرفون عمر أهيب له من الذين يجهلونه، وتلك علامة على أن هيبته كانت قوة نفس تملأ الأفئدة قبل أن تملأ الأنظار»[3].

---

(١) صحيح البخاري: كتاب بدء الخلق، باب مناقب المهاجرين، ح(٣٤٨٠).

(٢) مسند أحمد: ٣٥٣/٥، حديث بريدة الأسلمي ﷺ، ح(٢٣٠٣٩) وقال شعيب: إسناده حسن.

(٣) العقاد: عبقرية عمر، ص٢٤.

وللفراسة رجال:

روى الطبراني بسنده عن أبي أمامة عن رسول الله ﷺ أنه قال: اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله[1].

ومَن يتأمل هذه الرواية يجد أنها تكاد تنطبق على الفاروق عمر بن الخطاب، فكان عمر بجانب هيبته يتمتع بفراسة عظيمة ونادرة، قلما تتوفر لكثيرٍ من الناس، ومن أشهر الأمثلة على فراسة الفاروق ما يلي:

ما رواه ابن الأثير عن ميمون بن مهران عن ابن عمر عن أبيه أنه كان يخطب على منبر رسول الله ﷺ يوم الجمعة، فعرض له في خطبته أن قال: يا سارية الجبل الجبل من استرعى الذئب ظلم، فالتفت الناس بعضهم إلى بعض، فقال علي: ليخرجن مما قال، فلما فرغ من صلاته قال له علي: ما شئ سنح لك في خطبتك؟ قال: وما هو؟ قال: قولك: يا سارية الجبل الجبل من استرعى الذئب ظلم، قال: وهل كان ذلك مني، قال: نعم، قال: وقع في خلدي أن المشركين هزموا إخواننا فركبوا أكنافهم وأنهم يمرون بجبلٍ، فإن عدلوا إليه قاتلوا من وجدوا وقد ظفروا وإن جاوزوا هلكوا، فخرج مني ما تزعم أنك سمعته، قال: فجاء البشير بالفتح بعد شهر، فذكر أنه سمع في ذلك اليوم في تلك الساعة حين جاوزوا الجبل صوتاً يشبه صوت عمر، يا سارية الجبل الجبل، قال: فعدلنا إليه، ففتح الله علينا[2].

وخلاصة هذا أن الفاروق عمر كان رجلاً نادراً بكل ما تعنيه الكلمة، رجلاً نادراً بما تراه منه العين، وبما تشهد به الأعمال والأخلاق، نادر في مقاييس الأقدمين ومقاييس المحدثين[3].

---

(1) رواه الطبراني في المعجم الكبير: ح(٧٥١٣) وفي الأوسط: ح(٣٢٥٤) وقال الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه الطبراني وإسناده حسن. (مجمع الزوائد: ١١/١٧٠ ح(١٧٩٤٠).

(2) أسد الغابة: ابن الأثير، ٢/٢٤٤.

(3) عبقرية عمر: العقاد، ص٣٠.

وهذه الندرة هي إحدى ميزات شخصية الفاروق، تلك الشخصية الفريدة من نوعها والتي احتوت على معالم وعلامات لا تتوفر إلا للعظماء من الناس.

بين عمر والعدل:

بين عمر بن الخطاب ﷺ وصفة العدل حنين واضح، وعلاقة من نوعٍ خاص، فحيثما ذُكِر عمر ذُكر العدل، وإذا ذُكر العدل ذُكر عمر.

روى الترمذي بسنده عن أبي هريرةَ قَال: قَال رسول الله ﷺ: إن الله جعل الْحق على لسانِ عمر وقَلبه[1].

ويبدو من هذا الحديث أن صفة العدل التي اتصف بها عمر ﷺ وأضحت عنواناً عليه إنما هي هبة ومنحة من الله له، فالله أودع قلبه العدل وجعله على لسانه وبهذا استحقَّ عمر أن يتصف بهذه الصفة، ومن شواهد هذه الصفة في حياة الفاروق ﷺ:

روى البيهقي وعبد الرزاق بسندهما عن ابن عمر قال: شرب أخي عبد الرحمن بن عمر وشرب معه أبو سروعة عقبة بن الحارث وهما بمصر في خلافة عمر فسكرا فلما أصبحا انطلقا إلى عمرو بن العاص وهو أمير مصر فقالا: طهرنا فإنا قد سكرنا من شراب شربناه، فقال عبد الله: فذكر لي أخي أنه سكر، فقلت: ادخل الدار أطهِّرك، ولم أشعر أنهما أتيا عمراً، فأخبرني أخي أنه قد أخبر الأمير بذلك، فقال عبد الله: لا يحلق القوم على رؤوس الناس ادخل الدار أحلقك، وكانوا إذ ذاك يحلقون مع الحدود، فدخل الدار فقال عبد الله: فحلقت أخي بيدي، ثم جلدهم عمرو، فسمع بذلك عمر، فكتب إلى عمرو أن أبعث إليَّ بعبد الرحمن على قتب ففعل ذلك، فلما قدم على عمر جلده

---

(١) سنن الترمذي: كتاب المناقب، باب ما جاء في مناقب عمر، ح(٣٦٨٢) وقال الشيخ الألباني: صحيح. - وأحمد في المسند: مسند أبي هريرة، ح(٩٢٠٢). وقال الهيثمي في المجمع: رواه أحمد والبزار والطبراني في الأوسط ورجال البزار رجال الصحيح غير الجهم بن أبي الجهم وهو ثقة. مجمع الزوائد :٣٦٨/٨، ح(١٤٤٢١).

وعاقبه لمكانه منه ثم أرسله فلبث شهراً صحيحاً، ثم أصابه قدره فمات، فيحسب عامة الناس أنما مات من جلد عمر ولم يمت من جلد عمر[١].

إن عمر ﷺ رجل من نوع خاص، رجل لا يخاف في الله لومة لائم، رجل ملك العدل عليه قلبه وأمره كله فأصبح لا يطلب إلا العدل ولا يبالي في سبيل ذلك بأي أحد حتى ولو كان من أقرب الناس إليه، حتى ولو كان ولده .لذلك نجده ينهى أهله أشد النهي حذرًا من وقوعهم في أي مخالفة، ويتوعدهم بأن من يقع منهم في أمر فإنه سيضاعف عليه العقوبة.

يقول ابن عمر رضي الله عنهما: كان عمر إذا نهى الناس عن شيء جمع أهله وقال: إني قد نهيت الناس عن كذا وكذا وإنهم إنما ينظرون إليكم نظر الطير إلى اللحم فإن وقعتم وقعوا، وإن هبتم هابوا، وأيم الله لا أوتى برجل منكم فعل الذي نهيت عنه إلا أضعفت عليه العقوبة، لمكانه مني فمن شاء فليتقدم ومن شاء فليتأخر[٢].

إن عمر ﷺ فعل ذلك لأنه يعلم أن إقامة العدل بين الناس واجب من أقدس الواجبات وأهمها، وليس أمراً تطوعياً متروكاً لهوى حاكمٍ أو رغبة أمير.

لهذا أجمع العلماء كما قال الفخر الرازي على أن من كان حاكما وجب عليه أن يحكم بالعدل، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ ﴾[٣][٤].

---

(١) رواه البيهقي في الكبرى: كتاب الأشربة باب ما جاء في وجوب الحدِ على من شرب خمراً، ح(١٧٢٧٥).

وعبد الرزاق في المصنف: كتاب الأشربة، باب الشراب في رمضان، ح(١٧٠٤٧).

(٢) مصنف عبد الرزاق: كتاب العلم، باب لزوم الجماعة، ح(٢٠٧١٣).

(٣) سورة النساء الآية «٥٨».

(٤) تفسير الرازي: ١٠/١٤٠.

وهذا العدل العمري ماكان حكراً على المسلمين وحدهم بل كان عاماً للجميع فإن الناس في الحقوق سواء، والمولى تعالى يقول: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾[1].

روى الإمام مالك في الموطأ بسنده عن سعيد بن المسيب، أن عمر بن الخطاب اختصم إليهِ مسلِم ويهودي، فرأى عمر أنَّ الحقَّ لليهودي، فقضى له، فقال له اليهودي: والله لقد قضيت بالحقِّ. فضربه عمر بن الخطاب بالدِّرَّة، ثم قال: وما يدريك؟ فقال له اليهودي: إنا نجد أنه ليس قاضٍ يقضي بالحقِّ إلا كان عن يمينه ملك وعن شماله ملك يسدِّدانه، ويوفِّقانه للحقِّ ما دام مع الحقِّ، فإذا ترك الحقَّ عرجا وتركاه[2].

ولعل من أشهر الأمثلة على عدل الفاروق عمر ﷺ مع غير المسلمين ما روي من قصة ضرب ابن عمرو بن العاص لأحد قبط مصر لأجل أنه سبقه بخيله، فأتى المصري إلى عمر وشكا إليه، فبعث عمر إلى عمرو وولده، واقتصَّ للمصري من ولد عمرو، وقال لعمرو قولته المشهورة: مذ كم تعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً؟ قال: يا أمير المؤمنين لم أعلم ولم يأتني[3].

إن عمر ﷺ فعل ذلك لأنه يدرك إدراكاً تاماً أن الناس جميعاً في نظر الإسلام سواسية لا فرق بين حاكمٍ ومحكومٍ ولا بين غني وفقيرٍ ولا بين رجلٍ وامرأةٍ، والمولى يقول: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾[4].

---

(١) سورة المائدة الآية «٨».

(٢) الموطأ: كتاب الأقضية، باب الترغيب في القضاء بالحق، ح(٢٦٦٣).

(٣) راجع: كنز العمال: ١٢/ ٦٦١.

(٤) سورة الحجرات الآية «١٣».

ولا يعني أن الرجل لا يؤمن بالإسلام أن يُظلَم في دولة الإسلام، أو أن يُستباح ماله ودمه، فهذا ما لا يرضاه الإسلام.

روى البخاري بسنده عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: عن النبي ﷺ أنه قال: «من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين عاماً»[1].

إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خير من يدرك هذا الأمر، وخير من ينفذه بعد النبي ﷺ والصِّدِّيق.

زهد عمر رضي الله عنه:

إن للفاروق عمر رضي الله عنه مع الزهد قصة، وهذه القصة هي الحياة، فالرجل ما كاد يُسلِم وتتمكَّن تعاليم الإسلام من قلبه، إلا ويعلنها صريحة بلسان حاله ﴿ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾[2].

إن زهد عمر جعله يحيا مع الناس ببدنه، وأما قلبه وعقله ففي عالم الآخرة، ويكفيه شرفاً أنه وهو خليفة وأمير للمؤمنين كلما اتسعت فتوحات المسلمين وزاد الخير كلما زادت رقع ثيابه.

إن عمر رضي الله عنه جعل الدنيا في يده ولم يجعلها في قلبه، إنه زهد متاعها الزائل وزخرفها الفاني، إنه زهد في الدعة والراحة، فاجتهد في جهاد الفرس والروم، حتى صار أهل الإسلام سادة الدنيا كلها، وانتشر الإسلام في ربوع المعمورة.

وحقيقة زهد عمر بن الخطاب إيجابية، فقد ترك كل شيء لا ينفع في الدار الآخرة، فلم يكن الزهد عنده يعني الانقطاع عن الدنيا بترك الأهل، والمال، والأولاد، فليس كل ذلك من الزهد في شيء، والإسلام منه براء؛ ذلك لأن الله تعالى أخبر عن رسله أنهم كانت لهم أزواج وذرية، والإنفاق على الأهل والأولاد

---

(١) رواه البخاري: كتاب أبواب الجزية والموادعة، باب إثم من قتل معاهداً بغير جرم، ح(٢٩٩٥).

(٢) سورة القصص الآية «٦٠».

مـن الواجبـات الشـرعية، الـتي يـأثم المـرء بتركهـا، فكيـف يكـون الواجـب محلًا للزهد؟!.

يقول طلحة بن عبيد الله ﷺ: ما كـان عمـر بـن الخطـاب ﷺ بأوَّلنـا إسـلاماً، ولا أقدمنا هجرة، ولكنه كان أزهدنا في الدنيا، وأرغبنا في الآخرة[1].

ورع عمرﷺ:

إن الورع يعني اتقاء الشبهات، والتنـازل عـن بعضٍ مـن الحـلال؛ مخافـة الوقـوع في الحرام، وهذا أمر أدركه الفاروق عمر ﷺ وبلـغ درجـة عاليـة مـن الـورع تعلَّمهـا من رسول الله ﷺ الذي قال: إنَّ الحلال بيِّن وإن الحـرام بيِّن، وبينهمـا مشـتبهَات لا يعلمهنَّ كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينـه وعِرضـه، ومـن وقـع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمـى يوشـك أن يرتـع فيـه، ألا وإن لكـل ملِك حمـى، ألا وإن حمـى الله محارمـه، إلا وإن في الجسـد مضـغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب [2].

ومن الأمثلة على ورع عمر ﷺ ما يلي:

عن عبد الرحمن بن نجيح قال: نزلتُ على عمر ﷺ، فكانت له ناقة يحلبهـا، فانطلق غلامه ذات يوم فسقاه لبناً أنكره، فقال: ويحك، من أين هـذا اللـبن لـك؟ قال: يا أمير المؤمنين إن الناقـة انفلـت عليهـا ولـدها فشـربها، فخليـت لـك ناقـة مـن مال الله، فقال: ويحك تسقينى ناراً، واستحلَّ ذلك اللبن من بعـض النـاس، فقيـل: هو لك حلال يا أمير المؤمنين ولحمها[3].

فـانظر رحمـك الله إلى عمـر ﷺ وخشـيته مـن عـذاب الله جـل وعـلا لمـا شـرب ذلك اللـبن مـع أنـه لم يتعمَّـد ذلـك، ولم تطمـئن نفسـه إلا بعـد أن اسـتحلَّ ذلـك مـن بعض كبـار الصحابة رضي الله عنهم الذين يمثلون المسلمين في ذلك الأمر.

---

(١) تاريخ دمشق:٤٤/٢٨٧ – أسد الغابة:٤/٦٠.

(٢) رواه مسـلم: كتـاب المسـاقاة، بـاب أخـذ الحـلال وتـرك الشـبهات، ح(٤١٧٨) واللفـظ لـه. والبخاري: كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، ح (٥٠).

(٣) تاريخ المدينة: ابن شبه، ٢/٧٠٣.

عمر ﷺ المتواضع الرحيم:

التواضع والرحمة من مكارم الأخلاق التي اتصف بها الفاروق عمر ﷺ وأورثتاه محبة الآخرين.

وحديثنا هنا بإيجاز عن صفتين تلازمتا في عمر بن الخطاب لدرجة أنه يصعب علينا أن نفرِّق بينهما، أو نميِّز إحداها عن الأخرى، وهما صفة التواضع الممزوج بالرحمة، أو الرحمة المحاطة بالتواضع.

إن المتابع لسيرة الفاروق المطالع لها سيجد أنه مثال رائد على الرحمة، والذي فيه هذه الصفة لا بد وأن يكون ذا قلبٍ رحيمٍ يرفق بالناس، ويرقُّ لآلامهم، ويجتهد قدر استطاعته في إزالتها عنهم، وهذا هو عمر بن الخطاب ﷺ.

روى البخاري بسنده عن زيد بن أسلم، عن أبيه قال: خرجت مع عمر بن الخطاب ﷺ إلى السوق، فلحقَت عمر امرأة شابَّة، فقالت: يا أمير المؤمنين، هلك زوجي وترك صبيةً صغاراً، والله ما ينضجون كراعاً، ولا لهم زرع ولا ضرع، وخشيت أن تأكلهم الضَّبع، وأنا بنت خُفاف بن إيماء الغفاريِّ، وقد شهد أبي الحديبية مع النَّبيِّ ﷺ، فوقف معها عمر ولم يمض، ثم قال: مرحبًا بنسبٍ قريبٍ، ثم انصرف إلى بعيرٍ ظهيرٍ كان مربوطًا في الدَّار فحمل عليه غرارتين ملأهما طعامًا، وحمل بينهما نفقةً وثيَاباً، ثم نَاوَلَهَا بخطامه، ثم قال: اقتاديه فلن يفنى حتى يأتيكم الله بخيرٍ. فقال رجل: يا أمير المؤمنين، أكثرت لها، قال عمر: ثكلتك أُمُّك، والله إنِّي لأرى أبا هذه وأخاها قد حاصرا حصناً زماناً فافتتحاه، ثم أصبحنا نستفيءُ سُهمانهما فيه[1].

فهذا خير شاهدٍ على رحمة الفاروق أولاً، ثم فه دلالة على تقديره لأصحاب الفضل.

---

(١) رواه البخاري: كتاب الجهاد، باب غزوة الحديبية، ح(٣٩٢٨) ومعنى نستفيء سُهمانهما: أي نأخذ الفئ من نصيبهما، وفي النهاية (٤٨٣/٣) نستفيء سُهمانهما: أي نأخذها لأنفسنا ونقتسم بها.

ألا ما أروع الفاروق الذي يقدِّر لغيره فضله وسابقته، ويكرم بذلك أهله وقومه.

ومن جملة الشواهد على رحمة الفاروق ﷺ ما فعله مع المرأة أم اليتامى وأولادها حيث وجدهم جوعى فدفعته رحمته وهو أمير للمؤمنين أن يحمل دقيقاً على ظهره ويمشي مهرولاً في طرقات المدينة ليطعم صغاراً وأمهم، ولا يكتفي بذلك، بل إنه يعدُّ لهم الطعام بنفسه[١].

إنه سمو في الإحساس بالأمانة نحوهم، وارتقاء في الشعور بالمسئولية تجاههم، ورحمة أظهرت ذلك كله وأوضحته.

وهذا مثال آخر يبيِّن لنا تواضع الفاروق وخضوعه للّه رب العالمين:

روى الحاكم بسنده عن طارق بن شهاب قال: خرج عمر بن الخطاب إلى الشام ومعنا أبو عبيدة بن الجراح فأتوا على مخاضة[٢] وعمر على ناقة له، فنزل عنها وخلع خفَّيه فوضعهما على عاتقه، وأخذ بزمام ناقته، فخاض بها المخاضة، فقال أبو عبيدة: يا أمير المؤمنين أنت تفعل هذا تخلع خفيك وتضعهما على عاتقك وتأخذ بزمام ناقتك وتخوض بها المخاضة ما يسرني أن أهل البلد استشرفوك فقال عمر: أوَّه لو يقل ذا غيرك أبا عبيدة جعلته نكالاً لأمة محمد ﷺ أنا كنا أذل قوم فأعزنا اللّه بالإسلام فمهما نطلب العز بغير ما أعزنا اللّه به أذلنا اللّه[٣].

عمر ﷺ في طليعة المبشرين بالجنة:

لكل ما سبق وغيره كان الفاروق عمر بن الخطاب ﷺ أهلاً لأن يبشره النبي ﷺ بالجنة.

فقد روى مسلم في صحيحه بسنده عن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: بينما رسول اللّه ﷺ من حائط المدينة وهو متكئ يركز بعود معه بين الماء والطين

---

(١) انظر: تاريخ دمشق: ٣٥٤/٤٤.

(٢) المخاضة: موضع تجمَّع فيه ماء.

(٣) المستدرك: كتاب الإيمان، ح(٢٠٧) وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين لاحتجاجهما جميعاً بأيوب بن عائذ الطائي وسائر رواته و لم يخرجاه.

إذا استفتح رجل فقال افتح وبشِّره بالجنة، قال: فإذا أبو بكر ففتحت له وبشَّرته بالجنة، قال: ثم استفتح رجل آخر، فقال: افتح وبشِّره بالجنة، قال: فذهبت فإذا هو عمر ففتحت له وبشَّرته بالجنة، ثم استفتح رجل آخر قال: فجلس النبي ﷺ فقال: افتح وبشِّره بالجنة على بلوى تكون، قال: فذهبت فإذا هو عثمان بن عفان قال: ففتحت وبشَّرته بالجنة، قال: وقلت: الذي قال، فقال: اللهم صبراً، أو الله المستعان[١].

وعن أنس قال: صعد النبي ﷺ أحداً ومعه أبو بكر وعمر وعثمان فرجف الجبل، فقال: «اثبت أحد فإنما عليك نبيٌّ وصِدِّيق وشهيدان»[٢].

العلاقة بين عمر بن الخطاب وآل البيت:

سادت المحبة والمودة والعلاقة الكريمة بين عمر بن الخطاب وآل بيت النبي ﷺ وكان أهل بيت النبي ﷺ يتبادلون معه هذا الحب والتقدير والاحترام، ولم ترد رواية ولا أثر له أساس من صحة أو سند يُعتدُّ به يثبت تعرضهم للنيل منه، أو الطعن فيه، بل إنهم تبرؤا ممن فعل هذا.

فقد كان عمر بن الخطاب ﷺ، فارس الإسلام وأمير المؤمنين، عبقري الملة، وفاتح القيصرية، وهازم الكسروية، كان محبوباً إلى أهل بيت النبي ﷺ.

ومن مقدمات العلاقة الطيبة بين الفاروق ﷺ وآل البيت رضي الله عنهم أنه يشترك معهم في أصلٍ واحدٍ حيث يشترك مع آل البيت في لُحمة نسبية واحدةٍ وذلك في كعب بن لؤي الجد السابع للنبي ﷺ[٣].

---

(١) رواه مسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عثمان، ح(٢٤٠٣) ومعنى يركز بعود: أي يضرب بأسفله ليثبته في الأرض.

(٢) رواه البخاري: كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عمر بن الخطاب، ح (٣٤٨٣).

(٣) تهذيب الكمال:٣١٦/٢١ – الإصابة:٤٨٤/٤.

ومن معالم العلاقة الطيبة بين الفاروق عمر وعلي بن أبي طالب ، ما رُوي في نهج البلاغة منسوباً إلى الإمام علي أنه قال وهو يذكر الفاروق وولايته :

«ووليهم وال، فأقام واستقام حتى ضرب الدين بجرانه».

والجران: مقدم عنق البعير يضرب على الأرض عند الاستراحة كناية عن التمكن[(١)].

يقول ابن أبي الحديد شارح نهج البلاغة تحت هذه الخطبة: وهذا الوالي هو عمر بن الخطاب، وهذا الكلام من خطبة خطبها في أيام خلافته طويلة يذكر فيها قربه من النبي ﷺ واختصاصه له، وإفضائه بأسراره إليه[(٢)].

فتأمَّل معي إلى عليّ ، فيما نُسب إليه، كيف يقرُّ أمام الناس بأن الدين قد استقرَّ في عهد عمر، والإسلام قد تمكَّن في الأرض في أيام خلافته الميمونة، فيا ترى هل يمكن أن يصدر منه مثل هذا الكلام في حق شخصٍ هو لا يحبه بل ويعاديه؟ أيعتبر هذا مألوفاً في دنيا الناس؟ أيمدح الرجل أعداءه بلسانه أمام الجميع؟.

ومن أراد المزيد فيمكن إحالته إلى هذه المراجع الموضحة أدناه[(٣)].

ولما غُسِّل عمر وكُفِّن دخل علي عليه السلام فقال: ما على الأرض أحد أحب إلي أن ألقى الله بصحيفته من هذا المسجَّى - أي المكفون- بين أظهركم[(٤)].

وذكر الصدوق في الأمالي أن رجلاً وقع في عليّ بمحضر من عمر، فقال: تعرف صاحب هذا القبر؟ - يعني النبي ﷺ- لا تذكرن علياً إلا بخير، فإنك إن تنقَّصته آذيت هذا في قبره[(٥)].

---

(١) نهج البلاغة:١٠٧/٤.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٥١٩/٤.

(٣) راجع: نهج البلاغة:٢٩/٢ - ٢٢٢/٢- شرح نهج البلاغة: ٣/١٢، ٤. - بحار الأنوار:١٣٧/٣١.

(٤) الشافي في الإمامة: المرتضى، ٩٥/٣.

(٥) الأمالي للصدوق: ٤٧٢.

وقد وردت روايات كثيرة تفيد أن الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يرجح قضاء علي في المسائل المختلفة، ولقد بوَّب المفيد في كتابه الإرشاد باباً مستقلاً بعنوان «ذكر ما جاء من قضاياه في إمرة عمر بن الخطاب» وأورد تحته قضايا مختلفة كثيرة حكم فيها عمر رضي الله عنه بقضاء علي رضي الله عنه، ومنها:

أن عمر أُتي بحاملٍ قد زنت فأمر برجمها، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: هب أن لك سبيلاً عليها، أي سبيل لك على ما في بطنها؟ والله تعالى يقول: ﴿ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾[1] فقال عمر: لا عشت لمعضلةٍ لا يكون لها أبو الحسن، ثم قال: فما أصنع بها؟ قال: احتط عليها حتى تلد، فإذا ولدت، ووجدت لولدها من يكفله، فأقم عليها الحد، فسرى بذلك عن عمر، وعول الحكم به على أمير المؤمنين عليه السلام[2].

وهاهو الإمام جعفر الصادق يأمر أتباعه بولاية الصِّدِّيق والفاروق رضي الله عنهما كما يروي صاحب الكافي، فيقول صاحبه المشهور لدى القوم أبو بصير: كنت جالساً عند أبي عبد الله عليه السلام إذ دخلت علينا أم خالد- التي كان قطعها يوسف ابن عمر- تستأذن عليه. فقال أبو عبد الله عليه السلام: أيسرّك أن تسمع كلامها؟ قال: فقلت: نعم، قال :فأذن لها. قال: وأجلسني على الطنفسة[3]، قال: ثم دخلت فتكلمت فإذا امرأة بليغة، فسألته عنهما «أي أبي بكر وعمر» فقال لها: توليهما، قالت: فأقول لربي إذا لقيته: إنك أمرتني بولايتهما؟ قال: نعم[4].

---

(١) سورة النجم الآية «٣٨».

(٢) الإرشاد: ٢٠٤/١.

(٣) الطنفُسة: البساط الذي له خمل رقيق. (لسان العرب: ١٢٧/٦).

(٤) الكافي: ٨ /١٠١.

فهذا هو جعفر الصادق لا يكتفي بتولي أبي بكر وعمر، بل يأمر أتباعه أيضاً بتوليهما، كما يروي من يدَّعي اتباعه، فرحمة الله عليهم جميعاً، ورحمة ربنا على من يمتثل أمره وأمر آبائه في ولاية أبي بكر الصِّدِّيق وعمر الفاروق وغيرهما من أصحاب النبي صلوات الله وسلامه ورضوانه عليهم أجمعين.

المصاهرات بين الفاروق عمر وآل البيت:

ولعل أبرز وأكبر هذه المصاهرات هي زواج النبي ﷺ من السيدة أم المؤمنين حفصة بنت عمر ب، وهذا أمر لا ينكره منكر، وذكره العلماء من مختلف المذاهب[1].

مصاهرة الفاروق لعلي رضي الله عنهما:

ومن علامات المحبة ودلائل المودة وإشارات القربى بين الفاروق وعلي رضي الله عنهما ما عُرِف من مصاهرة الفاروق لعليٍ في ابنته أم كلثوم من السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام.

قال الذهبي في معرض حديثه عن السيدة فاطمة رضي الله عنها بنت النبي ﷺ: وخلفت من الأولاد: الحسن، والحسين، وزينب، وأم كلثوم. فأما زينب فتزوَّجها عبد الله بن جعفر، فتوفيت عنده وولدت له عوناً وعلياً. وأما أم كلثوم: فتزوَّجها عمر، فولدت له زيداً، ثم تزوَّجها بعد قَتْل عمر عون بن جعفر فمات، ثم تزوَّجها أخوه محمد بن جعفر، فولدت له بنته، ثم تزوَّج بها أخوه عبد الله بن جعفر، فماتت عنده[2].

وذكر هذا الزواج وهذه المصاهرة جمع كبير من العلماء[3].

---

(١) راجع: الطبقات الكبرى: ابن سعد ٨٢/٨ وما بعدها- أسد الغابة: ابن الأثير ٣٣/١ - الإصابة: ابن حجر، ٨٥/٨ ـ إعلام الورى: الطبرسي، ٢٧٧/١ ـ تاريخ اليعقوبي:٨٤/٢.

(٢) تاريخ الإسلام: الذهبي، ٤٥/٣- وانظر: من المصدر نفسه:٢٧٥/٣.

(٣) انظر: الوافي بالوفيات: الصفدي، ٧٩/١. البداية والنهاية:٣١٤/٥، نفسه:١٥٧/٧- إمتاع الاسماع: المقريزي، ٣٧٠/٥.أعيان الشيعة: محسن الأمين، ٤٨٦/٣- الفصول المهمة: ابن الصباغ، ١٥٤/١.

تسمية آل البيت أبناءهم باسم عمر بن الخطاب:

إن من دلائل العلاقة الحميمة والمحبة المتبادلة بين الفاروق عمر وآل البيت هو ما عرف وثبت من تسمية أهل البيت أبناءهم باسم الفاروق عمر، حباً له، وتقديراً لما قدَّمه لدينه، ولما أتى به من الأفعال الطيبة والمكارم العظيمة.

فها هو علي بن أبي طالب قد سمَّى ابنه من أم حبيب بنت ربيعة البكرية - التي منحها له أبو بكر ﷺ-: عمر، كما ذكر ذلك العلماء من مختلف المذاهب.

يقول المفيد في باب ذكر أولاد أمير المؤمنين وعددهم وأسمائهم:

فأولاد أمير المؤمنين سبعة وعشرون ولداً ذكراً وأنثى: الحسن والحسين وزينب الكبرى وزينب الصغرى......وعمر ورقية كانا توأمين أمهما أم حبيب بنت ربيعة[١].

ومن أراد الاستزادة أكثر في هذه المسألة فعليه بالرجوع إلى بعض المراجع المذكورة أسفله[٢].

والحسن بن علي سار على درب أبيه في محبَّة الفاروق عمر فسمَّى أحد أبنائه عمر أيضاً[٣].

وذكره محمد مهدي شمس الدين ضمن الذكور من أصحاب الحسين الذين بقوا أحياء بعد مقتله[٤] وذكر الأصفهاني أنه كان ممن أُسر[٥] وعدَّه ابن عنبة من جملة أولاد الحسن[٦].

---

(١) الإرشاد: المفيد، ٣٥٤/١. - الفصول المهمة: ابن الصباغ، ٦٤٢/١.

(٢) انظر: بحار الأنوار:٧٤/٤٢ - الفصول المهمة في معرفة الأئمة: ابن الصباغ، ٦٤٧/١ -عمدة الطالب: ابن عنبة ٦٤ - المعارف: ابن قتيبة، ٢١٠.

(٣) بحار الأنوار: ٣٨٨/٣٠.

(٤) أنصار الحسين: محمد مهدي شمس الدين، ٦٤.

(٥) مقاتل الطالبيين: الأصفهاني، ٧٩.

(٦) عمدة الطالب: ابن عنبة ٦٨.

والحسين بن علي اتبع نهج والده وسلك دربه وسمى أحد أبنائه كذلك باسم عمر.

ومن بعد الحسين جاء ابنه علي الملقَّب بزين العابدين وسمَّى أحد أبنائه أيضاً عمر، كما ذكر العلاَّمة الحلي في المستجاد، في باب «ذكر ولد علي عليه السلام» حيث عدَّ منهم «وعمر لأم ولد»[(١)].

وعدَّه الكاتب البغدادي في تاريخ الأئمة من ولد علي بن الحسين[(٢)]. وذكر أبو الفرج الأصفهاني أن عمر بن علي بن الحسين كان من أشِقَّاء زيد بن علي من أمه وأبيه[(٣)].

وكذلك موسى بن جعفر الملَّقب بالكاظم سمَّى أحد أبنائه عمر؛ كما ذكر الأربلي تحت عنوان: عدد أولاده وطرف من أخبارهم، ومما ذكره في ذلك قوله:

«ولد له – أي موسى– عشرون ابنا وثمانية عشر بنتا: أسماء بنيه: علي الرضا الإمام وزيد وإبراهيم وعقيل وهارون والحسن والحسين وعبد الله وإسماعيل وعبيد الله وعمر وأحمد ....»[(٤)].

فهؤلاء خمسة من أعلام آل البيت وأئمتهم، وقد ظهر جلياً مقدار ما يكنُّونه لعمر الفاروق من حبٍ وولاءٍ حتى بعد وفاته، فيسمُّون أبناءهم باسمه، فهل يعقل والحال هذه أن يكون هناك عداء بين الفاروق وآل البيت؟ أظن أن الإجابة بدهية ولا تحتاج إلى أدنى قدرٍ من التفكير بعد ما ظهر من عبارات ثناء وتقديرٍ متبادلة بين الطرفين، وكذلك وشائج الصلة والمصاهرة.

---

(١) المستجاد من الإرشاد: العلامة الحلي، ١٦٨.

(٢) تاريخ الأئمة: الكاتب البغدادي، ١٩.

(٣) مقاتل الطالبين: أبو الفرج الأصفهاني، ص٨٦.

(٤) كشف الغمة: ابن أبي الفتح الإربلي، ٣/٣١.

وبعد: فكانت هذه جولة سريعة قضيناها في رحاب الفاروق عمر ﷺ نستذكر بعضاً من سيرته، ونتلمَّس بعض جوانب عظمة شخصيته، تلك الشخصية التي يصعب تكرارها في دنيا الناس، والتي قد لدينها أجلَّ التضحيات، وصابرت وثابرت مع رسول الله ﷺ حتى مكَّن الله لدينه ورفع رايته وبدَّد شمل مبغضيه، فكانت نتيجة هذا كله أن تُوجِّ الفاروق عمر ﷺ بأن بشَّره رسول الله ﷺ بجنة الرضوان، فهنيئاً له بالجنة، وهنيئاً لأمة كان فيها عمر ﷺ وأمثاله.

ثالث العشرة

عثمان بن عفان ذو النورين ﷺ

حييٌّ حليمٌ .. وصهرٌ كريمٌ

إنه الصحابي الجليل عثمان بن عفان ﷺ بشره النبي ﷺ بالجنة، ووعده بالشهادة، ومات وهو عنه راض، وجهَّز جيش العسرة، وتزوَّج من ابنتي رسول الله ﷺ، وكان ثالث الخلفاء الراشدين، واستشهد وهو يقرأ القرآن الكريم.

اسمه ونسبه ﷺ:

هو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ابن قصي بن كلاب[1] من قريش، وأمه أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب ابن عبد شمس بن عبد مناف، وأمها البيضاء أم حكيم بنت عبد المطلب، عمة رسول الله ﷺ[2] وتوأمة أبيه[3].

وكان ثالث الخلفاء الراشدين، وأحد العشرة المبشرين ومن كبار مَن اعتزَّ بهم الإسلام في عهد ظهوره.

مولده ﷺ:

ولد عثمان ﷺ بمكة في السنة السادسة بعد الفيل[4].

وعثمان كما هو واضح من نسبه يلتقي من جهة أبيه وأمه مع النبي ﷺ في جده عبد مناف، كما أن جدته لأمه البيضاء بنت عبد المطلب هي عمة النبي ﷺ، فيكون عثمان بهذا ابن ابنة عمة النبي ﷺ.

---

(١) تاريخ دمشق: ابن عساكر، ٣/٣٩.

(٢) راجع: الطبقات الكبرى: ابن سعد، ٥٣/٣. – الاستيعاب: ابن عبد البر، ١٠٣٧/٣.

(٣) تاريخ دمشق: ٦/٣٩.

(٤) الطبقات الكبرى: ٥٣/٣.

وكان أبو عثمان بن عفان خرج في تجارة إلى الشام فهلك هناك ويقال: إنه قتل بالغميضاء مع الفاكه بن المغيرة.

وأم حكيم بنت عبد المطلب هي التي قالت لامرأة من قريش قاولتها: إني لحصان فما أكلم، صناع فما أعلّم[١].

فانظر رحمك الله إلى هذه الصلة وهذا التلاحم بين النبي ﷺ وبين عثمان بن عفان، هذا التلاحم الذي ازداد شدة وتماسكاً حين زوَّجه النبي ﷺ من ابنتيه رقيه وأم كلثوم واحدة تلو الأخرى، كما سنوضحه فيما بعد.

كنيته ﷺ:

عُرف عثمان ﷺ بكنيتين: أبي عبد الله، وأبي عمرو، واستقَّر الأمر بكنية أبي عمرو.

ذكر ابن سعد في الطبقات: وكان عثمان في الجاهلية يُكنى أبا عمرو، فلما كان الإسلام ولد له من رقية بنت رسول الله ﷺ غلام سمَّاه عبد الله واكتنى به، فكنَّاه المسلمون أبا عبد الله! فبلغ عبد الله ست سنين فنقره ديك على عينه فمرض فمات في جمادى الأولى سنة أربع من الهجرة، فصلى عليه رسول الله ﷺ ونزل في حفرته عثمان[٢].

وحكى ابن قتيبة: أن بعض من ينتقصه يكنيه: أبي ليلى يشير إلى لين جانبه[٣].

---

(١) تاريخ دمشق: ٧/٣٩. وأصل تلك المقولة: أن أم جميل زوجة أبي لهب قد عثرت في مرطها وهي تطوف بالبيت فقالت: تعس مذمم «تقصد النبي ﷺ» وتريد إسماع عمته أم حكيم بنت عبد المطلب، فأجابتها أم حكيم قائلة: إني لحصان فما أكلم وصناع فما أعلم.

وفي رواية: وثقاف فما أعلم، فكلتانا من بني العم وقريش بعد أعلم. (انظر: مسند الحميدي، ١/١٥٣، ح(٣٢٣) – تفسير ابن كثير: ٤/٦٠٤).

(٢) الطبقات الكبرى: ٣/٥٥.

(٣) انظر: عمدة القاري: العيني، ١٦/٢٠١. – فتح الباري: ٧/٤٣.

ألقابه ﷺ:

أشهر ألقاب عثمان هو: ذو النورين[١]، ولُقِّب به؛ لأنه تزوج ابنتي النبي ﷺ رقية وأم كلثوم واحدة تلو الأخرى.

وقد حكى ابن عبد البر الإجماع على إطلاق هذا اللقب على عثمان[٢].

وقيل للمهلب بن أبي صفرة: لم قيل لعثمان ذو النورين؟ قال: لأنه لم نعلم أحداً أسبل ستراً على ابنتي نبي غيره، وروى خيثمة في «الفضائل» والدارقطني في«الأفراد»من حديث علي ﷺ: أنه ذكر عثمان، فقال: ذاك امرؤ يدعى في السماء ذو النورين[٣].

وفي سنن البيهقي: عن عبد الله بن عمر بن أبان الجعفي يقول: قال لي خالي حسين الجعفي: يا بنى تدرى لم سُمِّى عثمان ذو النورين؟ قلت: لا أدرى، قال: لم يجمع الله بين ابنتي نبي منذ خلق الله آدم إلى أن تقوم الساعة لغير عثمان بن عفان ﷺ فلذلك سُمِّي ذو النورين[٤].

صفته ﷺ:

كان عثمان رحمه الله ذا حظٍ من جمال الخلقة ناهيك عن حسن الدين والخلق.

---

(١)انظر: زاد المسير: ابن الجوزي، ١٨٣/٧. - كتاب السنة: ابن أبي عاصم، ٥٣٤- تحفة الأحوذي: المباركفوري، ١٢٨/١٠. - عمدة القاري: العيني، ١٢٢/٢٢.

(٢) الاستيعاب: ٤٧٨/٢.

(٣) عمدة القاري: العيني، ٢٠١/١٦.

(٤) السنن الكبرى للبيهقي: ٧ / ٧٣. كتاب النكاح، باب تسمية أزواج النبي ﷺ وبناته وتزويجه بناته، ح(١٣٢٠٥).

وكان ﷺ حسن الوجه، ليس بالقصير ولا بالطويل، كبير اللحية، أسمر اللون، عظيم الكراديس[١] بعيد ما بين المنكبين، يخضب بالصفرة، وكان قد شدَّ أسنانه بالذهب[٢].

قال أبو عبد الله مولى شداد بن الهاد: رأيت عثمان بن عفان يوم الجمعة على المنبر عليه إزار عدني غليظ ثمنه أربعة دراهم أو خمسة وريطة[٣] كوفية ممشقة ضرب اللحم طويل اللحية حسن الوجه.

قال عبد الله بن حزم المازني: رأيت عثمان بن عفان فما رأيت قط ذكراً ولا أنثى أحسن وجهاً منه[٤].

وسأل رجل الحسن البصري فقال: يا أبا سعيد صف لنا عثمان، فقال: كان رجلاً أبيض نحيف الجسم، مشرف الأنف، كثير شعر الساعدين والساقين، شعر رأسه إلى أنصاف أذنه[٥].

وهذه الصفات الخَلقية التي منحها الله لعثمان ﷺ كان لها أثر غير قليل، بجانب صفاته الخُلقية، في تحبيب عثمان ﷺ لدى الآخرين، حيث إنك عندما تراه ويقع نظرك عليه تشعر وللوهلة الأولى أنك تعرفه، وأنه قريب من قلبك محبَّب إلى نفسك.

---

(١) الكراديس: هي رؤوس العظام، واحدها: كردوس. وقيل: هي ملتقى كل عظمين ضخمين، كالركبتين، والمرفقين، والمنكبين، أراد أنه ضخم الأعضاء .(انظر: النهاية لابن الأثير، ١٦٢/٤).

(٢) تاريخ الإسلام للذهبي: ٤٦٨/٣.

(٣) الريطة: تطلق على كل ثوب لين رقيق، أو هي الملاءة إذا كانت من قطعة واحدة. (انظر: تاج العروس للزبيدي، ٢٦٧/١٠).

(٤) رواه الطبراني في الكبير: في نسبة عثمان ﷺ، ٧٥/١ ح(٩٥).

(٥) راجع: تاريخ دمشق، ١٦/٣٩- ١٧.

إطلالة على بيته (زوجاته وأولاده)ﷺ:

تزوَّج عثمان بن عفان ﷺ غير واحدة وبلغ مجموع زوجاته تسع، وأنجب منهن: وجملة أولاده ﷺ ستة عشر، تسعة من الذكور، وسبع من الإناث، ونبدأ بأفضلهن، وإليك التفصيل:

رقيَّة بنت رسول الله ﷺ:

تزوَّج عثمان بن عفان ﷺ رقية بنت رسول اللَّه ﷺ، وأمها خديجة ﷺ، وكان رسول اللَّه قد زوَّجها من عتبة بن أبي لهب، وزوَّج أختها أم كلثوم عتيبة بن أبي لهب، فلما نزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾[1] قال لهما أبو لهب: رأسي من رأسيكما حرام إن لم تفارقا ابنتَي محمد، ففارقاهما قبل أن يدخلا بهما كرامة من اللّه تعالى لهما، فتزوَّج عثمان بن عفان رقية بمكة، وهاجرت معه إلى الحبشة، وولدت له هناك ولدًا فسماه «عبد اللّه»، وكان عثمان يُكنى به، إلا أنه مات صغيراً، ولما سار رسول اللَّه ﷺ إلى بدر كانت ابنته رقيَّة مريضة، فتخلَّف عليها عثمان بأمر رسول اللَّه ﷺ، فتوفيت يوم وصول زيد بن حارثة بنبأ انتصار المسلمين[2].

أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ:

وتزوَّج عثمان ﷺ من أم كلثوم بنت رسول اللَّه ﷺ، وأمها خديجة ﷺ، وهي أصغر من أختها رقية ﷺ، وكان قد تزوجها عتيبة بن أبي لهب ولم يدخل بها –كما مر– وزوَّجها النبي ﷺ من عثمان بعد وفاة رقية، وكانت بكراً، وكان نكاحه إياها في ربيع الأول من سنة ثلاث، وبنى بها في جمادى الآخرة من السنة، ولم تلد منه ولدًا، وتوفيت في شعبان سنة تسع من الهجرة، وصلَّى عليها رسول اللَّه ﷺ[3].

---

(١) سورة المسد الآية «١».

(٢) راجع: فتح الباري: ٤٣/٧، التمهيد والبيان: للمالقي، ص٢٠. – الاستيعاب: ١٨٤٠/٤.

(٣) تاريخ دمشق: ١٥٤/٣– سير أعلام النبلاء:٢٥٢/٢

وروى ابن سعد في الطبقات أن النبي ﷺ قال لعثمان بعد وفاة ابنته أم كلثوم: لو كنَّ عشراً لزوجتهن عثمان[١].

وتزوَّج عثمان غير ابنتي النبي ﷺ وأنجب منهن، وفيما يلي ذكر أسمائهن، وأبناء كل واحدةٍ منهن:

- فاختة بنت غزوان بن جابر بن نسيب من قيس عيلان، وأنجب منها: عبد الله الأصغر درج «أي مات صغيراً».

- أم عمرو بنت جندب بن عمرو من الأزد، وأنجب منها: عمرو وخالد وأبان وعمر ومريم.

- فاطمة بنت الوليد بن عبد شمس بن المغيرة من بني مخزوم، وأنجب منها: الوليد وسعيد وأم سعيد.

- رملة بنت شيبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي. وأنجب منها: عائشة وأم أبان وأم عمرو.

- نائلة بنت الفرافصة بن الأحوص بن عمرو من كلب. وأنجب منها: مريم.

- أم البنين بنت عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري، وأنجب منها: عبد الملك درج.

- وأم ولد، وكانت عند عبد الله بن يزيد بن أبي سفيان، وأنجب منها: أم البنين بنت عثمان[٢].

إسلامه وهجرته ﷺ:

أسلم عثمان بن عفان ﷺ في وقتٍ مبكرٍ من ظهور الإسلام، حتى قال بعض أهل العلم: كان عثمان أول الناس إسلاماً بعد أبي بكر وعلي وزيد بن حارثة ﷺ[٣].

---

(١) الطبقات الكبرى: ٣٨/٨. البداية والنهاية: ٣٣٠/٥. ورواه الطبراني في الكبير: ح(١٠٦٣).

(٢) راجع: الطبقات الكبرى، ٥٤/٣.

(٣) تاريخ دمشق: ١٢/٣٩.

وفي أسد الغابة: أسلم في أول الاسلام دعاه أبو بكر إلى الاسلام فأسلم، وكان يقول: إني لرابع أربعة في الإسلام[١].

وكان إسلامه على يد الصِّدِّيق أبي بكر ﷺ، قال ابن اسحاق: وأسلم على ما بلغني على يد أبي بكر: الزبير وعثمان وطلحة وعبد الرحمن وسعد[٢].

وروى ابن حجر في الإصابة قصة طويلة وفيها:

أن عثمان أتى مجلس الصِّدِّيق، فقال له الصِّدِّيق: ويحك يا عثمان والله إنك لرجل حازم ما يخفى عليك الحق من الباطل هذه الأوثان التي يعبدها قومك أليست حجارة صماً لا تسمع ولا تبصر ولا تضر ولا تنفع، قلت: بلى والله إنها لكذلك.. قال.. هذا محمد بن عبد الله قد بعثه الله برسالته إلى جميع خلقه فهل لك أن تأتيه وتسمع منه، فقلت: نعم، فوالله ما كان بأسرع من أن مر رسول الله ﷺ ومعه علي بن أبي طالب يحمل ثوباً لرسول الله ﷺ، فلما رآه أبو بكر قام إليه فسارَّه في أذنه، فجاء رسول الله ﷺ فقعد، ثم أقبل عليَّ فقال: يا عثمان أجب الله إلى جنته فإني رسول الله إليك وإلى جميع خلقه، قال: فوالله ما تمالكتُ حين سمعت قوله أن أسلمت وشهدت أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، ثم لم ألبث أن تزوجت رقيَّة، وكان يقال: أحسن زوجين رآهما إنسان رقيَّة وزوجها عثمان[٣].

وحين دخل عثمان ﷺ الإسلام لم ينج من الأذى والاضطهاد، بل كان له نصيب وافر من العذاب والأذى.

---

(١) أسد الغابة: ٣ /٣٧٦.

(٢) سير أعلام النبلاء: الذهبي، ٤٦/١.

(٣) الإصابة: ابن حجر، ١٧٧/٨، ١٧٨. وانظر: أسد الغابة: ٣٧٦/٣.

فلما أسلم عثمان بن عفان أخذه عمه الحكم بن أبي العاص بن أمية فأوثقه رباطاً، وقال: نزعت عن ملة آبائك إلى دين محدث؟ والله لا أحلك أبداً حتى تدع ما أنت عليه من هذا الدين، فقال عثمان: والله لا أدعه أبداً ولا أفارقه. فلما رأى الحكم صلابته في دينه تركه[١].

وكانت نتيجة لذلك أن فرَّ عثمان بدينه من مكة تاركاً بلده التي فيها نشأ، وعلى أرضها نمى وترعرع، وذهب إلى الحبشة، ومعه زوجه السيدة رقية بنت رسول الله ﷺ، وكان عثمان بهذا «أول من هاجر بأهله من هذه الأمة»[٢].

وفي الدلائل للبيهقي: حدثنا قتادة قال: إن أول من هاجر إلى الله ﷻ بأهله عثمان بن عفان، وسمعت النضر بن أنس يقول: سمعت أبا حمزة، يعني أنساً، يقول: خرج عثمان بن عفان ومعه رقيَّة بنت رسول الله ﷺ إلى أرض الحبشة، فأبطأ خبرهم على رسول الله ﷺ، فقدمت امرأة من قريش فقالت: يا محمد، قد رأيت ختنك، ومعه امرأته قال: «على أي حال رأيتيهما؟» قالت: رأيته قد حمل امرأته على حمار من هذه الدبانة[٣]، وهو يسوقها، فقال رسول الله ﷺ: «صحبهما الله، إنّ عثمان لأول من هاجر بأهله بعد لوط»[٤].

ولما أشيع خبر إسلام أهل مكة وبدأ مهاجرو الحبشة بالرجوع، كان عثمان ﷺ مع من رجع هو وزوجه رقيَّة بنت الحبيب محمد ﷺ، ولكنهم وجدوا الأمر على خلاف ما وصل إليهم، واشتدَّ الأذى عليهم فخرجوا إلى الحبشة ثانية[٥].وهاجر بعد ذلك إلى المدينة.

---

(١) الطبقات الكبرى: ٥٥/٣.

(٢) الإصابة: ابن حجر، ١٣٩/٨. - عمدة القاري:٢٦٨/٧.

(٣) الدبانة هكذا في الدلائل، وفي تاريخ دمشق: الدبابة، وهي الدواب الضعاف التي تدبُّ في المشي ولا تُسرع. (انظر: تاريخ دمشق، ٢٩/٣٩، لسان العرب: ٣٧٠/١).

(٤) دلائل النبوة: البيهقي، باب الهجرة الأولى إلى الحبشة، ١٧٦/٢، ح (٥٩٢). وانظر: أسد الغابة - ابن الأثير: ٥/ ٤٥٦ — ٤٥٧.

(٥) عمدة القاري: ٢٦٨/٧.

يقول ابن الأثير: ولما أسلم عثمان زوجه رسول الله ﷺ بابنته رقية وهاجرا كلاهما إلى أرض الحبشة الهجرتين ثم عاد إلى مكة وهاجر إلى المدينة، ولما قدم إليها نزل على أوس بن ثابت أخي حسان بن ثابت[١].

وهكذا تمت لعثمان ﷺ الهجرتان، وكان صاحب الهجرتين كما كان زوج الابنتين.

وبعد أن هاجر عثمان ﷺ آخى رسول الله ﷺ بينه وبين أوس بن ثابت أبي شداد بن أوس، ويقال: أبي عبادة سعد بن عثمان الزرقي[٢].

وروى ابن سعد عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة قال: لما أقطع رسول الله ﷺ الدور بالمدينة خط لعثمان بن عفان داره اليوم، ويقال: إن الخوخة التي في دار عثمان اليوم وجاه باب النبي الذي كان رسول الله ﷺ يخرج منه إذا دخل بيت عثمان[٣].

وفي هذا إشارة على كثرة تردد النبي ﷺ على بيت عثمان لدرجة أنه ﷺ جعل له خوخة في بيت عثمان يخرج منها إلى بيته مباشرة، وهذا أمر طبيعي؛ لأن بنتا النبي ﷺ كانتا عنده واحدة تلو الأخرى.

عثمان ﷺ خليفة من نوعٍ خاصٍ:

آلت الخلافة إلى عثمان بن عفان ﷺ بعد استشهاد الفاروق ﷺ، فبعد أن طعن الفاروق بخنجر الغدر والخيانة وهو في محرابه جعل أمر الخلافة إلى ستة من كبار الصحابة - وكلهم كبار- يختارون من بينهم خليفة للمسلمين، وهم:

علي بن أبي طالب، عثمان بن عفان، عبد الرحمن بن عوف، سعد بن أبي وقاص، الزبير بن العوام، طلحة بن عبيد الله رضي الله عنهم أجمعين.

---

(١) أسد الغابة: ٣٧٦/٣.

(٢) الطبقات الكبرى: ٣/ ٥٦.

(٣) الطبقات الكبرى: ٣ /٥٦.

ويروي البخاري أنه لما فرغ من دفن عمر: اجتمع هؤلاء الرهط فقال عبد الرحمن: اجعلوا أمركم إلى ثلاثة منكم، فقال الزبير: قد جعلت أمري إلى علي، فقال طلحة قد جعلت أمري إلى عثمان، وقال سعد قد جعلت أمري إلى عبد الرحمن بن عوف، فقال عبد الرحمن: أيكما تبرأ من هذا الأمر فنجعله إليه والله عليه والإسلام لينظرن أفضلهم في نفسه؟ فأسكت الشيخان، فقال عبد الرحمن: أفتجعلونه إليَّ والله عليَّ أن لا آلو عن أفضلكم؟ قالا: نعم، فأخذ بيد أحدهما، فقال: لك قرابة من رسول الله ﷺ والقدم في الإسلام ما قد علمت فالله عليك لئن أمرتك لتعدلن ولئن أمرت عثمان لتسمعن ولتطيعن، ثم خلا بالآخر فقال له مثل ذلك، فلما أخذ الميثاق قال: ارفع يدك يا عثمان فبايعه، فبايع له علي، وولج أهل الدار فبايعوه[١].

ومن أراد أن يعرف أحداث الشورى وكيف تمت البيعة تفصيلاً فعليه بمراجعة البداية والنهاية للحافظ ابن كثير، فقد أجاد في ذكرها وأفاد رحمه الله تعالى رحمة واسعة[٢].

وهكذا استقرَّ الأمر على عثمان بن عفان رضي الله عنه وبايعه الجميع، والصحابة أجمعوا على خلافته بعد استشهاد أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه، وكان عثمان رضي الله عنه أحقَّ أصحاب الشورى بالخلافة، وإلا لما بايعه أصحاب الشورى ووافقهم المسلمون على ذلك.

روى ابن عساكر بسنده أن حفص بن غياث قال: قال شريك بن عبد الله: مرض رسول الله ﷺ فأمر أبا بكر أن يصلي بالناس، فلو علم رسول الله ﷺ أن في أصحابه أحداً أفضل من أبي بكر لأمر ذلك الرجل وترك أبا بكر، فلما احتضر أبو بكر استخلف عمر بن الخطاب ولو علم أبو بكر أن في أصحاب محمد ﷺ أحداً أفضل من عمر بن الخطاب ثم قدَّم عمر وترك ذلك الرجل لقد

---

(١) رواه البخاري: كتاب البيعة، باب قصة البيعة والاتفاق على عثمان، ح(٣٤٩٧).

(٢) انظر: البداية والنهاية، ١٦٣/٧، ١٦٥- تاريخ دمشق: ١٩٢/٣٩.

كان غشّ أصحاب محمد ﷺ، فلما احتضر عمر بن الخطاب فصيَّر الأمر شورى فوقعت الشورى بعثمان بن عفان، فلو علم أصحاب محمد ﷺ أن في القوم أحداً أحق بها من عثمان ثم نصَّبوا عثمان وتركوا ذلك الرجل لقد كانوا غشُّوا هذه الأمة[1].

منح الرحمن في خلافة عثمان ﷺ:

كانت أيام خلافة عثمان بن عفان ﷺ أعياداً والإسلام في عزة وانتصارات، والمال وفير والرخاء عميم، فقد فتحت فيها الري سنة أربع وعشرين، وفتحت الجزيرة وأرمينية سنة خمس وعشرين وفتحت الإسكندرية سنة ست وعشرين وافتتحت إفريقية سنة سبع وعشرين.

وكانت غزوة سابور الجنود سنة ست وعشرين، وكانت إفريقية وأميرها عبد الله بن سعد بن أبي سرح سنة سبع وعشرين، ثم كانت فارس الأولى واصطخر الآخرة سنة ثمان وعشرين، ثم كانت فارس الآخرة سنة تسع وعشرين، ثم كانت طبرستان سنة ثلاثين، ثم كانت الأساودة سنة إحدى وثلاثين، ثم كان المضيق سنة اثنتين وثلاثين، ثم كانت قبرس سنة ثلاث وثلاثين، ثم كانت الصواري سنة أربع وثلاثين، وكانت ذي خشب سنة خمس وثلاثين وعثمان محصور في الدار[2].

لماذا عثمان من العشرة؟:

في الحقيقة هذا التساؤل هو محور بحثنا عن عثمان ﷺ وغيره من العشرة المبشرين بالجنة ﷺ، ولكي يتسنى لنا الإجابة على هذا التساؤل فلا بد من إلقاء الضوء على بعض مناقب ثالث الخلفاء وذي النورين وزوج الابنتين عثمان بن عفان ﷺ، وهي كالتالي:

---

(١) تاريخ دمشق: ٢٠٣/٣٩.

(٢) تاريخ دمشق: ٢١٠/٣٩.

بداية: شب عثمان ﷺ على الأخلاق الفاضلة، والسيرة الحسنة، والتواضع الجم المثير للإعجاب، الأمر الذي حبَّبه إلى قريش، وجعل له مكاناً ومكانة، وسيرة طيبة ومسيرة كريمة، ومن ذلك ما يرويه الشعبي قال: كان عثمان في قريش محبباً يوصون إليه ويعظمونه، وإن كانت المرأة من العرب ترقص صبيها وهي تقول:

أحـبـك والـرحـمـن حـب قـريـش عـثـمـان[1].

وذكر أبو نعيم كلاماً رائعاً عن عثمان فقال: وثالث القوم القانت ذو النورين، والخائف ذو الهجرتين، والمصلِّي إلى القبلتين، هو عثمان بن عفان ﷺ، كان من الذين آمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا، فكان ممن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه، غالب أحواله الكرم والحياء والحذر والرجاء، حظُّه من النهار الجود والصيام، ومن الليل السجود والقيام، مبشَّر بالبلوى، ومنعم بالنجوى[2].

اختصاص عثمان ﷺ بكتابة الوحي:

إن من جملة فضائل عثمان ﷺ أنه كان من كتبة الوحي، وهذه منقبة عظيمة تدل على مدى قربه من النبي ﷺ، كما تدل على أمانته وثقة النبي ﷺ به.

روى أحمد بسنده عن فاطمة بنت عبد الرحمن عن أمها أنها سألت عائشة وأرسلها عمها فقال: إن أحد بنيك يقرئك السلام ويسألك عن عثمان بن عفان فإن الناس قد شتموه، فقالت: لعن اللَّه من لعنه، فواللَّه لقد كان عند نبي اللَّه ﷺ وأن رسول اللَّه ﷺ لمسند ظهره إليَّ، وأن جبريل ليوحي إليه القرآن، وأنه ليقول له: اكتب يا عثيم فما كان اللَّه لينزل تلك المنزلة إلا كريمًا على اللَّه ورسوله[3].

---

(١) تاريخ دمشق: ٢٥١/٣٩.

(٢) حلية الأولياء: ٥٥/١.

(٣) أخرجه أحمد: ٢٥٠/٦، حديث السيدة عائشة، ح(٢٦١٧٣).

وعن جعفر الصادق بن محمد الباقر عن أبيه قال: كان رسول اللَّه ﷺ إذا جلس جلس أبو بكر عن يمينه، وعمر عن يساره، وعثمان بين يديه، وكان كَاتبَ سر رسول اللَّه ﷺ[١].

زهده ﷺ:

عرف عثمان ﷺ بالزهد والقناعة مع ما توفَّر له من ثراءٍ عظيمٍ، ومالٍ وفيرٍ، يقول أبو عبد اللَّه مولى شداد بن الهاد: رأيت عثمان بن عفان ﷺ يوم الجمعة على المنبر وعليه إزار عدني «من عدن» غليظ ثمنه أربعة دراهم أو خمسة دراهم، وريطة [٢]كوفية، ضرب اللحم، يعني خفيف اللحم، طويل اللحية حَسَن الوجه[٣].

وروى البيهقي في سننه أن الحسن البصري سُئل عن القائلة في المسجد فقال: قال الحسن: رأيت عثمان بن عفان ﷺ وهو يومئذ خليفة يقيل «ينام وقت الظهيرة» في المسجد، وقد أثر الحصى بجنبه، فيقول: هذا أمير المؤمنين! هذا أمير المؤمنين![٤].

وقال شرحبيل بن مسلم: كان عثمان ﷺ يطعم الناس طعام الإمارة، وعندما يدخل بيته كان يأكل الخل والزيت[٥].

---

(١) تاريخ دمشق: ٣٤٤/٢٦.

(٢) الريطة: تطلق على كل ثوب لين رقيق، أو هي الملاءة إذا كانت من قطعة واحدة. (انظر: تاج العروس للزبيدي، ٢٦٧/١٠).

(٣) رواه الحاكم في المستدرك: كتاب معرفة الصحابة، باب فضائل أمير المؤمنين ذي النورين. ح(٤٥٣٢) - والهيثمي في المجمع: مناقب عثمان، باب صفته، ح(١٤٤٩٢) ٣٨٦/٨، وقال: رواه الطبراني وإسناده حسن.

(٤) سنن البيهقي: كتاب الصلاة، باب المسلم يبيت في المسجد، ح(٤٥١٣) ٣٩١/٢، حلية الأولياء: ٦٠/١.

(٥) حلية الأولياء: أبو نعيم الأصبهاني، ٦٠/١.

فانظر رحمك الله إلى هذه النوعية الفريدة من الرجال بمثلهم عثمان ابن عفان الذي أتته الدنيا راغمة إلا أنه جعلها في يديه ولم يجعلها في قلبه، فعاش عيشة الفقراء وهو في مصافِّ الأغنياء وفي أول قائمة الأثرياء، فرضي الله عنه وأرضاه، وبلغه مطلبه ومبتغاه.

عبادته ﷺ:

كان عثمان ﷺ عابداً متعبداً صوَّاماً بالنهار قواماً بالليل تلاَّءً للقرآن الكريم، ذاكراً لربه، حتى أنه يروى أنه جمع كتاب الله في ركعة واحدة.

فعن عطاء بن أبي رباح: أن عثمان بن عفان صلَّى بالناس ثم قام خلف المقام فجمع كتاب الله في ركعة كانت وتره، فسميت البتيراء[1].

وفي سنن البيهقي عن عبد الرحمن بن عثمان التيمي قال: قلت: لأغلبن على المقام الليلة، فسبقت إليه، فبينما أنا قائم أصلي إذا رجل وضع يده على ظهري، قال: فنظرت فإذا عثمان بن عفان ﷺ وهو يومئذ أمير، فتنحيت عنه، فقام فافتتح القرآن حتى فرغ منه، ثم ركع وجلس وتشهَّد وسلَّم في ركعةٍ واحدةٍ لم يزد عليها، فلما انصرف قلت: يا أمير المؤمنين إنما صليت ركعة، قال: هي وتري[2].

وعن محمد بن سيرين قال: لما أطافوا بعثمان يريدون قتله قالت امرأته: إن تقتلوه أو تدعوه فقد كان يحيي الليلة بركعةٍ يقرأ فيها القرآن[3].

وكان عثمان ﷺ لا يوقظ أحداً من أهله إذا قام من الليل إلا أن يجده يقظان فيدعوه فيناوله وضوءه وكان يصوم الدهر، وكان يعاتَب فيقال: لو أيقظت بعض الخدم، فيقول: لا، الليل لهم يستريحون فيه[4].

---

(١) الطبقات: ٧٦/٣. تاريخ دمشق: ٢٣٤/٣٩.

(٢) السنن الكبرى للبيهقي: ٢٥/٣، باب الوتر بركعة واحدة، ح(٥٤٦١).

(٣) تاريخ دمشق: ٢٣٥/٣٩.

(٤) تاريخ دمشق: ٢٣٦/٣٩ – البداية والنهاية: ٢٤١/٧.

وروى أبو نعيم بسنده عن الزبير بن عبد الله عن جدةٍ له يقال لها: زهيمة أو رهيمة قالت: كان عثمان يصوم الدهر ويقوم الليل إلا هجعة من أوله[١].

قال الحسن: قال أمير المؤمنين عثمان بن عفان: لو أن قلوبنا طهرت ما شبعنا من كلام ربنا، وإني لأكره أن يأتي عليَّ يوم لا أنظر في المصحف، وما مات عثمان حتى خرق مصحفه من كثرة ما كان يديم النظر فيه[٢].

وعن الحسن قال: لما كان من بعض هيج الناس ما كان جعل رجل يسأل عن أفاضل أصحاب رسول الله ﷺ فجعل لا يسأل أحداً إلا دلَّه على سعد بن مالك قال: أخبرني عن عثمان فقال: كنا إذ نحن جميع مع رسول الله ﷺ كان أحسننا وضوءاً وأطولنا صلاة وأعظمنا نفقة في سبيل الله[٣].

إن عثمان رضي الله عنه كان من العُبَّاد الطائعين والأتقياء المخلصين، كان يصلي فرضه وكأنه سيلاقي بعده ربه جل وعلا، وكان يصوم ويقوم، حتى أكرمه الله بالشهادة وهو صائم ويقرأ القرآن الكريم، فكما أخلص هو للعبادة في حياته أخلصت له هي عند مماته حتى كانت آخر من فارقه في دنياه، وإن ظلت معه في آخراه، فقُتل رضي الله عنه صوَّاماً تلاَّءً للقرآن فرضي الله عنه وأرضاه.

علمه رضي الله عنه:

وكما عُرف عثمان رضي الله عنه بماله وثرائه وحيائه عرف كذلك بعلمه وفقهه، فكان من كبار علماء الصحابة، فكانوا يرون أن أعلم الناس بالمناسك عثمان وبعده ابن عمر[٤].

---

(١) حلية الأولياء: أبو نعيم، ٥٦/١ وابن أبي شيبة في مصنفه: ٧٣/٢، ح(٦٦١١).

(٢) البداية والنهاية: ٢٤١/٧.

(٣) تاريخ دمشق: ٢٣٩/٣٩.

(٤) المصنف لابن أبي شيبة: ٤٣٠/٣، ح(١٥٦٧٦) – تاريخ دمشق: ١٦١/٣١.

كما عُرف عثمان كذلك بتميّزه في علم الفرائض، .قال ابن شهاب الزهري: لو هلك عثمان وزيد- ابن ثابت - في بعض الزمان لهلك علم الفرائض، لقد أتى على الناس زمان وما يعلمها غيرهما[١].

وكان عثمان ﷺ كذلك من الصحابة البارزين في الفتوى كابن عمر، غير أنه لم يكن له أصحاب يُعرفون ويبلغون عنه فتياه، كما عُرِف عن ابن عمر[٢].

تواضعه ﷺ:

التواضع في مجمله يعني عدم التكبر على الآخرين، وقبول الحق ممن كان، وخفض الجناح ولين الجانب، وعدم شعور النفس بأن لها فضلاً على الآخرين.

والتواضع من شأنه أن يجعل من صاحبه نجماً لائحاً في الأفق، وكلما زاد في نفس صاحبه علا مقامه وزادت مكانته، وجعل الناس يتهافتون عليه ويحبون معاملته، ويودون مجالسته، ويتمنون لقاءه، ويستأنسون بكلامه، ويتفانون في خدمته.

كان عثمان بن عفان رجلاً متواضعاً لم يعرف الكبر إلى قلبه طريقاً، رغم ما حباه به المولى جل وعلا من سعة في الرزق ورغد في العيش، فكان ﷺ كلما زاد ماله زاد معه تواضعه وانكساره، الأمر الذي جعل الناس يتعلقون به ويجالسونه دون خوفٍ أو وجلٍ.

روى الحسن قائلاً: رأيت عثمان نائماً في المسجد ورداؤه تحت رأسه، فيجيء الرجل فيجلس إليه، ثم يجيء الرجل فيجلس إليه، ويجيء الرجل فيجلس إليه كأنه أحدهم[٣].

---

(١) سنن الدارمي: كتاب الفرائض باب في تعليم الفرائض، ح(٢٨٥٢) ٤٤١/٢ وقال حسين سليم أسد: إسناده صحيح وهو موقوف على الزهري.

(٢) راجع: أعلام الموقعين، ابن القيم (٢٠/١).

(٣) تاريخ الإسلام للذهبي: ٤٧٦/٣.

وروى أحمد في المسند بسنده عن الحسن بن أبي الحسن قال: دخلت المسجد فإذا أنا بعثمان بن عفان متكئ على ردائه فأتاه سقاآن يختصمان إليه فقضى بينهما..[١].

وهذا خير دليل على تواضع الرجل، هذا التواضع الذي جعل الجميع يألفونه، ويهرعون إليه في قضاء حوائجهم، ويأنسون بمجالسته دون أن يشعروا بأي فارقٍ يُذكر بينه وبينهم.

حياؤه رضي الله عنه:

كان عثمان رضي الله عنه رجلاً شديد الحياء لدرجة يمكننا معها أن نقول: إن أخصّ خصائص عثمان رضي الله عنه وأميز صفة تميَّز بها هي الحياء، فهو مفتاح شخصيته رضي الله عنه، فما يذكر الحياء إلا ويذكر عثمان.

فعن أنس بن مالك، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:«أرحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأشدُّهم في دين الله عمر، وأصدقهم حياءً عثمان، وأقضاهم علي بن أبي طالب، وأقرؤهم لكتاب الله أبي بن كعب، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، وأفرضهم زيد بن ثابت. ألا وإن لكل أمةٍ أميناً وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح»[٢].

فتأمَّل معي كيف وصف النبي صلى الله عليه وسلم عثمان؟ ما وصفه بأنه حيي، ولكنه وصفه بأنه أصدق الأمة حياءً.

---

(١) مسند أحمد: ٧٣/١ مسند عثمان بن عفان، ح(٥٣٧).

(٢) رواه الترمذي: كتاب المناقب، باب مناقب معاذ بن جبل و زيد بن ثابت و أبي و أبي عبيدة ابن الجراح رضي الله عنهم، ح(٣٧٩٠) وقال الألباني: صحيح – وابن ماجة في سننه: باب فضائل خباب، ح(١٥٤) – والحاكم في المستدرك: كتاب معرفة الصحابة، باب مناقب زيد ابن ثابت، ح(٥٧٨٤). وقال الحاكم: هذا إسناد صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه بهذه السياقة، وعلق الذهبي في التلخيص: على شرط البخاري ومسلم – وابن حبان في صحيحه: كتاب إخباره صلى الله عليه وسلم عن مناقب الصحابة، ذكر البيان بأن معاذ بن جبل كان من أعلم الصحابة بالحلال والحرام، ح(٧١٣١) وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط البخاري.

هذا الحياء الذي أكسب عثمان ﷺ - بجانب صفات أخرى - وقاراً بين أصحاب النبي ﷺ، والذي جعل رسول الله ﷺ يضعه في موضعه اللائق به.

فقد روى مسلم في صحيحه عن أبي سلمة بن عبد الرحمن أن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ مضطجعاً في بيتي كاشفاً عن فخذيه أو ساقيه، فاستأذن أبو بكر، فأذن له وهو على تلك الحال، فتحدَّث، ثم استأذن عمر، فأذن له وهو كذلك، فتحدَّث، ثم استأذن عثمان، فجلس رسول الله ﷺ وسوَّى ثيابه، قال محمد: - ابن أبي حرملة - ولا أقول ذلك في يومٍ واحد، فدخل فتحدَّث، فلما خرج قالت عائشة: دخل أبو بكر فلم تهتش له ولم تباله، ثم دخل عمر فلم تهتش له ولم تباله، ثم دخل عثمان فجلست وسوَّيت ثيابك، فقال: ألا أستحي من رجلٍ تستحي منه الملائكة[1].

وعليه: فاختصاص عثمان ﷺ بكثرة الحياء، وبأنه أصدق الأمة فيه، وباستحياء الملائكة منه ميزة له، وهذا ما نطقت به الأحاديث الصحيحة[2].

جوده وكرمه ﷺ:

حبا المولى جل وعلا عثمان بن عفان ﷺ نفساً عفيفة سخية كريمة لم يعرف الشحُّ إليها طريقاً، جبلت على الجود والبذل والعطاء والسخاء، وهذه الصفة كانت فطرة فطر الله عليها عثمان لم يتكلفها أو يحمل نفسه إياها بمشقة وصعوبة، ومن ذلك:

أنه كان لعثمان على طلحة خمسون ألفًا، فخرج عثمان يوماً إلى المسجد، فقال له طلحة: قد تهيأ مالك فاقبضه، قال: هو لك يا أبا محمد معونة لك على مروءتك[3].

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب من مناقب عثمان، ح(٢٤٠١) ١٨٦٦/٤.

(٢) تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة: محمد أمحزون، ٣٧٣/١.

(٣) انظر: تاريخ الطبري: ٤٣٣/٣ — الكامل: ١٨٤/٣.

وعن محمد بن هلال المديني عن أبيه عن جدته: أنها كانت تدخل على عثمان بن عفان ففقدها يوماً فقال لأهله: ما لي لا أرى فلانة؟ فقالت امرأته: يا أمير المؤمنين، ولدت الليلة غلاماً قالت: فأرسل إليَّ بخمسين درهما وشُقَيقة سَنبلانية[1]، ثم قال: هذا عطاء ابنك وهذه كسوته، فإذا مرت به سنة رفعناه إلى مئة[2].

قال ابن سعيد بن يربوع بن عنكثة المخزومي: انطلقت وأنا غلام في الظهيرة ومعي طير أرسله من المسجد يبنى، فإذا شيخ جميل حسن الوجه نائم تحت رأسه لبنة أوبعض لبنة، فقمت أنظر إليه أتعجب من جماله! ففتح عينيه فقال: مَن أنت يا غلام؟ فأخبرته، فنادى غلاماً نائماً قريباً منه فلم يجبه فقال لي: ادعه فدعوته، فأمره بشيء وقال لي: اقعد، قال: فذهب الغلام فجاء بحلةٍ وجاء بألف درهم، فنزع ثوبي وألبسني الحلة وجعل الألف درهم فيها، فرجعت إلى أبي فأخبرته فقال: يا بني مَن فعل هذا بك؟ فقلت: لا أدري إلا أنه رجل في المسجد نائم لم أر قط أحسن منه! قال: ذلك أمير المؤمنين عثمان بن عفان[3].

ولنا أن نتساءل بعد هذه النماذج: هل يصح أن يُطعن في دين رجلٍ وصل إلى هذه الدرجة من الجود والكرم ومحبة الآخرين؟ .. هل يمكن أن يُتهم بحالٍ من الأحوال بالحرص على الدنيا وتغليب مصلحة أهله وذويه على مصلحة دينه وأمته؟ ونترك الإجابة للقارئ الكريم.

---

(١) الشُّقَيقة: تصغير شقة، وهي نوع من الثياب، وقيل: نصف ثوب. (انظر: النهاية لابن الأثير، ٤٩٢/٢). والسَّنبلانية: سابغة الطول، فيقال: سنبل ثوبه إذا أسبله وجره من خلفه أو أمامه. (انظر: النهاية لابن الأثير، ٤٠٦/٢).

(٢) تاريخ دمشق: ١٠٤/٢٥.

(٣) تاريخ دمشق: ٢٢٩/٣٩- البداية والنهاية: ٢٤٠/٧.

عثمان رضي الله عنه رجل الشدائد والمحن:

وهب المولى جل وعلا عثمان رضي الله عنه رزقاً واسعاً ومالاً وافراً جنَّده عثمان رضي الله عنه لخدمة الإسلام والمسلمين، فأنفق منه في سبيل الله كثيراً، وفرَّج الله تعالى بعثمان رضي الله عنه كروباً وخطوباً ومحناً حلت بالمسلمين، ولم يُعرف عن عثمان رضي الله عنه طيلة حياته أن توانى يوماً أو ضنَّ بماله على الإسلام والمسلمين، وبالمثال يتضح المقال:

١- تصدُّقه بقافلته على المسلمين:

حدثت في عهد الصِّدِّيق أبي كبر رضي الله عنه وخلافته أزمة اقتصادية أصابت البلاد والعباد، ويروي لنا ابن عباس فصول هذه الأزمة وأحداثها ويقول: قحط المطر على عهد أبي بكر الصِّدِّيق، فاجتمع الناس إلى أبي بكر فقالوا: السماء لم تمطر، والأرض لم تنبت، والناس في شدة شديدة، فقال أبو بكر: انصرفوا واصبروا، فإنكم لا تُمسون حتى يفرج الله الكريم عنكم، قال: فما لبثنا أن جاء أجراء عثمان من الشام، فجاءته مائة راحلة بُراً - أو قال طعاماً- فاجتمع الناس إلى باب عثمان، فقرعوا عليه الباب، فخرج إليهم عثمان في ملأٍ من الناس، فقال: ما تشاءون؟ قالوا: الزمان قد قحط؛ السماء لا تمطر، والأرض لا تنبت، والناس في شدة شديدة، وقد بلغنا أن عندك طعاماً، فبعنا حتى نوسَّع على فقراء المسلمين، فقال عثمان: حباً وكرامة، ادخلوا فاشتروا، فدخل التجار، فإذا الطعام موضوع في دار عثمان، فقال: يا معشر التجار كم تربحونني على شرائي من الشام؟ قالوا: للعشرة اثنا عشر، قال عثمان: قد زادني، قالوا: للعشرة خمسة عشر، قال عثمان: قد زادني، قال التجار: يا أبا عمرو، ما بقي بالمدينة تجار غيرنا، فمن زادك؟ قال: زادني الله – تبارك وتعالى– بكل درهم عشرة، أعندكم زيادة؟ قالوا: اللهم لا، قال: فإني أشهد الله أني قد جعلت هذا الطعام صدقة على فقراء المسلمين[1].

---

(١) التمهيد والبيان: محمد بن يحيى المالقي، ٢٣٩.

٢- تجهيزه جيش العسرة:

غزوة العسرة هي غزوة تبوك، وجيش العسرة هو الجيش الذي توجَّه إلى هذه الغزوة، وهذا مأخوذ من قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ ﴾[(١)].

وسميِّت بذلك لأنها كانت في زمان شدة الحرِّ وجدب البلاد، وفي شُقَّة بعيدة وعدو كثير[(٢)].

وفي هذه الغزوة دعا النبي ﷺ المسلمين إلى الخروج وحثَّهم عليه، وأمرهم بالصدقة لتجهيز الجيش، فجاءوا بصدقات كثيرة.

وكان أول من جاء بالنفقة أبو بكر الصِّدِّيق ﷺ فجاء بجميع ماله أربعة آلاف درهم فقال له رسول الله ﷺ: هل أبقيت لأهلك شيئاً؟ قال: أبقيت لهم الله ورسوله.

وجاء عمر بن الخطاب ﷺ بنصف ماله، فقال له رسول الله ﷺ: هل أبقيت لأهلك شيئاً؟ قال: النصف الثاني، وجاء عبد الرحمن بن عوف ﷺ بمائة أوقية[(٣)].

أما عثمان ﷺ: فإنه جهَّز عشرة آلاف أنفق عليها عشرة آلاف دينار غير الإبل والخيل وهي تسعمائة بعير ومائة فرس والزاد وما يتعلق بذلك حتى ما تربط به الأسقية[(٤)].

وعن عبد الرحمن بن سمرة قال: جاء عثمان إلى النبي ﷺ بألف دينار حين جهّز جيش العسرة فينثرها في حجره، قال عبد الرحمن: فرأيت النبي ﷺ يقلِّبها في حجره ويقول: ما ضرَّ عثمان ما عمل بعد اليوم، مرتين[(٥)].

---

(١) سورة التوبة الآية «١١٧».

(٢) عمدة القاري: العيني، ١٦/٢٠٢.

(٣) السيرة الحلبية: ٣/١٠٠.

(٤) السيرة الحلبية: ٣/١٠٠.

(٥) رواه الترمذي: كتاب المناقب، باب في مناقب عثمان، ح(٣٧٠١) ٥/٦٢٦. وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، وعلق الشيخ الألباني قائلاً: حسن. ورواه الحاكم في المستدرك: كتاب معرفة الصحابة، باب فضائل أمير المؤمنين ذي النورين، ح(٤٥٥٣) وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وعلّق عليه الذهبي في التلخيص وقال: صحيح.

وفي رواية: أن عثمان جاء بعشرة آلاف دينار إلى رسول الله ﷺ، فصُبَّت بين يديه، فجعل ﷺ يقلِّبها بيديه ويقلِّبها ظهراً لبطن ويقول: غفر الله لك يا عثمان ما أسررت وما أعلنت وما كان منك وما هو كائن إلى يوم القيامة، ما يبالي ما عمل بعدها[1].

وروى الإمام أحمد والنسائي عن الأحنف بن قيس قال: سمعت عثمان رضي الله عنه يقول لسعد بن أبي وقاص وعلي والزبير وطلحة: أنشدكم الله، هل تعلمون أن رسول الله ﷺ قال: «من جهَّز جيش العسرة غفر الله له» فجهزتهم حتى ما يفقدون خطاماً ولا عقالاً؟ قالوا: اللهم نعم، قال اللهم أشهد اللهم أشهد اللهم أشهد، ثم انصرف[2].

قال ابن إسحاق: أنفق عثمان رضي الله عنه في ذلك الجيش نفقة عظيمة لم ينفق أحد مثلها[3].

وقال رسول الله: «من جهَّز جيش العُسرة فله الجنة»[4].

ومن ثم قيل: عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما: كانا خزنتين من خزائن الله في الأرض، ينفقان في طاعة الله تعالى[5].

---

(١) السيرة الحلبية: ٣/١٠٠.

(٢) رواه أحمد في المسند: مسند عثمان، ١/٧٠، ح(٥١١) وعلَّق عليه شعيب الأرنؤوط وقال: صحيح لغيره، وهذا إسناد ضعيف - والبيهقي في الكبرى: كتاب إحياء الموات، باب اتخاذ المسجد والسقايات، ٦/١٦٧، ح(١١٧١٥).

(٣) راجع: السيرة الحلبية: ٣/١٠٠ - السيرة النبوية: ابن هشام، ٤/٩٤٥ - السيرة النبوية: ابن كثير، ٤/٦ - سبل الهدى والرشاد: الصالحي الشامي، ٥/٤٣٥.

(٤) رواه البخاري: كتاب الوصايا، باب إذا وقف أرضاً أو بئراً، ح(٢٦٢٦)- وفي كتاب الصحابة، باب مناقب عثمان بن عفان رضي الله عنه.

(٥) السيرة الحلبية: ٣/١٠٠.

٣- حفره بئر رومة:

ومن جملة الأعمال العظيمة والصنائع الكريمة التي قدَّمها ذو النورين عثمان بن عفان ﷺ للإسلام والمسلمين: أنه اشترى بئر رومة من صاحبها اليهودي، ووهبها للمسلمين، فاستحقَّ أن يكون هو المعنِي بقول النبي ﷺ: من حفر بئر رومة فله الجنة[1].

ومعنى حفر بئر رومة أي: اشتراها ووسَّعها وبنى حول فمها، فنسب حفرها إليه[2]، وهذه البئر كانت ليهودي يبيع ماءها للمسلمين كل قربة بدرهم فاشتراها عثمان ﷺ وأوقفها للمسلمين على أن له أن يشرب منها كما يشربون.

قال ابن بطال: بئر رومة كانت ليهودي، وكان يقفل عليها بقفلٍ ويغيب، فيأتي المسلمون ليشربوا منها فلا يجدونه حاضراً فيرجعون بغير ماء، فشكا المسلمون ذلك، فقال، ﷺ: من يشتريها ويمنحها للمسلمين ويكون نصيبه فيها كنصيب أحدهم فله الجنة؟ فاشتراها عثمان، وهي بئر معروفة بمدينة النبي، عليه الصلاة والسلام، اشتراها عثمان بخمسة وثلاثين ألف درهم فوقفها[3].

وفي الإصابة: وبئر رومة هي التي روي فيها قول النبي ﷺ: «نعم القليب قليب المُزَني»، وهي التي اشتراها عثمان بن عفان فتصدَّق بها[4].

وعن أبي سلمة بشر بن بشير الأسلمي عن أبيه: قال: لما قدم المهاجرون المدينة استنكروا الماء وكانت لرجل من بني غفار عين يقال لها رومة، وكان يبيع منها القربة بمدّ، فقال له رسول الله ﷺ: «بعنيها بعين في الجنة» فقال: يا رسول الله ليس لي ولا لعيالي غيرها لا أستطيع ذلك، فبلغ ذلك عثمان ﷺ فاشتراها بخمسة وثلاثين ألف درهم ثم أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أتجعل لي مثل الذي

---

(١) رواه البخاري: كتاب الوصايا، باب إذا وقف أرضاً أو بئراً، ح(٢٦٢٦).

(٢) انظر: تحقيق مصطفى ديب البغا على صحيح البخاري، ٣/١٠٢١.

(٣) عمدة القاري: ١٢/١٩٠.

(٤) الإصابة: ٢/٤٤٩.

جعلته له عيناً في الجنة إن اشتريتها؟ قال: «نعم»قال: قد اشتريتها وجعلتها للمسلمين[(١)].

وروى البخاري بسنده عن أبي عبد الرحمن: أن عثمان ﷺ حيث حوصر أشرف عليهم وقال أنشدكم بالله ولا أنشد إلا أصحاب النبي ﷺ ألستم تعلمون أن رسول الله ﷺ قال:«من حفر رومة فله الجنة». فحفرتها، ألستم تعلمون أنه قال: «من جهَّز جيش العسرة فله الجنة» فجهَّزته، قال: فصدَّقوه بما قال[(٢)].

والظاهر أن الروايات قد اختلفت في صاحب بئر رومة قبل عثمان، هل هو يهودي أم رجل من بني غفار، وسواء أكان هذا أم ذاك فإن المقصود واحد ألا وهو شراء عثمان لهذه البئر وتصدُّقه بها على المسلمين رضي الله عنه وأرضاه.

٤- توسعته في مسجد رسول الله ﷺ:

من جملة المناقب الجليلة التي حظي بها عثمان، والأعمال العظيمة التي قام بها توسعته لمسجد رسول الله ﷺ حين ضاق بالمصلين.

وهذا ما ذكره عثمان للناس حينما حوصر في بيته، فقال لهم من حديث طويل: أنشدكم بالله والإسلام هل تعلمون أن المسجد ضاق بأهله فقال رسول الله ﷺ مَن يشتري بقعة آل فلان فيزيدها في المسجد بخيرٍ منها في الجنة؟ فاشتريتها من صلب مالي، فأنتم اليوم تمنعوني أن أصلِّي فيها ركعتين، قالوا: اللهم نعم[(٣)].

وفي تاريخ دمشق:عن صعصعة بن معاوية التميمي قال: أرسل عثمان وهو محصور إلى علي وطلحة والزبير وأقوام من الصحابة، فقال: أحضروا غداً فكونوا حيث تسمعون ما أقول بهذه الخارجة، ففعلوا، وأشرف عليهم فقال:

---

(١) المعجم الكبير: الطبراني، باب من اسمه بشير، بشير الأسلمي، ٤١/٢، ح(١٢٢٧).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الوصايا، باب إذا وقف أرضاً أو بئراً، ح(٢٦٢٦).

(٣) سنن الترمذي: كتاب المناقب، باب مناقب عثمان، ح(٣٧٠٣) ٦٢٧/٥. وعلق الألباني عليه قائلاً: حسن. والنسائي في السنن: كتاب المساجد، باب وقف المساجد، ح(٣٦٠٨، ٢٣٥/٦).

أنشد الله من سمع النبي ﷺ يقول: من يشتري هذا المِربَد[١] ويزيده في مسجدنا وله الجنة وأجره في الدنيا ما بقي درجات له، فاشتريته بعشرين ألفا وزدته في المسجد، قالوا: اللهم نعم[٢].

من أجل عثمان رضي الله عنه كانت بيعة الرضوان!:

بعث النبي ﷺ عثمان رضي الله عنه مفاوضاً لأهل مكة ليدخل والمؤمنين البيت الحرام، وسرت إشاعة أن كفار قريش قتلوا عثمان، فكانت بيعة الرضوان «لأن الله رضي عمن بايع تحتها» وتُسمَّى بيعة الشجرة، لأنها تمت تحت شجرة سمر[٣].

وسبب هذه البيعة ما هو معروف أن النبي ﷺ جمع أصحابه وذهب بهم إلى مكة ليعتمروا، وعندما وصلوا الحديبية حدث الآتي:

روى ابن إسحاق عن ابن عباس: أن قريشا كانوا بعثوا أربعين رجلاً منهم أو خمسين أمروهم أن يطيفوا بعسكر رسول الله ﷺ، ليصيبوا لهم من أصحابه أحداً، فأخذوا فأتي بهم رسول الله ﷺ، فعفا عنهم، وخلَّى سبيلهم، وقد كانوا رموا في عسكر رسول الله ﷺ بالحجارة والنبل، ثم دعا عمر بن الخطاب ليبعثه إلى مكة، فيبلغ عنه أشراف قريش ما جاء له، فقال: يا رسول الله إني أخاف قريشاً على نفسي، وليس بمكة من بني عدي أحد يمنعني، وقد عرفت قريش عداوتي إياها، وغلظتي عليها، ولكني أدلُّك على رجل أعز بها مني عثمان بن عفان، فدعا رسول الله ﷺ عثمان بن عفان فبعثه إلى أبي سفيان وأشراف قريش، يخبرهم أنه لم يأت لحرب وإنما جاء زائراً لهذا البيت معظِّماً لحرمته، فخرج عثمان إلى مكة، فلقيه أبان بن سعيد بن العاص حين دخل مكة، أو قبل أن يدخلها، فحمله بين يديه ثم أجاره حتى بلَّغ رسالة

---

(١) المِربَد: كل شيء حبست فيه الإبل أو الغنم. (النهاية: ٢/١٨٢).

(٢) تاريخ دمشق: ٣٩ / ٣٣٢ – ٣٣٣.

(٣) راجع: البداية والنهاية لابن كثير، ٤/١٩١.

رسول الله ﷺ فانطلق عثمان حتى أتى أبا سفيان وعظماء قريش فبلغهم عن رسول الله ﷺ ما أرسله به، فقالوا لعثمان حين بلغ رسالة رسول الله ﷺ، إن شئت أن تطوف بالبيت فطف، قال: ما كنت لافعل حتى يطوف به رسول الله ﷺ. واحتبسته قريش عندها، فبلغ رسول الله ﷺ والمسلمين أن عثمان قد قتل، قال ابن إسحاق : فحدثني عبد الله بن أبي بكر أن رسول الله ﷺ قال حين بلغه أن عثمان قد قتل: لا نبرح حتى نناجز القوم ، ودعا رسول الله ﷺ إلى البيعة، وكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة، وكان الناس يقولون: بايعهم رسول الله ﷺ على الموت، وكان جابر بن عبد الله يقول: إن رسول الله ﷺ لم يبايعنا على الموت ولكن بايعنا على أن لا نفر، فبايع رسول الله ﷺ الناس ولم يتخلف عنه أحد من المسلمين حضرها إلا الجد بن قيس أخو بني سلمة.[١].

وعن جابر قال: إنما بيعة الرضوان بيعة الشجرة في عثمان بن عفان خاصة، قال رسول الله ﷺ: إن قتلوه لأنابذهم. قال: فبايعناه ولم نبايعه على الموت ولكنا بايعناه على ألا نفرِ ونحن ألف وثلاث مئة[٢].

وفي صحيح مسلم عن جابر قال: كنَّا يوم الحديبية ألفاً وأربعمائة فبايعناه وعمر آخذ بيده تحت الشجرة، وهي سمرة، وقال وبايعناه على أن لا نفرّ، ولم نبايعه على الموت[٣].

وروى الطبراني بسنده عن سلمة بن الأكوع: أن رسول الله ﷺ بايع لعثمان بن عفان بإحدى يديه على الأخرى وقال: اللهم إن عثمان في حاجتك وحاجة رسولك[٤].

---

(١) البداية والنهاية:٤/١٩١.

(٢) تاريخ دمشق: ٣٩/٧٥.

(٣) صحيح مسلم: كتاب الإمارة، باب استحباب مبايعة الإمام الجيش عند إرادة القتال، ح(١٨٥٦) ٣/١٤٨٣.

(٤) الطبراني: المعجم الكبير، ٧/٢٣، ح(٦٢٧٨).

وفي سنن الترمذي عن أنس بن مالك قال: لما أمر رسول الله ﷺ ببيعة الرضوان كان عثمان بن عفان رسولَ رسولِ الله ﷺ إلى أهل مكة فبايع الناس قال: فقال رسول الله ﷺ: إن عثمان في حاجة الله وحاجة رسوله، فضرب بإحدى يديه على الأخرى، فكانت يد رسول الله ﷺ لعثمان خيراً من أيديهم لأنفسهم[١].

فأي فضل لعثمان أعظم من هذا ؟ تقوم البيعة من أجله ويبايع النبي ﷺ بيده الكريمة نيابة عنه!.

جمع عثمان رضي الله عنه للقرآن الكريم:

تعرَّض القرآن الكريم للجمع بعد وفاة النبى ﷺ مرتين، المرة الأولى: في عهد الخليفة الأول أبو بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه بإشارة من الفاروق عمر رضي الله عنه حينما استحرَّ القتل يوم اليمامة بقرَّاء القرآن الكريم، وتمَّ تكليف زيد بن ثابت بجمع القرآن الكريم في مصحفٍ واحدٍ[٢].

فكان هذا الجمع«عبارة عن نقل القرآن وكتابته في مصحفٍ مرتب الآيات أيضاً، مقتصراً فيه على ما لم تنسخ تلاوته، مستوثقاً له بالتواتر والإجماع، وكان الغرض منه تسجيل القرآن وتقييده بالكتابة مجموعاً مرتَّباً، خشية ذهاب شيءٍ منه بموت حَمَلته وحفَّاظه»[٣].

والمرة الثانية: في عهد أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه، ولا ثالث لهما.

وأما عن المرة الثانية وهى جمع القرآن على عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه، فيروي لنا الإمام البخاري في صحيحه بسنده عن ابن شهاب أن أنس بن مالك حدَّثه، أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان، وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة، فقال حذيفة

---

(١) سنن الترمذي: كتاب المناقب، باب مناقب عثمان، ح(٣٧٠٢) ٦٢٦/٥. قال هذا حديث حسن صحيح غريب.

(٢) راجع: البخارى: كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن، ح(٤٧٠١) ١٩٠٧/٤.

(٣) مناهل العرفان: الزرقاني، ١٨٣/١.

لعثمان: يا أمير المؤمنين، أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى، فأرسل عثمان إلى حفصة: أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف، ثم نردّها إليك، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان، فأمر زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام، فنسخوها في المصاحف، وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيءٍ من القرآن فاكتبوه بلسان قريشٍ، فإنما نزل بلسانهم، ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف، ردَّ عثمان الصحف إلى حفصة، فأرسل إلى كل أفقٍ بمصحفٍ مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفةٍ أو مصحفٍ أن يحرق»[١].

وهذا هو الجمع الثانى في عهد ذي النورين ﷺ وكان كما مرَّ: «عبارة عن نقل ما في تلك الصحف التى جُمعت في المرة الأولى في مصحفٍ واحدٍ إمامٍ، واستنساخ مصاحف منه تُرسل إلى الآفاق الإسلامية ملاحظاً فيها تلك المزايا السالف ذكرها مع ترتيب سوره وآياته جميعاً، وكان الغرض منه إطفاء الفتنة التى اشتعلت بين المسلمين حين اختلفوا في قراءة القرآن، وجمع شملهم وتوحيد كلمتهم، والمحافظة على كتاب الله من التغيير والتبديل»[٢].

شهادة النبي ﷺ لعثمان بالجنة:

كان عثمان بن عفان ﷺ، من القانتين بآيات الله آناء الليل ساجداً حذراً لآخرته راجياً لرحمة ربه يحيي القرآن جُل لياليه في ركعة حياة الرسول ﷺ وخليفتيه، فلما ولي كان خير الخيرة وإمام البررة إلى أن قتل شهيداً، وشهد له النبي ﷺ بالجنة ومات رسول الله وهو عنه راض.

لكل هذا وغيره استحقَّ عثمان ﷺ أن يكون أحد العشرة المبشرين بالجنة، واستحق أن يبشِّره النبي ﷺ بها.

---

(١) البخارى: كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن، ح (٤٧٠٢).

(٢) مناهل العرفان: ١/١٨٣.

فقد روى مسلم في صحيحه بسنده عن أبي موسى الأشعري قال: بينما رسول الله ﷺ في حائطٍ من حائط المدينة وهو متكئ يركز بعود معه بين الماء والطين إذا استفتح رجل، فقال: افتح وبشِّره بالجنة قال: فإذا أبو بكر ففتحت له وبشَّرته بالجنة، قال: ثم استفتح رجل آخر فقال: افتح وبشِّره بالجنة، قال: فذهبت فإذا هو عمر ففتحت له وبشَّرته بالجنة، ثم استفتح رجل آخر قال: فجلس النبي ﷺ فقال: افتح وبشِّره بالجنة على بلوى تكون، قال: فذهبت فإذا هو عثمان بن عفان قال: ففتحت وبشَّرته بالجنة، قال: وقلت الذي قال فقال: اللهم صبراً، أو الله المستعان[1].

وعن أنس قال: صعد النبي صأحدًا ومعه أبو بكر وعمر وعثمان فرجف الجبل فقال:«اثبت أحد فإنما عليك نبيٌّ وصدِّيق وشهيدان»[2].

وروى الترمذي عن أبي عبد الرحمن السلمي قال: لما حُصر عثمان أشرف عليهم فوق داره، ثم قال: أذكركم بالله هل تعلمون أن حراء حين انتفض قال رسول الله ﷺ: اثبت حراء فليس عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد؟ قالوا: نعم، قال: أذُكِّركم بالله هل تعلمون أن رسول الله ﷺ قال في جيش العسرة: من ينفق نفقة متقبلة والناس مجهدون معسرون، فجهَّزت ذلك الجيش؟ قالوا: نعم، ثم قال: أذكِّركم بالله هل تعلمون أن بئر رومة لم يكن يشرب منها أحد إلا بثمن فابتعتها فجعلتها للغني والفقير وابن السبيل؟ قالوا: اللهم نعم، وأشياء عدَّدها[3].

---

(١) رواه مسلم: كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل عثمان، ح(٢٨).

(٢) رواه البخاري: كتاب فضائل الصحابة، باب: قول النبي ﷺ: لو كنت متخذًا خليلًا. ح (٣٤٧٢).

(٣) رواه الترمذي: كتاب المناقب، باب من مناقب عثمان ﷺ، ح(٣٦٩٩) وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب، قال الشيخ الألباني: صحيح.

وروى أحمد والترمذي عن عبد الرحمن بن عوف أنه قال: قال رسول الله ﷺ: أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وسعد في الجنة، وسعيد في الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة[١].

كل هذه الروايات تشهد صراحة بأن عثمان بن عفان ﷺ من أهل الجنة، وهذه أعظم منقبة له ﷺ، بل هي غاية ما يتمناه أي مسلم، فالجنة أغلى ما يرجو ويتمنى في الدنيا عبدٌ.

الخليفة المظلوم في مصافِّ الشهداء:

قُتل عثمان بن عفان ﷺ إثر فتنة عمَّت كبرى الأمصار الإسلامية تسبب فيها مجموعة من المحرِّضين وزائغي القلوب، كان على رأسهم يهودي ادَّعى الإسلام اسمه عبد الله بن سبأ أجَّج نارها، وزكَّى أوارها، مدعياً على الخليفة الثالث جملة من الأباطيل والأكاذيب كانت سبباً في خروج الثائرين عليه ومحاصرتهم لبيته في المدينة، ثم انتهى الأمر بقتله مظلوماً صائماً وهو يقرأ القرآن الكريم، ولم يشترك أحد من الصحابة ﷺ الحضور وقتها في المدينة في قتله، بل كلهم جميعاً كانوا على أُهبة الاستعداد لحمايته والدفاع عنه، بل والموت دونه لولا أن منعهم الخليفة عثمان ﷺ نفسه من هذا الأمر فامتثلوا طائعين لأمره رغماً عنهم[٢].

---

(١) رواه أحمد في مسنده: ح(١٦٧٥) وقال شعيب: إسناده قوي على شرط مسلم- والترمذي: كتاب المناقب، باب مناقب عبد الرحمن بن عوف،ح(٣٧٤٧). وقال الألباني: صحيح. والنسائي في الكبرى: ح(٨١٩٤) وابن حبان: كتاب إخباره عن مناقب الصحابة، ح(٧٠٠٢) .

(٢) انظر: الطبقات الكبرى: ٣/ ٦٤-٦٧.

ومما رُوي في ذلك:

رُوى عن ابن عمر: أنه لبس الدرع مرتين فأتى عثمان فقال: صحبت رسول الله ﷺ وعرفت له حق الرسالة وحق النبوة، وصحبت أبا بكر فعرفت له حق الولاية، وصحبت عمر فكنت أعرف له حق الوالد وحق الولاية، وأنا أعرف لك مثل ذلك، فقال له عثمان: جزاكم الله خيراً من أهل بيتٍ، اقعد في بيتك حتى يأتيك أمري[1].

وذكر ابن سعد في الطبقات بسنده عن عبد الله بن عامر بن ربيعة قال: قال عثمان يوم الدار: إن أعظمكم عني غناء رجل كفَّ يده وسلاحه.

وفيه أيضاً عن أبي هريرة قال: دخلت على عثمان يوم الدار فقلت: يا أمير المؤمنين طاب أم ضرب، فقال: يا أبا هريرة أيسرك أن تقتل الناس جميعاً وإياي قال: قلت: لا، قال: فإنك والله إن قتلت رجلاً واحداً فكأنما قتل الناس جميعاً، قال: فرجعت ولم أقاتل[2].

فرحم الله أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ، فقد كان رحيماً بالمسلمين في حياته وبعد وفاته، فلم ينتقم لنفسه، حريصاً على لمِّ شمل الأمة.

وكان مقتله ﷺ في سنة خمس وثلاثين لثمان عشرة ليلة خلت من شهر ذي الحجة يوم الجمعة. وكانت مدة خلافته إحدى عشر سنة وأحد عشر شهراً واثنين وعشرين يوماً فرحمه الله رحمة واسعة[3].

---

(١) تاريخ دمشق: ٣٩٤/٣٩.

(٢) انظر: الطبقات الكبرى، ٧٠/٣.

(٣) تاريخ دمشق: ٥١٨/٣٩.

لماذا قتل عثمان ﷺ؟:

لا أريد الخوض في أمرٍ أُشبع بحثاً وتحليلاً ودراسةً وتفصيلاً، إنما أريد أن أعرض موجزاً عاماً لما حدث، مبتعداً عن التفصيل لأعطي القارئ الكريم نظرة موجزة وشاملة لمجمل الحدث.

قيام الدولة الإسلامية بهذه القوة والسرعة أدى إلى انهيار دول ودويلات مما أثار أحقاداً عند من شرقوا بهذا الدين – وإن كان أكثرهم تقبَّلوه اقتناعاً، فدخلوا في الدين، أو رأو فيه تخلصاً من الظلم وبقوا على الجزية – فكان منهم من دخل الدين ظاهراً ليفسده من الداخل، مثل عبد الله بن سبأ، وهو يهودي من أهل اليمن ادعى الإسلام، فكان أن قام بالدسائس ونشر الإشاعات، فتلقتها أنفس ضعيفة وعقول قاصرة تسوقها أهواء مدفونة، وبالمقابل كان عثمان ﷺ بعيداً كل البعد عن إراقة الدماء ميَّالاً للصفح والعفو، مما فُسِّر عند مبتغي الفتنة ضعفاً استغلوه لتحقق مآربهم.

فدخلوا المدينة مقرّ الخلافة ومعظم ساكنيها هم الصحابة وأبناؤهم الذين لم يتصوروا يوماً أن تُراق فيها الدماء، فضلاً عن قتل الخليفة الراشد عثمان بن عفان ﷺ فكان الموقف متناسباً مع هذا التصور.

كما أن عثمان ﷺ أقسم عليهم بعدم إراقة الدماء، وصرفهم عنه، ورفض أن يخرج من مهاجره في المدينة كما رفض قدوم الجيوش من الشام وغيرها خشية التضييق على أهل المدينة في أقواتهم.

روى ابن أبي شيبه في مصنَّفه عن ابن سيرين قال: جاء زيد بن ثابت إلى عثمان فقال: هذه الأنصار بالباب قالوا: إن شئت أن نكون أنصاراً للّه مرتين، قال: أما قتال فلا[١].

(١) مصنف ابن أبي شيبة: ٥١٦/٧، ح (٣٧٦٦٤).

وروى أحمد في المسند بسنده عن محمد بن عبد الملك بن مروان أنه حدَّثه عن المغيرة بن شعبة أنه دخل على عثمان ﷺ وهو محصور فقال: إنك إمام العامة وقد نزل بك ما ترى، وإني أعرض عليك خصالاً ثلاثاً، اختر إحداهن: إما أن تخرج فنقاتلهم فإن معك عدداً وقوة على الحق وهم على الباطل، وإما أن تخرق لك باباً سوى الباب الذي هم عليه فتقعد على رواحلك فتلحق بمكة، فإنهم لن يستحلوك وأنت بها، وما أن تلحق بالشام فإنهم أهل الشام وفيهم معاوية، فقال عثمان: أما أن أخرج فأقاتل، فلن أكون أول من خلف رسول الله ﷺ في أمته بسفك الدماء، وأما أن أخرج إلى مكة فإنهم لن يستحلوني بها، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: يلحد رجل من قريشٍ بمكة يكون عليه نصف عذاب العالم، فلن أكون أنا إيَّاه، وأما أن الحق بالشام فإنهم أهل الشام وفيهم معاوية، فلن أفارق دار هجرتي ومجاورة رسول الله ﷺ[1].

فكان من الصحابة من حضر مدافعاً أو أرسل أبناءه، مثل علي وطلحة والزبير وأبو هريرة وأبو قتادة وأم المؤمنين صفية والحسن والحسين رضي الله عنهم جميعاً.

ومنهم من كان على معتبة من عثمان ﷺ لكنه لم يشارك المجرمين في قتله ولم يرض بما حصل؛ لأنه لم يبلغ بعثمان الخطأ لدرجة العزل فضلاً عن القتل، إضافة إلى أن كثيراً من الصحابة وأبنائهم كانوا خارج المدينة بالفتوحات وموسم الحج.

قال محمد بن شهاب الزهري: قلت لسعيد بن المسيب: هل أنت مخبري كيف كان قتل عثمان؟ ما كان شأن الناس وشأنه؟ ولم خذله أصحاب محمد ﷺ؟ فقال: قتل عثمان مظلوماً ومن قتله كان ظالماً ومن خذله كان معذوراً[2].

---

(١) مسند أحمد: ١ / ٦٧، مسند عثمان بن عفان، ح (٨٤١). مجمع الزوائد: ١٥٨/٧، ح(١٢٠٠١) وقال الحافظ الهيثمي: رواه أحمد ورجاله ثقات إلا أن محمد بن عبد الملك ابن مروان لم أجد له سماعاً من المغيرة.

(٢) تاريخ دمشق: ٤١٥/٣٩.

وهـذا مـا يفسـر الصـدمة الكـبيرة لعلـي وإخوانـه لمـا بلغهـم القتـل، وبعضـهم استشـعر الـذنب لأنـه لم يحضـر للـدفاع بنفسـه وبعـض مـن عتـب عليـه نـدم لهـول الاعتداء الآثم في الشـهر الحـرام في بلـد معظـم علـى ثالـث العشـرة؛ لـذا كـان مـن تداعيات قتله ما حصل من فتنٍ بعد ذلك.

وليعلم القارئ الكريم أن ما يظهره بعض الكُتَّاب من أن الصحابة كانوا أحزاباً أو أنهم يُضمرون لبعضهم السوء متناسياً تاريخهم في صحبة النبي ﷺ والهجرة والجهاد والتقوى والفقه، معتمداً على خيالات يسميها تحليلات، أو على افتراءات يسميها روايات لا زمام لها من إسناد ولا خطام لها في الاستشهاد علماً أن التكلُّم بمثل هذه الأمور لابد له من العلم الاستقرائي، ولا يكفي نص من هنا ونقل من هناك، ولابد من الرجوع إلى المحكم وترك المتشابه، فثناء الله تعالى على الصحابة وثناء رسوله ﷺ والثابت بالأسانيد الصحيحة محكم يكفي ويشفي.

العلاقة بين عثمان وآل البيت:

تبدأ علاقة ذي النورين عثمان ﷺ بآل بيت النبي ﷺ بالمشاركة النسبية بينه وبين النبي ﷺ، فهو يلتقي مع النبي ﷺ من جهة أبيه وأمه في جدَّه عبد مناف وعثمان، كما أوضحنا سلفاً، كما أن جدَّته لأمه البيضاء بنت عبد المطلب هي عمة النبي ﷺ، فيكون عثمان بهذا ابن ابنة عمة النبي ﷺ.

بالإضافة إلى أنه تزوج من ابنتي النبي ﷺ رقية وأم كلثوم، واحدة تلو الأخرى.

فهذه العلاقات السابقة توضح مدى عمق العلاقة بين عثمان وآل البيت، ويضاف إليها ثناء آل البيت عليه واستبسالهم في الدفاع عنه يوم الدار.

ومن ذلك ما روي عن عليٍ أنه قال: إياكم والغلو في عثمان تقولون: حرق المصاحف، والله ما حرقها إلا عن ملأ من أصحاب محمد ﷺ، ولو وليت مثلما ولي فعلت مثل الذي فعل[1].

---

(١) البداية والنهاية:٧/٢٤٤.

كان أهل البيت ﷺ يذبون عن أمير المؤمنين عثمان ﷺ ويفدونه بأرواحهم، فهم أهل الوفاء وذرية المصطفى ﷺ.

روى ابن عساكر عن كنانة مولى أم المؤمنين صفية قال: كنت فيمن حمل الحسن بن علي بن أبي طالب جريحاً من دار عثمان، وكان الحسن بن علي آخر من خرج من عند عثمان[١].

دخل الحسن والحسين ﷺ ومن كان معهما فوجدوا عثمان مذبوحاً فانكبوا عليه يبكون وخرجوا، ودخل الناس فوجدوه مذبوحاً، وبلغ علي بن أبي طالب الخبر وطلحة والزبير وسعداً ومن كان بالمدينة فخرجوا وقد ذهبت عقولهم للخبر الذي أتاهم، حتى دخلوا على عثمان فوجدوه مقتولاً فاسترجعوا، وقال علي لابنيه: كيف قتل أمير المؤمنين وأنتما على الباب؟! ورفع يده فلطم الحسن وضرب صدر الحسين وشتم محمد بن طلحة ولعن عبد الله بن الزبير، وخرج علي وهو غضبان، فلقيه طلحة فقال: مالك يا أبا الحسن ضربتَ الحسن والحسين؟ فقال: عليك وعليهما لعنة الله! إلا أن يسوءني ذلك! يُقتل أمير المؤمنين رجل من أصحاب رسول الله ﷺ بدري لم تقم عليه بينة ولا حجة[٢].

قال أبو قتادة: دخلت على عثمان وهو محصور أنا ورجل من قومي نستأذنه في الحج، فأذن لنا، فلما خرجت استقبلني الحسن بن علي بالباب فدخل وعليه سلاحه، فرجعت معه فدخل فوقف بين يدي عثمان قال: يا أمير المؤمنين ها أنذا بين يديك فمرني بأمرك، فقال له عثمان: يا ابن أخي وصلتك رحم إن القوم ما يريدون غيري ووالله لا أتوقى بالمؤمنين ولكن أوقي المؤمنين بنفسي، فلما سمعت ذلك منه قلت: يا أمير المؤمنين إن كان من أمرك كون فما تأمر؟ قال: انظر ما اجتمعت عليه أمة محمد ﷺ فإن الله لا يجمعهم على ضلالة، كونوا مع الجماعة حيث كانت[٣].

---

(١) تاريخ دمشق:٣٩٢/٣٩ – سير أعلام النبلاء:١٨١/٨.

(٢) تاريخ دمشق:٤١٩/٣٩.

(٣) تاريخ دمشق:٤٠٠/٣٩.

براءة أهل البيت والصحابة من قتل عثمان:

من قرأ روايات استشهاد عثمان علم أن الذين قتلوه حفنة لصوص مسلوبي المروءة والنخوة سرّاق باسم الإصلاح فلا حرمة عندهم للنساء ولو كنَّ أمهات للمؤمنين، ولا للمصحف ولا كبر السن وجلالة القدر، ودونك الروايات:

قال الزهري: قتل عثمان عند صلاة العصر وشدَّ عبد لعثمان على كنانة بن بشر فقتله، وشدَّ سودان على العبد فقتله، ودخلت الغوغاء دار عثمان، فصاح إنسان منهم: أيحل دم عثمان ولا يحل ماله! فانتهبوا متاعه، فقامت نائلة «زوجته» فقالت: لصوص ورب الكعبة! يا أعداء الله ما ركبتم من دم عثمان أعظم، أما والله لقد قتلتموه صوَّاماً قوَّاماً يقرأ القرآن في ركعة[1].

وخرج الناس من دار عثمان وأغلق بابه على ثلاثةٍ قُتلوا: عثمان وعبد عثمان الأسود وكنانة بن بشر.

وهكذا فاضت روح الخليفة الشهيد ذي النورين عثمان بن عفان ﷺ، الحيي الرحيم المتعفف العفيف أمير البررة، وخير الخيرة وقتيل الفجرة، وتحققت فيه بشارة النبي ﷺ عندما قال لأبي موسى الأشعري (افتح وبشّره بالجنة على بلوى تكون)[2].

فمات شهيداً مظلوماً، فهنيئاً له الشهادة، وهنيئاً له الجنة كما بشَّره الصادق الأمين عليه الصلاة وأجلُّ التسليم.

---

(١) الطبقات الكبرى:٧٤/٣ - تاريخ دمشق:٤١٤/٣٩.

(٢) رواه البخاري: كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عمر بن الخطاب، ح(٣٤٩٠) ورواه مسلم: كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل عثمان، ح(٢٤٠٣).

رابع العشرة

علي بن أبي طالب ﷺ

ربيب بيت النبوة .. وزوج البضعة الطاهرة

الآن نحكي عن علي، ذاك الفتى الحُرُّ الأبي، اللّه نوَّر قلبه وبالفهم زكَّى عقله.

إنه علي بن أبي طالب رجل الخطوب والكروب، في كل ميدان له بصمات واضحة، وسمات بارزة، وأياد سابغة، فعند النزال تجده بطلاً شامخاً، وعند المقال تجده خطيباً مصقعاً، وعند القضاء تجده قوياً عادلاً، وفي وضح النهار تجده ذاكراً صائماً، وفي ظلم الليل تجده قانتاً عابداً، فرضي اللّه عنه وأرضاه.

اسمه ونسبه ﷺ:

هو: علي بن أبي طالب، واسمه عبد مناف بن عبد المطلب، واسمه شيبة ابن هاشم، واسمه عمرو بن عبد مناف، واسمه المغيرة بن قصي، واسمه زيد أبو الحسن الهاشمي. ابن عم رسول اللّه ﷺ وختنه على ابنته. من المهاجرين الأولين شهد بدراً وأُحداً والمشاهد كلها، وبويع له بالخلافة بعد قتل عثمان ابن عفان[1].

وأمه: فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف بن قصي[2].

فعلي بن أبي طالب هو ابن عم النبي ﷺ ويلتقي معه في جدِّه الأول عبد المطلب. ويلتقي مع النبي ﷺ من جهة أمه في جدَّه هاشم بن عبد مناف.

أي أن أبا طالب وفاطمة زوجته أولاد عمومة، فكلاهما جدَّهما هاشم بن عبد مناف، وهذا يوضِّح عمق الاتصال النسبي بين علي ﷺ والنبي ﷺ.

---

(١) تاريخ مدينة دمشق: ٣/٤٢.

(٢) الطبقات الكبرى: ١٩/٣.

مولده ﷺ:

علي ﷺ هو أول هاشمي وُلد بين هاشميين، وأول هاشمي يتولى الخلافة[١].

وقد ولد ﷺ في الثالث عشر من شهر رجب سنة ثلاث وعشرين قبل الهجرة، وفي الإصابة أنه ولد قبل البعثة بعشر سنين على الصحيح[٢].

وقال الحاكم: قد تواترت الأخبار أن فاطمة بنت أسد ولدت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في جوف الكعبة[٣].

كنيته ﷺ:

عُرف علي بن أبي طالب ببعض الكُنى التي أطلقت عليه ومن أشهرها:

أبو الحسن: نسبة إلى ابنه الأكبر الحسن بن علي من السيدة فاطمة الزهراء[٤].

أبو السبطين: والمقصود بالسبطين الحسن والحسين.[٥]

وعُرف ﷺ أيضاً **بأبي تراب:** وهي كنية أطلقها عليه النبي ﷺ وكان علي ﷺ يحبها ويحب أن يُكنى بها.

وأصل هذه الكنية ما رواه البخاري بسنده عن سهل بن سعد قال: جاء رسول الله ﷺ بيت فاطمة فلم يجد علياً في البيت، فقال: «أين ابن عمك»؟. قالت: كان بيني وبينه شيء فغاضبني فخرج فلم يقل عندي، فقال رسول الله ﷺ لإنسان: «انظر أين هو»، فجاء فقال يا رسول الله: هو في المسجد راقد، فجاء رسول الله ﷺ وهو مضطجع قد سقط رداؤه عن شِقِّه

---

(١) أسد الغابة:٤/١٦.

(٢) الإصابة: ٤/٤٦٤.

(٣) المستدرك: ٣/٥٥٠، دون إسناد.

(٤) أسد الغابة:٤/١٦.

(٥) أسد الغابة:٤/١٦.

وأصابه تراب، فجعل رسول الله ﷺ يمسحه عنه ويقول:« قم أبا تراب قم أبا تراب»[١].

وكانت هذه الكنية محببة إلى قلب علي بن أبي طالب ﷺ وكان يحب أن يُنادى بها، ويدل على ذلك ما ذكره سهل بن سعد فيما رواه مسلم أنه قال: ما كان لعليّ اسم أحب إليه من أبي التراب، وإن كان ليفرح إذا دُعي بها[٢].

لقبه ﷺ:

عرف علي بن أبي طالب بعدة ألقاب كان من أشهرها: أمير المؤمنين، ورابع الخلفاء الراشدين[٣].

صفته ﷺ:

روى ابن سعد في الطبقات بسنده عن رزام بن سعد الضبي قال: سمعت أبي ينعت علياً قال كان رجلاً فوق الربعة، ضخم المنكبين، طويل اللحية، وإن شئت قلت: إذا نظرت إليه هو آدم، وإن تبيَّنته من قريب قلت: أن يكون أسمر أدنى من أن يكون آدم[٤].

وروى ابن سعد بسنده أيضاً عن إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة قال: سألت أبا جعفر محمد بن علي، قلت: ما كانت صفة علي؟ قال: رجل آدم شديد الأدمة، ثقيل العينين عظيمهما، ذو بطن، أصلع، إلى القصر أقرب[٥].

(١) رواه البخاري: أبواب المساجد، باب نوم الرجال في المسجد، ح(٤٣٠).

(٢) رواه مسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي، ح(٦٣٨٢).

(٣) راجع: البداية والنهاية: ٧/٢٢٣.

(٤) الطبقات الكبرى: ٣ / ٢٦ – ٢٧ وانظر: تاريخ دمشق: ٤٢/٢٤. والرجل الربعة والمربوع: الذي ليس بطويل ولا قصير، ومعنى أن علياً فوق الربعة: أي فوق القصير ودون الطويل. انظر: (لسان العرب ٨/١٠٧).

(٥) الطبقات الكبرى: ٣ / ٢٧.

إطلالة على بيته (زوجاته وأولاده)ﷺ:

تزوج علي بن أبي طالب ﷺ بأكثر من واحدةٍ، إلا أنه ما جمع مع بنت رسول الله ﷺ غيرها، فلم يتزوّج علي ﷺ على فاطمة ﷺ حتى ماتت بعد رسول الله ﷺ بستة أشهر، بل ظل مع السيدة فاطمة يمرِّضها ويرعاها إلى أن توفيت، وفيما يلي إطلالة على أزواجه وأولاده من كل زوجة.

- **فاطمة بنت الرسول ﷺ** سيدة نساء العالمين ﷺ، وولدت له الحسن والحسين، ويُقال: ومُحسناً، ويُقال: مات وهو صغير، وولدت له من البنات: زينب الكبرى، وأم كلثوم الكبرى، وهي التي تزوَّجها عمر ﷺ.

- **أم البنين بنت حزام**، وولدت له العباس وجعفراً وعبد الله وعثمان، وقد قُتل هؤلاء مع أخيهم الحسين بكر بلاء، ولا عقب لهم سوى العباس.

- **ليلى بنت مسعود بن خالد بن مالك من بني تميم**، فولدت له عبيد الله وأبا بكر، قال هشام بن الكلبي: وقد قتلا بكربلاء أيضاً.

- **أسماء بنت عميس الخثعمية**، فولدت له يحيى ومحمداً الأصغر، قاله الكلبي، وقال الواقدي: ولدت له يحيى وعوناً، قال الواقدي: فأما محمد الأصغر فمن أم ولد .

- **أم حبيبة بنت زمعة بن بحر بن العبد بن علقمة**، وهي أم ولد من السبي الذين سباهم خالد من بني تغلب حين أغار على عين التمر، فولدت له عمر وقد عُمِّر خمساً وثمانين سنة، ورقية .

- **أم سعيد بنت عروة بن مسعود بن مغيث بن مالك الثقفي**، فولدت له أم الحسن، ورملة الكبرى .

- **ابنة امرئ القيس بن عدي بن أوس الكلبية**، فولدت له جارية، فكانت تخرج مع علي إلى المسجد وهي صغيرة، فيُقال لها: مَن أخوالك؟ فتقول: وه وه! تعني بني كلب .

- **أمامة بنت أبي العاص بن الربيع بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي،** وأمها زينب بنت رسول الله ﷺ، وهي التي كان رسول الله ﷺ يحملها وهو في الصلاة إذا قام حملها، وإذا سجد وضعها، فولدت له محمداً الأوسط.

- **خولة بنت جعفر بن قيس، من بني حنيفة،** سباها خالد أيام الصِّدِّيق أيام الردة من بني حنيفة، فصارت لعلي بن أبي طالب، فولدت له محمد الملقَّب بابن الحنفية، وهناك من ادعى فيه الإمامة والعصمة، وقد كان من سادات المسلمين ولكن ليس بمعصوم.

وكان لعلى ﷺ أولاد كثر آخرون من أمهات أولاد شتى، فإنه مات عن أربع نسوة وتسع عشرة سُرِّية ﷺ.

فمن أولاده ﷺ مما لا يُعرف أسماء أمهاتهم: أم هانئ وميمونة وزينب الصغرى ورملة الكبرى وأم كلثوم الصغرى وفاطمة وأمامة وخديجة وأم الكرام وأم جعفر وأم سلمة وجمانة[1].

وسنحاول بمشيئة الله تعالى في هذه الصفحات إلقاء الضوء على شخصية علي بن أبي طالب لنرى من خلالها ملامح العظمة وفقه البطولة وسجايا الصلاح، الأمر الذي جعله في قائمة العشرة المبشَّرين بالجنة رضي الله عنهم أجمعين.

علي ﷺ ربيب بيت النبوة:

لو قلنا: إن علياً ربيب بيت النبوة ما جانبنا الصواب ولا تخطينا الحقيقة؛ وذلك لأن علياً بالفعل تربَّى في بيت النبي ﷺ، وتعلَّم منه الأخلاق الفاضلة والسجايا الحميدة.

ففي ظلال سيد الأولين والآخرين محمد ﷺ استروح علي نسمات الحياة الأولى حيث وجد في محمد حنان الأبوة وأخلاق النبوة وسيما الصالحين، وأحسَّ بأن قدره قد ساقه إلى خير ما تسوق إليه الأقدار إنساناً في حاضره، كما أنها

---

(١) راجع: الطبقات ٣/٢٠ وما بعدها.

قد ساقته إلى شيء كبير من هذا الخير حين جعلته يتفرَّع من هذه الدوحة الهاشمية الكريمة[(١)].

قال ابن إسحاق: كان أول ذكر آمن برسول الله ﷺ وصلَّى معه وصدَّقه بما جاءه من عند الله علي بن أبي طالب، وهو يومئذ ابن عشر سنين، وكان مما أنعم الله به على علي بن أبي طالب عليه السلام أنه كان في حجر رسول الله ﷺ قبل الإسلام[(٢)].

وقصة ذلك تتلخص في أن أبا طالب كان ذا عيالٍ ولم يكن ميسور الحال، وزاد عليه أن اجتاحت مكة أزمة شديدة أثَّرت عليهم، وبالأخص على فقرائهم الذين كان من بينهم أبو طالب، فكان يعاني شظفاً في العيش وقلة في الرزق.

ويروي لنا الطبري بداية كفالة النبي ﷺ لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه ويقول فيما يرويه بسنده عن مجاهد بن جبر أبي الحجاج قال: كان من نعمة الله على علي بن أبي طالب وما صنع الله له وأراده به من الخير أن قريشاً أصابتهم أزمة شديدة، وكان أبو طالب ذا عيالٍ كثير، فقال رسول الله ﷺ للعباس عمه، وكان من أيسر بني هاشم: يا عباس، إن أخاك أبا طالب كثير العيال، وقد أصاب الناس ما ترى من هذه الأزمة، فانطلق بنا فلنخفف عنه من عياله، آخذ من بنيه رجلاً، وتأخذ من بنيه رجلاً فنكفهما عنه، قال العباس: نعم، فانطلقا حتى أتيا أبا طالب، فقالا: إنا نريد أن نخفف عنك من عيالك حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه، فقال لهما أبو طالب: إذا تركتما لي عقيلاً فاصنعا ما شئتما، فأخذ رسول الله ﷺ علياً فضمَّه إليه، وأخذ العباس جعفراً فضمَّه إليه، فلم يزل علي بن أبي طالب مع رسول الله ﷺ حتى بعثه الله نبياً، فاتبعه علي فآمن به وصدَّقه، ولم يزل جعفر عند العباس حتى أسلم واستغنى عنه[(٣)].

---

(١) انظر: علي بن أبي طالب الخليفة المفتري عليه، عبد الحليم عويس، ص١٠.

(٢) رواه الحاكم في المستدرك: في معرفة الصحافة، ح(٦٤٦٣). وانظر: تاريخ الطبري: والبداية والنهاية: ٣٤/٣.

(٣) تاريخ الطبري: ٥٧/٢، ٥٨ .

لقد أحسَّ النبي ﷺ بما يكابده أبو طالب من أعباء الحياة وأثقالها فهرع إليه بنيةٍ صادقةٍ وقلبٍ مطمئنٍ وذاكرة لما تنس صنيع أبي طالب معه؛ ليشاطره همومه وأعباءه، وكانت نتيجة ذلك أن انتقل علي رضي الله عنه للعيش مع النبي ﷺ، فنهل من أخلاقه وتأدَّب من أدبه، وشارك النبي ﷺ طعامه وشرابه، وتعلم منه بعينيه قبل أن يسمع بأذنيه، فكان ذلك خيراً له في دنياه وأخراه.

إسلامه رضي الله عنه:

عرف علي رضي الله عنه الإسلام مبكراً، ولعل مما ساعده على ذلك هو تربيته في بيت النبي ﷺ.

قال ابن إسحاق: ثم إن علي بن أبي طالب رضي الله عنه جاء بعد ذلك بيومٍ وهما يصليان، فقال علي: يا محمد ما هذا؟ قال: دين الله الذي اصطفى لنفسه، وبعث به رسله، فأدعوك إلى الله وحده لا شريك له، وإلى عبادته، وأن تكفر باللات والعزى، فقال علي: هذا أمر لم أسمع به قبل اليوم، فلست بقاض أمراً حتى أحدِّث به أبا طالب، فكره رسول الله ﷺ أن يفشي عليه سرَّه قبل أن يستعلن أمره، فقال له: يا علي إذا لم تسلم فاكتم، فمكث علي تلك الليلة، ثم إن الله أوقع في قلب علي الإسلام، فأصبح غادياً إلى رسول الله ﷺ حتى جاءه، فقال: ماذا عرضت علي يا محمد؟ فقال له رسول الله ﷺ: «تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وتكفر باللات والعزى، وتبرأ من الأنداد» ففعل علي وأسلم، ومكث يأتيه على خوفٍ من أبي طالب، وكتم علي إسلامه ولم يظهره، وأسلم ابن حارثة - يعني زيداً - فمكثا قريباً من شهر يختلف علي إلى رسول الله ﷺ، وكان مما أنعم الله به على علي أنه كان في حجر رسول الله ﷺ قبل الإسلام[1].

---

(١) البداية والنهاية: ٣٤/٣.

وقد اختلف العلماء في تحديد أول من أسلم من الرجال هل هو علي أم أبو بكر رضي الله عنهما، وقد تكلمنا عن هذه المسألة عند حديثنا عن سيرة الصِّدِّيق أبي بكر رضي الله عنه وقلنا: إن هناك من العلماء من خرج من هذا الاختلاف بتوفيقٍ بيانه: أن الصِّدِّيق أول من أسلم من الرجال، وأن علياً أول من أسلم من الصبيان، كما أن خديجة أول من أسلمت من النساء.

وإن كان ابن عبد البر له توفيق آخر بين هذين الرأيين وهو: أن علي أول من أسلم مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم، والصِّدِّيق أول من أظهر إسلامه[1].

وعلى كلٍ فالذي يعنينا هو أن علياً رضي الله عنه كان في الطليعة المسلمة التي آمنت بالإسلام، وصدَّقت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

علي بن أبي طالب رضي الله عنه مكانة ومنزلة:

حظي علي رضي الله عنه بمكانةٍ عظيمةٍ، فهو كما ذكره أبو نعيم: محب المشهود ومحبوب المعبود .. ورأس المخاطبات، ومستنبط الإشارات، راية المهتدين ونور المطيعين، وولي المتقين، وإمام العادلين، أقدمهم إجابة وإيماناً، وأقومهم قضية وإيقاناً، وأعظمهم حلماً، وأوفرهم علماً .. قدوة المتقين زينة العارفين المنبئ عن حقائق التوحيد المشير إلى لوامع علم التفريد، صاحب القلب العقول واللسان السؤول والأذن الواعي والعهد الوافي، فقَّاء عيون الفتن ووقي من فنون المحن، فدفع الناكثين ووضع القاسطين ودمغ المارقين، الأخيشن في دين الله الممسوس في ذات الله[2].

لا يجحد مكانة علي رضي الله عنه في الإسلام إلا رجل أدار ظهره للحق، وتنكر للواقع، وخالف صريح النصوص الصحيحة.

---

(١) الاستيعاب: ابن عبد البر، ١٠٩٢/٣.

(٢) حلية الأولياء: ١/ ٦١، ٦٢.

فعلي ﷺ صاحب مكان ومكانة في الإسلام، وهذا ما أقرَّ به جميع المسلمين سلفاً وخلفاً على مرِّ العصور وكرِّ الدهور، وما شذَّ عن ذلك إلا من لا يُلتفت إلى قوله، ولا يُخرق بمثله إجماع.

إلاَّ أن هذه المكانة وتلك المنزلة مقيَّدة بالنصوص الصحيحة، ولا عبرة فيها بما غلا من النصوص التي تكلم فيها العلماء سنداً ومتناً ودلالةً.

فقد امتاز علي بن أبي طالب ﷺ بأمورٍ منها: أنه صهر رسول الله ﷺ، وأبو السبطين وأول هاشمي ولد بين هاشميين، وأول خليفة من بني هاشم، وأحد العشرة المبشرة بالجنة، وأحد الستة أصحاب الشورى الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض، وأحد الخلفاء الراشدين، وأحد «القلائل» الربَّانيين، والشجعان المشهورين، والزهَّاد المذكورين، وأحد السابقين إلى الإسلام، ولم يسجد لصنمٍ قط، وبات ليلةً على فراشه ﷺ يقيه بنفسه، وخلفه بمكة ليردَّ الودائع التي كانت عنده، وكان يحمل راية رسول الله ﷺ العظمى في القتال، فيقدم بها في بحر العدو وشهد معه مشاهده كلها وأبلى فيها بلاءً حسناً، وشهد وقعة أحد وبايعه على الموت، وكان من أشجع الناس، لم يبارز أحداً قط إلا قتله، وسار لما ولي الخلافة بسيرة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما في القسم والتسوية بين الناس، وكان إذا ورد عليه مال يترك منه شيئاً حتى يقسمه، وكان يكنس بيت المال ويصلي فيه، ويقول: يا دنيا غري غيري، ولم يخص بالولايات إلا أهل الديانات[1].

يقول ابن عباس: لعلي أربع خصال ليست لأحد غيره: هو أول عربي وعجمي صلَّى مع رسول الله ﷺ، وهو الذي كان لواؤه معه في كل زحفٍ، وهو الذي صبر معه يوم فر عنه غيره، وهو الذي غسله وأدخله قبره[2].

---

(١) راجع: أسد الغابة :١٦/٤. - سبل الهدى والرشاد : الصالحي الشامي، ١١/ ٢٨٨ .

(٢) الاستيعاب: ابن عبد البر، ٣/ ١٠٩٠.

ويكفي علي قول النبي ﷺ له يوم غدير خُم حين اشتكى بعض الناس منه وعتبوا عليه أموراً حدثت منه بأرض اليمن حين بعثه النبي ﷺ إليها داعياً إلى الإسلام، وكان رأيه فيها هو الصواب.

فلما وصل النبي ﷺ إلى غدير خم، وهو موضع بين مكة والمدينة، خطب النبي ﷺ في الناس، وقال فيما قال: من كنت مولاه فعلي مولاه[1].

وروى ابن عساكر بسنده عن الحارث بن ثعلبة قال: سمعت سعد بن أبي وقاص يقول: لقد كانت لعلي خصال لأن تكون لي واحدة منها أحب إلي من الدنيا وما فيها: غزا رسول الله ﷺ تبوكاً، فقال له علي: تخلفني، فقال: يا ابن أبي طالب، أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى فلأن تكون هذه لي أحب إلي من الدنيا وما فيها وأخرج الناس من المسجد وترك علياً فيه، فقال له علي يحل له ما ما يحل[2]، وقال له يوم غدير خُم: من كنت مولاه فعلي مولاه، وأرسل أبا بكر ببراءة فأرسل علياً على أثره فأخذ منه براءة فقرأها على أهل مكة، فلأن تكون لي واحدة منهن أحب إلي من الدنيا وما فيها[3].

ومما تجدر الإشارة إليه هنا: أن هذه المكانة المرموقة والمنزلة الرفيعة التي حظي بها علي بن أبي طالب رضي الله عنه لا ينبغي المغالاة فيها ولا إخراجها عن غرضها الصحيح بتأويلٍ فاسد أو دلالة واهية، فالرجل له مكان ومكانة وقدر ومنزلة، ولا يخلو قلب مسلم من حبه، وترتيبه في الفضل ترتيبه في الخلافة.

---

(١) رواه الترمذي: كتاب المناقب باب مناقب علي، ح(٣٧١٣) وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح، وعلق الألباني قائلا: صحيح. – وأحمد: ٣٤٧/٥، حديث بريدة الأسلمي، ح(٢٢٩٩٥). وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين– والنسائي في الكبرى: كتاب المناقب، باب فضائل علي بن أبي طالب، ح(٨١٤٤).

(٢) كذا بالمصدر.

(٣) تاريخ دمشق: ٤٢/ ١١٩، ١٢٠.

بشارة كريمة من نبيٍ كريمٍ إلى صحابيٍ كريمٍ:

على بن أبي طالب ﷺ هو أحد العشرة الذين بشَّرهم النبي ﷺ بالجنة، ويكفيه أنه أول من أسلم من الصبيان، وأنه لازم النبي ﷺ حياته كلها وأنه يعد بحق أول فدائي في الإسلام حينما نام على فراش النبي ﷺ عند الهجرة، ولا يقدح في بطولته هذه أن النبي ﷺ طمأنه أنه لن يصيبه سوء فمع هذا يبقى الرجل بطلاً، فوقتها كان صغيراً وأعداء النبي ﷺ كانوا خارج البيت ينتظرون ويترقَّبون وسيوفهم بأيديهم ينتظرون اللحظة الحاسمة، فمجرد نومه في هذا الوقت وهو بهذا السن بطولة في حدِّ ذاته.

وروى أحمد والترمذي عن عبد الرحمن بن عوف أنه قال: قال رسول الله ﷺ: أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وسعد في الجنة، وسعيد في الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة[1].

علي بن أبي طالب ﷺ يحب الله ورسوله ﷺ:

ذكرنا فيما سبق بشارة النبي ﷺ لعلي بن أبي طالب ﷺ بالجنة، وهذه البشارة ما جاءت من فراغ، وإنما كانت بمثابة تتويج ومباركة لإخلاص علي ابن أبي طالب ﷺ، وحبه لدينه ولرسوله ﷺ.

فقد لازم علي النبي ﷺ منذ صغره وأحب النبي ﷺ حباً خالط عظمه ولحمه، وسابق دماءه في أحشائه.

فكان من حبه للنبي ﷺ يتلهف أمره شأنه شأن جميع الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، وكان يخصف نعله، أي يصلحها ويخيطها بالمخرز، حباً وامتثالاً.

---

(١) رواه أحمد في مسنده: ح(١٦٧٥) وقال شعيب: إسناده قوي على شرط مسلم- والترمذي: كتاب المناقب، باب مناقب عبد الرحمن بن عوف،ح(٣٧٤٧). وقال الألباني: صحيح. والنسائي في الكبرى: ح(٨١٩٤) وابن حبان: كتاب إخباره عن مناقب الصحابة، ح(٧٠٠٢).

روى ابن أبي شيبه في مصنفه بسنده عن أبي سعيد الخدري قال: كنا جلوساً في المسجد فخرج رسول الله ﷺ فجلس إلينا، ولكأن على رءوسنا الطير لا يتكلم أحد منا، فقال: إن منكم رجلاً يقاتل الناس على تأويل القرآن كما قوتلتم على تنزيله، فقام أبو بكر فقال: أنا هو يا رسول الله ﷺ، قال: لا، فقام عمر، فقال: أنا هو يا رسول الله ﷺ، قال: لا، ولكنه خاصف النعل في الحجرة، قال: فخرج علينا علي ومعه نعل رسول الله ﷺ يصلح منها[١].

وفي الحروب والغزوات كانت عينا علي على النبي ﷺ يراقبه ويحرسه ويقاتل بين يديه حتى لا يخلص إليه أحد، ويوم أن أصيب النبي ﷺ في غزوة أحد انكبَّ علي ﷺ بين يديه يغسل جرحه.

روى البخاري بسنده عن أبي حازم: أنه سمع سهل بن سعد وهو يسأل عن جرح رسول الله ﷺ، فقال: أما والله إني لأعرف من كان يغسل جرح رسول الله ﷺ ومن كان يسكب الماء وبما دووي، قال: كانت فاطمة عليها السلام بنت رسول الله تغسِّله وعلي بن أبي طالب يسكب الماء بالمجن، فلما رأت فاطمة أن الماء لا يزيد الدم إلا كثرة أخذت قطعة من حصير فأحرقتها وألصقتها، فاستمسك الدم وكسرت رباعيته يومئذ وجُرِح وجهه وكسرت البيض على رأسه[٢].

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة: ٣٦٧/٦ فضائل علي بن أبي طالب، ح(٣٢٠٨٢). ورواه أحمد في مسنده: ٨٢/٣ مسند أبي سعيد الخدري، ح(١١٧٩٠) وقال شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح صحيح ابن حبان: كتاب إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة، باب ذكر قتال علي بن أبي طالب ﷺ على تأويل القرآن، ح(٦٩٣٧) وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم. والهيثمي في المجمع:٣٣/٩،ح(١٤٧٦٣) وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير فطر ابن خليفة وهو ثقة.

(٢) رواه البخاري: كتاب المغازي، باب ما أصاب النبي ﷺ من الجراح يوم أحد، ح(٣٨٤٧). والبيضة: خوذة من حديد تكون على الرأس.

وأخرج ابن عساكر والبيهقي في الكبرى عن ابن عباس قال: أصاب نبي الله ﷺ خصاصة فبلغ ذلك علياً رضي الله عنه، فخرج يلتمس عملاً ليصيب منه شيئاً يبعث به إلى نبي الله ﷺ، فأتى بستاناً لرجل من اليهود، فاستقى له سبعة عشر دلواً، كل دلو بتمرة، فخيره اليهودي من تمره سبع عشرة تمرة عجوة، فجاء بها إلى نبي الله ﷺ، فقال: من أين هذا يا أبا الحسن؟ قال: بلغني ما بك من الخصاصة يا نبي الله فخرجت التمس عملاً لأصيب لك طعاماً، قال: فحملك على هذا حب الله ورسوله، قال علي: نعم يا نبي الله، فقال نبي الله ﷺ: والله ما من عبدٍ يحب الله ورسوله إلا الفقر أسرع إليه من جرية السيل على وجهه، مَن أحب الله ورسوله فليعد تحفافاً وإنما يعنى الصبر[1].

كما أن النبي ﷺ كان يحبه ويقربه، وكيف لا؟ وهو ابن عمه، وربيبه في بيته، ومن أولى ثمار دعوته، وما تزويج النبي ﷺ ابنته لعلي إلا ثمرة من ثمار هذه المحبة، كما أنه كاتب صلح الحديبية وإليه كان يعقد النبي ﷺ الراية في كثيرٍ من الغزوات.

وقد شهد النبي ﷺ بنفسه على هذا الحب وأذاعه وأشاعه بين الصحابة حيث قال فيما رواه البخاري بسنده عن سَهْل بن سعد رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ يوم خيبر: لأعطين الراية غداً رجلاً يفتح على يديه يحِب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، فبات الناس ليلتهم أيُّهم يُعطَى، فغدوا كلُّهم يرجوه، فقال: أين عليٌّ؟ فقيل: يشتكي عينيه، فبصق في عينيه ودعا له، فبرأ كأن لم يكن به وجعٌ، فأعطاه، فقال: أُقاتلهم حتى يكونوا مثلنا، فقال: انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً خير لَك من أن يكون لك حُمر النَّعَم[2].

---

(١) رواه البيهقي في الكبرى: كتاب الإجارة، باب جواز الإجارة، ح(١١٤٢٩).

(٢) رواه البخاري: كتاب الجهاد، باب فضل مَن أسلم على يديه رجل، ح(٣٠٠٩).

علي ﷺ فدائي من الرعيل الأول:

عرفت الشجاعة طريقها إلى قلب علي ﷺ منذ نعومة أظفاره، فألفِها وألفِته، وتولَّى زمامها وارعوت له، فلا تجده إلا شجاعاً مقداماً ثابراً مثابراً.

ولعل من أولى إرهاصات شجاعته نومه في فراش النبي ﷺ مع علمه بأن النبي ﷺ مستهدَف من مشركي قريش، بل وتيقنه من أنهم على الباب قد شحذوا سيوفهم يطلبون دمه.

ولا يقدح في شجاعته تلك أن النبي ﷺ صبَّره أو طمأنه بأنه لن يناله منهم أذى ولن يقتلوه، فمجرد نومه في هذا الوقت المبكر من حياته وفي هذه الحالة التي أحاط فيها المشركون ببيت النبي ﷺ ينتظرون الانقضاض عليه إنما هو الشجاعة بعينها.

ولنا أن نتساءل: مَن في دنيا الناس الآن يستطيع أن يثبت في هذا الموقف في هذه السن المبكرة؟ إنها الشجاعة والتضحية والفداء لا غير.

فبعد أن أجمع مشركوا قريش أمرهم واتفقوا على قتل النبي ﷺ، تفرقوا وهم مجمعون على ذلك.

فأتى جبرائيل رسول الله ﷺ فقال له: لا تبت هذه الليلة على فراشك الذي كنت تبيت عليه، قال: فلما كانت عتمة من الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه حتى ينام فيثبون عليه، فلما رأى رسول الله ﷺ مكانهم قال لعلي بن أبي طالب: نم على فراشي وتسجَّ ببردي هذا الحضرمي الأخضر، فنم فيه فإنه لن يخلص إليك شئ تكرهه منهم، وكان رسول الله ﷺ ينام في برده ذلك إذا نام[1].

وروى البيهقي في الدلائل: ومكث رسول الله ﷺ بعد الحج بقية ذي الحجة، والمحرم، وصفر، ثم إن مشركي قريش اجتمعوا أن يقتلوه أو يخرجوه حين ظنوا أنه خارج، وعلموا أن الله ﷻ قد جعل له مأوى ومنعة ولأصحابه،

---

(١) السيرة النبوية: ابن كثير، ٢ /٢٢٩.

وبلغهم إسلام من أسلم، ورأوا من يخرج إليهم من المهاجرين، فأجمعوا أن يقتلوا رسول الله ﷺ أو يثبتوه، فقال الله ﷻ: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾[1]، وبلغه ﷺ في ذلك اليوم الذي أتى فيه أبا بكر أنهم مبيتوه إذا أمسى على فراشه، فخرج رسول الله ﷺ وأبو بكر في جوف الليل قبل الغار غار ثور، وهو الغار الذي ذكر الله ﷻ في الكتاب، وعمد علي بن أبي طالب فرقد على فراش رسول الله ﷺ يواري عنه، وباتت قريش يختلفون ويأتمرون أيهم يجثم على صاحب الفراش فيوثقه، فكان ذلك أمرهم حتى أصبحوا، فإذا هم بعلي بن أبي طالب، فسألوه عن النبي ﷺ فأخبرهم أنه لا علم له به، فعلموا عند ذلك أنه قد خرج فاراً منهم، فركبوا في كل وجه يطلبونه»[2].

وذكر أحمد من حديث ابن عباس بإسناد حسن في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾[3]، قال: تشاورت قريش ليلة بمكة، فقال بعضهم: إذا أصبح فأثبتوه بالوثاق يريدون النبي ﷺ، وقال بعضهم: بل اقتلوه، وقال بعضهم: بل أخرجوه، فأطلع الله نبيه على ذلك، فبات علي على فراش النبي ﷺ تلك الليلة، وخرج النبي ﷺ حتى لحق بالغار، وبات المشركون يحرسون علياً يحسبونه النبي ﷺ، يعني ينتظرونه حتى يقوم، فيفعلون به ما اتفقوا عليه، فلما أصبحوا ورأوا علياً ردَّ الله مكرهم، فقالوا: أين صاحبك هذا؟ قال: لا أدري، فاقتصُّوا أثره، فلما بلغوا الجبل اختلط عليهم، فصعدوا الجبل فمروا بالغار

(١) سورة الأنفال الآية «٣٠».

(٢) رواه البيهقي في الدلائل: ٣٣٢/٢، باب مكر المشركين برسول الله، ح(٧٢٥) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد: ١٧/٦، باب الهجرة إلى المدينة، ح(٩٩٠٢) وقال: رواه الطبراني مرسلاً وفيه ابن لهيعة وفيه كلام وحديثه حسن. - فتح الباري: ٧ / ١٨٤.

(٣) سورة الأنفال الآية«٣٠».

فرأوا على بابه نسج العنكبوت، فقالوا: لو دخل ههنا لم يكن نسج العنكبوت على بابه فمكث فيه ثلاث ليال[١].

وروى الحاكم في المستدرك بسنده عن عمرو بن ميمون عن ابن عباس قال: شرى علي نفسه ولبس ثوب النبي ﷺ، ثم نام مكانه، وكان المشركون يرمون رسول الله ﷺ، وقد كان رسول الله ﷺ ألبسه بردة، وكانت قريش تريد أن تقتل النبي ﷺ فجعلوا يرمون علياً ويرونه النبي ﷺ، وقد لبس بردة، وجعل علي رضي الله عنه يتضور فإذا هو علي، فقالوا: إنك للئيم إنك لتتضور وكان صاحبك لا يتضور، ولقد استنكرنا منك هذا[٢].

وكيف لا يكون علي كذلك من التضحية والفداء وقد تربَّى في محضن النبوة طفلاً وفتىً وشاباً، وأدرك من النبي ﷺ ما لا يدركه إلا القليل، ولهذا كثرت مناقبه رضي الله عنه، حتى قال عنه صاحب الاستيعاب: وفضائله لا يحيط بها كتاب[٣].

---

(١) فتح الباري: ٧ / ١٨٤، ١٨٥. وقال الحافظ الهيثمي: رواه أحمد والطبراني وفيه عثمان بن عمرو الجزري وثَّقه ابن حبان وضعفه غيره، وبقية رجاله رجال الصحيح، ٣٩٢/٦، ح(١١٠٢٨). ورواه أحمد: ٣٤٨/١، مسند عبد الله بن العباس، ح(٣٢٥١) وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف، وعثمان الجزري قال أحمد: روى أحاديث مناكير زعموا أنه ذهب كتابه وقال ابن أبي حاتم: سألت عنه أبي فقال: ما أعلم روى عنه غير معمر والنعمان . وقد أخطأ الهيثمي وتابعه أحمد شاكر وحبيب الرحمن فظنُّوه عثمان بن عمرو بن ساج الجزري المترجم في التهذيب، وقال ابن كثير في تاريخه: وهذا إسناد حسن! وهو من أجود ما روي في قصة نسج العنكبوت على فم الغار.

(٢) رواه الحاكم: المستدرك، كتاب الهجرة، ح(٤٢٦٣) وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقد رواه أبو داود الطيالسي وغيره عن أبي عوانة بزيادة ألفاظ، وعلَّق الذهبي في التلخيص قائلاً: صحيح.

(٣) الاستيعاب: ابن عبد البر، ١١١٣/٣.

علي ﷺ في ميادين الوغى وساحات الاستبسال:

عُرف علي ﷺ بنبوغه الحربي وشجاعته الفائقه وبراعته في القتال وهو أمر شهد له به الجميع القاصي والداني والبعيد والقريب والعدو والصَّديق، وطالما كان سيفه عوناً للمسلمين في ساعات الخطوب والكروب، فحينما تشتد المعارك، وتلتحم الأجساد، وتتطاير الأكفُّ والأعناق، وتختلط الدماء بالدماء والأصوات بالأصوات، وتعلو الأنَّات وتتصاعد الزفرات، عندها تجد علي بن أبي طالب يدور يُمنة ويسرة ما بين كرٍّ وفرٍّ وقتالٍ ونزالٍ إلى أن يحقق الله تعالى النصر.

وهذه الصفة هي مفتاح شخصية علي بن أبي طالب ﷺ، فقد كانت الشجاعة والنخوة طبعاً في علي فُطِر عليه، وأدباً من آداب الأسرة الهاشمية نشأ فيه وتربَّى عليه، ولم يؤثر عنه مرة أن جبن أو تخاذل أو فرَّ من يوم كريهةٍ إلا لتفننٍ وخديعةٍ.

فهاهو في غزوة بدر صاحب لواء رسول الله ﷺ(١)، ونلمحه في هذا اليوم يصول ويجول، ويقوم بأمر من النبي ﷺ ويشارك في المبارزة، ويبارز الوليد بن عتبة ولا يكاد يمهله حتى يرديه قتيلاً(٢) ويكبِّر المسلمون تكبيرة تتجاوب لها آفاق السماء، وترتجف منها قلوب المشركين.

وهاهو أيضا يوم أحد نشاهده يقتحم الخطوب والدروب غير هيَّاب ولا وجِل، يقتلع بسيفه جذور المشركين، ما يصدّه صادّ ولا يقف أمامه واقف.

يقول ابن كثير: وشهد علي أحداً وكان على الميمنة ومعه الراية بعده مصعب بن عمير، وعلى الميسرة المنذر بن عمرو الأنصاري، وحمزة ابن عبد المطلب على القلب، وعلى الرجَّالة الزبير بن العوام، وقيل: المقداد ابن الأسود، وقد قاتل علي يوم أحد قتالاً شديداً، وقتل خلقاً كثيراً من

---

(١) انظر: الطبقات الكبرى، ٣/٢٣.

(٢) الثقات: ابن حبان، ١/١٦٧. أسد الغابة: ٣/ ٣٥٧.

المشركين، وغسل عن وجه النبي ﷺ الدم الذي كان أصابه من الجراح حين شُجَّ في وجهه، وكسرت رباعيته[١].

وفي يوم الخندق في غزوة الأحزاب يوم أن تجمَّع المشركون بقضهم وقضيضهم وحدهم وحديدهم يريدون اجتثاث دعوة التوحيد، عندها برز علي ومعه أصحاب النبي ﷺ وحالوا بعون الله تعالى بينهم وبين تحقيق مأربهم الخبيث.

يقول ابن كثير: وشهد - أي علي- يوم الخندق فقتل يومئذ فارس العرب، وأحد شجعانهم المشاهير، عمرو بن عبد ود العامري ...[٢].

وقصة ذلك: أن فوارس من قريش فيهم عمرو بن عبد ود وعكرمة بن أبي جهل وضرار بن الخطاب وهبيرة بن أبي وهب تلبَّسوا للقتال، وخرجوا على خيولهم حتى مروا بمنازل بني كنانة فقالوا: تهيئوا للحرب يا بني كنانة فستعلمون مَن الفرسان اليوم، ثم أقبلوا تعنق بهم خيلهم حتى وقفوا على الخندق، فقالوا: والله إن هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها، ثم تيمَّموا مكاناً من الخندق ضيقاً فضربوا خيولهم، فاقتحمت، فجالت في سبخة بين الخندق وسلع، وخرج علي في نفرٍ من المسلمين حتى أخذ عليهم الثغرة التي منها اقتحموا، فأقبلت الفوارس تعنق نحوهم، وكان عمرو بن عبد ود فارس قريش، وكان قد قاتل يوم بدر حتى ارتثَّ[٣] وأثبتته الجراحة، فلم يشهد أحداً، فلما كان يوم الخندق خرج معلما ليرى مشهده، فلما وقف هو وخيله، قال له علي: يا عمرو، قد كنت تعاهد الله لقريش ألا يدعوك رجل إلى خلتين إلا قبلت منه إحداهما، فقال عمرو: أجل، فقال له علي: فإني أدعوك إلى الله وإلى رسوله

---

(١) البداية والنهاية: ٧ / ٢٥١. والرباعية: إحدى الأسنان الأربع التي تلي الثنايا. (لسان العرب: ١٠٨/٨).

(٢) البداية والنهاية: ٧ / ٢٥١.

(٣) ارتثَّ: أثخنته الجراح، حتى حُمِل من أرض المعركة وهو في حالة ضعف شديدة. (النهاية: ١٩٦/٢).

وإلى الإسلام قال لا حاجة لي في ذلك، فقال: فإني أدعوك إلى النزال، فقال له: يا ابن أخي لم؟ فوالله ما أحب أن أقتلك، فحمي عمرو، فاقتحم عن فرسه فعقره، ثم أقبل فجاء إلى علي فتنازلا وتجاولا، فقتله علي[١].

وفي غزوة خيبر كانت لعلي ﷺ بها مواقف هائلة، ومشاهد طائلة، منها ما رواه البخاري بسنده عن سهل بن سعد ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال:«لأعطين الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه» قال: فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها، فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن يعطاها، فقال:«أين علي بن أبي طالب»؟ . فقالوا: يشتكي من عينيه يا رسول الله، قال:«فأرسلوا إليه فأتوني به»فلما جاء بصق في عينيه ودعا له فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية، فقال علي: يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ فقال:«انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حُمر النعم»[٢].

وفي هذه الغزوة قتل علي بن أبي طالب ﷺ مرحب بطل اليهود وفارسهم.

روى مسلم في صحيحه بسنده: وخرج مرحب فَقَال:

قَد علمت خيبر أنى مَرحب ... شاكى السلاح بطل مجـرَّب

إذا الحروب أقبلت تلهَّب

فقال على:

أنا الذى سمتنى أمى حَيدرة ... كليث غابات كَريه المنظرة

أُوفيهمُ بالصاع كَيل السَّندرة

قَال: فضرب رأس مرحب فقتَله، ثم كَان الفتح على يديه[٣].

---

(١) تاريخ دمشق: ٤٢ / ٧٨. ومعنى حَمِي: أي اشتدَّ غضبه.

(٢) رواه البخاري: كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب علي، ح(٣٤٩٨).

(٣) رواه مسلم: كتاب الجهاد والسير، باب غَزْوَةِ ذِى قَرَدٍ، ح (٤٧٧٩) .

وشهد علي ﷺ غير ذلك من الغزوات، ولم يتخلف إلا في غزوة تبوك بأمرٍ من النبي ﷺ حيث أبقاه على المدينة.

روى مسلم في صحيحه بسنده عن سعد بن أبي وقاص قال: خلف رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب في غزوة تبوك، فقال: يا رسول الله، تخلفني في النساء والصبيان؟ فقال: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى؟ غير أنه لا نبي بعدي[١].

ولسنا هنا بصدد عرض كل غزوات علي ﷺ، فهذا أمر لا تتحمله طبيعة هذا البحث، وما سبق خير دليل على شجاعة علي ﷺ وبراعته في القتال، وهذا يعدُّ بحقٍ معلم من معالم شخصية علي بن أبي طالب ﷺ، فالرجل كان فارساً شجاعاً مقداماً ذا نظرٍ في الحروب، وقلَّ أن تجد له نظيراً، وكان يقول عن نفسه أمام أصحابه وما ينكر عليه أحد: ما بارزني أحد إلا أنصفت منه[٢] فرضي الله عنه وأرضاه.

أشرف زواج وأكرم مصاهرة:

لعل من أبرز وأشرف الوقفات التي يمكن أن نقف عندها أثناء حديثنا عن سيرة علي بن أبي طالب ﷺ هي زواجه بالسيدة فاطمة بنت رسول الله ﷺ، وهي وقفة لها أهميتها ومكانتها؛ لأنها تتعلق ببنت رسول الله ﷺ، أم أبيها، فاطمة ﷺ، التي هي بضعة من النبي ﷺ، والتي قالت عنها السيدة عائشة ﷺ: ما رأيت أحداً أشبه سمتاً ودلاً وهدياً برسول الله في قيامها وقعودها من فاطمة بنت رسول الله ﷺ، قالت: وكانت إذا دخلت على

---

(١) رواه مسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي، ح(٣١).

(٢) فتح الباري: ١٢٩/٧.

النبي ﷺ قام إليها فقبَّلها وأجلسها في مجلسه، وكان النبي ﷺ إذا دخل عليها قامت من مجلسها فقبَّلته وأجلسته في مجلسها[(١)].

فإذا كانت هذه فاطمة رضي الله عنها، فمن لا يحب شرف الاقتران بها من كبار الصحابة، ووجهاء المسلمين، والفوز بمصاهرة أبيها .. لذا فقد اتَّجهت أنظار البعض منهم إلى فاطمة رضي الله عنها، فحدَّث نفسه بالمثول بين يدي أبيها، وإعلان رغبته في التزوّج بها .. فيُقدِم على ذلك- كما روى الطبراني- أبو بكر وعمر ابن الخطاب رضي الله عنهما، فيخطب كل واحد منهما فاطمة لنفسه، ولكن رسول الله ﷺ يعتذر عن الاستجابة لطلبهما بالسكوت، فعلما أن النبي ﷺ ينتظر أمر الله فيها، فقال أبو بكر لعمر: انطلق بنا إلى عليٍ حتى نأمره أن يطلب مثل الذي طلبنا، قال علي: فأتياني وأنا في سبيل فقالا: بنت عمك تخطب فنبهاني لأمر، فقمت أجرُّ ردائي، طرف على عاتقي وطرف آخر في الأرض، حتى أتيت النبي ﷺ[(٢)].

أرسل علي خطاه نحو ابن عمه رسول الله ﷺ ليحدِّثه عن أمرٍ في نفسه طالما أخفاه، ألا وهو رغبته في الزواج من السيدة فاطمة رضي الله عنها.

روى البيهقي بسنده عن مجاهدٍ عن علي رضي الله عنه قال: لقد خطبت فاطمة بنت النبي ﷺ فقالت لي مولاة لي: هل علمت أن فاطمة تُخطب؟ قلت: لا، أونعم، قالت: فاخطبها إليه، قال: قلت: وهل عندي شيء أخطبها عليه؟ قال: فوالله مازالت ترجيني حتى دخلت عليه، وكنا نجلّه ونعظِّمه، فلما جلست بين يديه أُلجمت حتى ما استطعت الكلام، قال: هل لك من حاجة؟ فسكتُّ، فقالها ثلاث مرات، قال: لعلك جئت تخطب فاطمة، قلت: نعم يا رسول الله، قال: هل عندك من شيءٍ تستحلُّها به، قال: قلت: لا والله يا رسول الله، قال: فما فعلت

---

(١) رواه الترمذي: كتاب المناقب، باب فضل فاطمة بنت محمد ﷺ، ح(٣٨٧٢) وقال الشيخ الألباني: صحيح. وأبو داود في سننه: باب ما جاء في القيام، ح(٥٢١٩) وقال الشيخ الألباني: صحيح.

(٢) المعجم الكبير للطبراني، ذكر تزويج فاطمة، ح(١٠٢١).

بالدرع التي كنت سلحتكها؟ قال علي: والله إنها لدرع حُطَمِيَّة[١] ما ثمنُها إلا أربعمائة درهم، قال: اذهب فقد زوجتكها وابعث بها إليها فاستحِلَّها به[٢].

وروى أحمد بسنده عن علي ﷺ أن رسول الله ﷺ لما زوَّجه فاطمة بعث معه بخميلة ووسادة من آدم حشوها ليف ورحيين وسقاء وجرتين[٣].

وروي الطبراني في المعجم، أن أسماء بنت عميس قالت: لما أهديت فاطمة إلى علي بن أبي طالب لم نجد في بيته إلا رملاً مبسوطاً، ووسادة حشوها وجرة، وكوز، فأرسل النبي ﷺ إلى علي: لاتحدثن حديثاً، أو قال: لا تقربن أهلك حتى آتيك، فجاء النبي ﷺ فقال: أثم أخي؟ فقالت أم أيمن، وهي أمُّ أسامة بن زيد، وكانت حبشية، وكانت امرأة صالحة: يا رسول الله هذا أخوك وزوجته ابنتك؟ وكان النبي ﷺ آخا بين أصحابه وآخا بين علي ونفسه قال: إن ذلك يكون يا أم أيمن قالت: فدعا النبي ﷺ بإناءٍ فيه ماء، فقال فيه ما شاء الله أن يقول، ثم مسح به صدر علي ووجهه، ثم دعا فاطمة، فقامت إليه تعثر في مرطها من الحياء، فنضح عليها من ذلك، وقال لها ما شاء الله أن يقول، ثم قال لها: إني لم آلك أن أنكحتك أحب أهلي إلي ثم رأى سواداً من وراء الستر أو من وراء الباب فقال: من هذا؟ قالت: أسماء، قال: أسماء ابنة عميس؟ قالت: نعم يا رسول الله، قال: جئت كرامة لرسول الله ﷺ مع ابنته؟ قالت: نعم، إن الفتاة ليلة يبنى بها لابد لها من امرأة تكون قريباً منها إن عرضت لها حاجة أفضت بذلك

---

(١) الدرع الحُطمِيَّة: نسبة إلى ناسجها أو مستعملها، والحطيم اسم مكان. انظر: (مفردات غريب القرآن للراغب الأصفهاني، ١٢٣).

(٢) رواه البيهقي في الكبرى، كتاب الصداق، باب ما يستحب من القصد في الصداق، ح(١٤٧٤٠).

(٣) رواه أحمد في المسند: مسند علي بن أبي طالب، ح(٨١٩) وعلق شعيب الأرنؤوط قائلاً: إسناده قوي.

إليها قالت: فدعا لي بدعاء فإنه لأوثق عملي عندي، ثم قال لعلي: دونك أهلك، ثم خرج فولّى قالت: فما زال يدعو لهما حتى توارى في حجره[١].

ومعلوم أن النبي ﷺ لن يعطي ابنته إلا لرجل يحبه وله مكانة عنده، ولا يعني هذا أن الصِّدِّيق والفاروق رضي الله عنهما ليس لهما مكانة وفضل، ولكن الزواج يخضع لأمور خاصة: منها: السن الذي كان أقرب فيه علي إلى فاطمة منهما، كما أن الصِّدِّيق والفاروق قد شرفا بمصاهرة النبي ﷺ لهما في السيدة عائشة والسيدة حفصة رضي الله عنهما.

ويروي صاحب بحار الأنوار رواية يظهر منها مدى حب الصحابة الكرام لآل بيت النبي ﷺ ومدى فرحهم واحتفائهم بزواج علي من فاطمة.

روى المجلسي: أن علياً لما خطب فاطمة أقبل عليه رسول الله وقال له: يا أبا الحسن إنطلق الآن فبع درعك وأتني بثمنه حتى أهيئ لك ولابنتي فاطمة ما يصلحكما، قال علي: فانطلقت فبعته بأربعمائة درهم سود هجرية من عثمان بن عفان، فلما قبضت الدراهم منه وقبض الدرع مني، قال: يا أبا الحسن لست أولى بالدرع منك وأنت أولى بالدراهم مني، فقلت: بلى، قال: فإن الدرع هدية مني إليك، فأخذت الدرع والدراهم، وأقبلت إلى رسول الله، فطرحت الدرع والدراهم بين يديه وأخبرته بما كان من أمر عثمان، فدعا له بخير، وقبض رسول الله قبضة من الدراهم، ودعا بأبي بكر فدفعها إليه، وقال: يا أبا بكر اشتر بهذه الدراهم لابنتي ما يصلح لها في بيتها، وبعث معه سلمان وبلال ليعيناه على حمل ما يشتريه، قال أبو بكر: وكانت الدراهم التي أعطانيها ثلاثة وستين درهماً فانطلقت واشتريت فراشاً من خيش مصر محشواً بالصوف، ونطعاً من أدم، ووسادة من أدم حشوها من ليف النخل، وعباءة خيبرية، وقربة للماء، وكيزاناً، وجراراً، ومطهرة للماء، وستر صوف رقيقاً، وحملناه جميعاً حتى وضعناه بين

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير:١٣٧/٢٤، ح(٣٦٥). والهيثمي في مجمع الزوائد، ١٤٧/٩، ح(١٥٢١٦) وقال فيه: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح. وعبد الرزاق في المصنف: كتاب المغازي، باب تزويج فاطمة، ح(٩٧٨١).

يدي رسول الله، فلما نظر إليه بكى وجرت دموعه، ثم رفع رأسه الى السماء وقال: اللهم بارك لقومٍ جُل آنيتهم الخزف، قال علي: ودفع رسول الله باقي ثمن الدرع الى أم سلمة، فقال: اتركي هذه الدراهم عندك، ومكثت بعد ذلك شهراً لا أعاود رسول الله في أمر فاطمة بشئٍ استحياء من رسول الله غير أني كنت إذا خلوت برسول الله يقول لي: يا أبا الحسن ما أحسن زوجتك وأجملها، وأبشر يا أبا الحسن فقد زوَّجتُك سيدة نساء العالمين[1].

ويروي النسائي رواية في زواج علي من فاطمة وفيها أن سعد أولَم بكبش سروراً بهذا الزواج المبارك، وفيه دلالة على حب الصحابة لآل البيت بصفة عامة، ولعلي بخاصة، وفرحهم بزواجه من ابنة رسول الله ﷺ.

روى النسائي عن بن بريدة عن أبيه: أن نفراً من الأنصار، قالوا لعلي: عندك فاطمة، فدخل على النبي ﷺ، فسلَّم عليه، فقال: ما حاجة ابن أبي طالب؟ قال: ذكرت فاطمة بنت رسول الله ﷺ، قال: مرحباً وأهلاً لم يزده عليها، فخرج إلى الرهط من الأنصار ينتظرونه، فقالوا: ما وراءك؟ قال: ما أدري غير أنه قال لي مرحباً وأهلاً، قالوا: يكفيك من رسول الله ﷺ إحداهما، قد أعطاك الأهل وأعطاك الرحب، فلما كان بعد ذلك بعدما زوَّجه، قال: يا علي، إنه لا بد للعرس من وليمة، قال سعد: عندي كبش، وجمع له رهط من الأنصار آصعا من ذرة، فلما كان ليلة البناء قال: يا علي، لا تُحدِث شيئاً حتى تلقاني، فدعا النبي ﷺ بماءٍ فتوضأ منه، ثم أفرغه على علي، فقال: اللهم بارك فيهما وبارك عليهما وبارك لهما في شبلهما[2].

---

(١) بحار الأنوار للمجلسي: ١٣٠/٤٣، ومجمع النورين: لأبي الحسن المرندي، ص ٥٦ – ٥٨.

(٢) سنن النسائي الكبرى: كتاب النكاح، باب ما يقول إذا خطب امرأة وما يقال له، ح(١٠٠٨٨).

وهكذا تمَّ هذا الزواج المبارك وشارك فيه كبار الصحابة إما حضوراً وإما سروراً وإما بذلاً وعطاءً حباً للنبي ﷺ وآل بيت النبي ﷺ، وفيه خير دلالة على تلك المودة التي كانت بين الصحابة وآل البيت، والروح الطيبة التي سرت بين جوانحهم، فلا تجدهم إلا أحباء وأقارب وأصهار وأنساب، فرضي الله عنهم أجمعين.

علي ﷺ زهد مع مقدرة:

من يتابع سيرة علي بن أبي طالب ويشاهد فصولها وأحداثها المتتابعة والمتلاحقة لا بد وأن تستولي عليه الدهشة والعجب حين يرى مثالاً رائعاً في الزهد في الدنيا وعدم الحرص على متاعها وزينتها، والأمثلة على الزهد في حياة علي ﷺ كثيرة، بحيث لو قلنا: إن كل مواقف ومشاهد حياته تصلح أن تكون مثالاً على الزهد ما نكون قد جانبنا الصواب.

ولو نظرنا نظرة عابرة إلى حياة علي ﷺ مع السيدة فاطمة الزهراء ﷺ لوجدناها حياة بسيطة متواضعة يغلب عيها شظف العيش، فكان جلُّ متاعهما خميلة ووسادة من أدم حشوها ليف ورحاءين وسقاء وجرتين. وكان علي ﷺ يحمل الماء على ظهره، وكانت زوجه السيدة فاطمة ﷺ تطحن بيديها، وكانت حياتهما حياة سعي وعمل وكفاح .

ويروي لنا علي ﷺ إحدى مشاهد حياته مع السيدة فاطمة ويقول فيما رواه عنه أحمد بسنده:

إن رسول الله ﷺ لما زوَّجه فاطمة بعث معه بخميلة ووسادة من آدم حشوها ليف ورحاءين وسقاء وجرتين، فقال علي لفاطمة ﷺ ذات يوم: والله لقد سنوت[١] حتى لقد اشتكيت صدري، قال: وقد جاء الله أباك بسبي فاذهبي فاستخدميه، فقالت: وأنا والله قد طحنت حتى مجلت يداي، فأتت النبي ﷺ فقال: ما جاء بك أي بنية؟ قالت: جئت لأسلِّم عليك، واستحيت أن تسأله

---

(١) سَنوت: استقيت من البئر، فكنت مكان السانية، وهي الناقة.(فتح الباري: ١٠١/١١).

ورجعت، فقال: ما فعلت؟ قالت: استحييت أن أسأله، فأتيناه جميعاً، فقال علي ﷺ: يا رسول الله، والله لقد سنوت حتى اشتكيت صدري، وقالت فاطمة ﷺ: قد طحنت حتى مجلت يداي وقد جاءك الله بسبي وسعة، فأخدمنا، فقال رسول الله ﷺ: والله لا أعطيكما وأدع أهل الصفة تطوى بطونهم لا أجد ما أنفق عليهم، ولكني أبيعهم وأنفق عليهم أثمانهم، فرجعا فأتاهما النبي ﷺ وقد دخلا في قطيفتهما إذا غطت رؤوسهما تكشف أقدامهما، وإذا غطيا أقدامهما تكشفت رؤوسهما، فثارا، فقال: مكانكما، ثم قال: ألا أخبركما بخير مما سألتماني قالا: بلى، فقال: كلمات علمنيهن جبريل ﷺ فقال: تسبِّحان في دبر كل صلاة عشراً وتحمدان عشراً وتكبِّران عشراً، وإذا أويتما إلى فراشكما فسبحا ثلاثاً وثلاثين واحمدا ثلاثاً وثلاثين وكبِّرا أربعاً وثلاثين، قال: فوالله ما تركتهن منذ علمنيهن رسول الله ﷺ[1].

وهذا الأمر - الزهد - صار ملازماً لعلي ﷺ حتى بعد أن أتته الخلافة، فلم يؤثر عنه أنه تغيَّر عما كان عليه.

قال يحيى بن معين: عن علي بن الجعد عن الحسن بن صالح قال: تذاكروا الزهاد عند عمر بن عبد العزيز فقال قائلون: فلان، وقال قائلون: فلان، فقال عمر بن عبد العزيز: أزهد الناس في الدنيا علي بن أبي طالب[2].

وروى أبو نعيم في الحلية بسنده عن علي بن أبي طالب قال: جاءه ابن النباج فقال: يا أمير المؤمنين، امتلأ بيت مال المسلمين من صفراء وبيضاء، فقال: الله أكبر، فقام متوكئاً على ابن النباج حتى قام على بيت مال المسلمين، فقال: ... هذا جناي وخياره فيه ... وكل جان يده إلى فيه ... يا ابن النباج عليَّ بأشياع الكوفة، قال: فنودي في الناس، فأعطى جميع ما في بيت مال المسلمين وهو

---

(١) رواه أحمد في المسند: ١/١٠٦ مسند علي بن أبي طالب ﷺ، ح(٨٣٨). وعلق عليه شعيب الأرنؤوط قائلاً: إسناده حسن.

(٢) البداية والنهاية: ٨/٦.

يقول: يا صفراء ويا بيضاء غري غيري ها وها حتى ما بقي منه دينار ولا درهم، ثم أمره بنضحه وصلّى فيه ركعتين[١].

وروى البلاذري بسنده أنه لما فرغ علي بن أبي طالب من أهل الجمل أتى الكوفة فدخل بيت مالها فأضرط به - كناية عن عدم اعتنائه بما كان فيه - ثم قال: يا مال غري غيري. ثم قسمه بيننا، ثم جاءت ابنة للحسن - أو للحسين - فتناولت منه شيئاً، فسعى وراءها، ففكّ يدها ونزعه منها، قال: فقلنا: يا أمير المؤمنين إن لها فيه حقاً!! قال: إذا أخذ أبوها حقه فليعطها ما شاء، فلما فرغ من قسمته، قسَّم بيننا حبالاً جاءت من البحرين، فأبينا قبضها فأكرهنا عليها، فخرجت كتاناً جيداً، فتنافسنا فيها فبلغت دراهم، ثم عمد إلى بيت المال فكسحه ونضحه بالماء، ثم صلَّى فيه ركعتين، ثم توسَّد رداءه وقال: ينبغي لبيت مال المسلمين أن لا يأتي عليه يوم – أو جمعة – إلا كان هكذا ليس فيه شئ قد أخذ كل ذي حق حقه[٢].

وفي الحلية عن هارون بن عنترة عن أبيه قال: دخلت على علي بن أبي طالب بالخورنق[٣] وهو يرعد تحت سمل قطيفة – أي قطيفة بالية قديمة – فقلت: يا أمير المؤمنين، إن الله قد جعل لك ولأهل بيتك في هذا المال وأنت تصنع بنفسك ما تصنع، فقال: والله ما أرزأكم من مالكم شيئاً، وإنها لقطيفتي التي خرجت بها من منزلي، أو قال: من المدينة[٤].

وجاء في الاستيعاب: وذكر عبد الرزاق عن الثوري عن أبي حيان التيمي عن أبيه قال: رأيت علي بن أبي طالب على المنبر يقول: مَن يشترى منى سيفي هذا فلو

---

(١) رواه أبو نعيم: حلية الأولياء، ١/ ٨١.

(٢) أنساب الأشراف: البلاذري، ص ١٣١، ١٣٢.

(٣) الخورنق: موضع بالكوفة. (معجم البلدان للحموي، ٢/ ٤٠١).

(٤) حلية الأولياء: ١/ ٨٢.

كان عندي ثمن إزار ما بعته؟ فقام إليه رجل فقال: نُسلفك ثمن إزار، قال عبد الرزاق: وكانت بيده الدنيا كلها إلا ما كان من الشام(١).

وروى وكيع عن علي بن صالح عن عطاء قال: رأيت على عليٍ قميص كرابيس غير غسيل.

وعن ابن أبي الهذيل قال: رأيت على علي بن أبي طالب ﷺ قميصاً رازياً إذا أرخى كمه بلغ أطراف أصابعه، وإذا أطلقه صار إلى الرسغ(٢).

وروى ابن سعد بسنده عن عطاء أبي محمد قال: رأيت علياً خرج من الباب الصغير، فصلَّى ركعتين حين ارتفعت الشمس، وعليه قميص كرابيس كسكري فوق الكعبين وكمَّاه إلى الأصابع. وأصل الأصابع غير مغسول(٣).

وأورد الذهبي في تاريخه: قال أبو حيان التيمي: حدثني مجمع، أن علياً كان يكنس بيت المال ثم يصلِّي فيه رجاء أن يشهد له أنه لم يحبس فيه المال عن المسلمين. وقال أبو عمرو بن العلاء، عن أبيه قال: خطب علي فقال: أيها الناس، والله الذي لا إله إلا هو، ما رزأت من مالكم قليلاً ولا كثيراً، إلا هذه القارورة، وأخرج قارورة فيها طيب، ثم قال: أهداها إلي دهقان. وقال ابن لهيعة: ثنا عبد الله بن هبيرة، عن عبد الله بن زرير الغافقي قال: دخلت على علي يوم الأضحى فقرَّب إلينا خزيرة، فقلت: لو قربت إلينا من هذا الإوز، فإن الله قد أكثر الخير، قال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا يحل للخليفة من مال الله إلا قصعتان، قصعة يأكلها هو وأهله، وقصعة يضعها بين يدي الناس(٤).

---

(١) الاستيعاب: ١١١٤/٣، وروى ابن أبي شيبة الرواية في مصنفه خالية من تعليق عبد الرزاق. مصنف ابن أبي شيبة، كتاب الزهد، باب كلام علي بن أبي طالب، ح(٣٤٥١٠).

(٢) الاستيعاب: ابن عبد البر، ١١١٤/٣، ١١١٥. والكرابيس: كلمة فارسية وتعني الثوب المصنوع من القطن. (انظر: لسان العرب ١٩٥/٦). والرسغ: مفصل ما بين الكفِّ والساعد، (انظر: النهاية لابن الأثير، ٢٢٧/٢).

(٣) الطبقات الكبرى: ٣٠/٣.

(٤) تاريخ الإسلام: الذهبي، ٦٤٣/٣، ٦٤٤.

وروى ابن الأثير عن محمد بن كعب القرظي قال: سمعت علي بن أبي طالب يقول: لقد رأيتني وإني لأربط الحجر على بطني من الجوع وإن صدقتي لتبلغ اليوم أربعة آلاف دينار[١].

وروى أبو نعيم في الحلية: أن علي بن أبي طالب قال: الدنيا جيفة فمن أرادها فليصبر على مخالطة الكلاب[٢].

فهذه النصوص تشهد كلها بزهد علي بن أبي طالب ﷺ وعدم حرصه على متاع الدنيا وزخارفها، وخلو قلبه من شهواتها وأمانيها، وهذه أيضا إحدى الأمور التي جعلته في مصافِّ العشرة المبشرين بالجنة، فمن البدهي أن المولى جل وعلا لن يبشِّر بالجنة بوحي إلى نبيه أحداً ملأت الدنيا قلبه وعقله، وشغلته العاجلة عن الآخرة، والفانية عن الباقية.

علي ﷺ تواضع في عظمة:

وكما عُرف علي ﷺ بزهده في الدنيا وعدم حرصه على متاعها، عُرف كذلك بتواضعه الجم للكبير والصغير.

قال أبو القاسم البغوي: حدثني جدي ثنا علي بن هاشم عن صالح بيَّاع الأكسية عن جدته قالت: رأيت علياً اشترى تمراً بدرهم، فحمله في ملحفته، فقال رجل: يا أمير المؤمنين ألا نحمله عنك؟ فقال: أبو العيال أحق بحمله[٣].

وعن أبي هاشم عن زاذان قال: كان علي يمشي في الأسواق وحده وهو خليفة يرشد الضال ويعين الضعيف، ويمر بالبيَّاع والبقال فيفتح عليه القرآن ويقرأ ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ﴾[٤]، ثم

---

(١) أُسد الغابة: ٤/ ٢٣.

(٢) حلية الأولياء:٨/٢٣٨. – أُسد الغابة: ٤/ ٢٣.

(٣) تاريخ دمشق:٤٢/ ٤٨٩.

(٤) سورة القصص الآية«٨٣».

يقول: نزلت هذه الآية في أهل العدل والتواضع من الولاة وأهل القدرة من سائر الناس[١].

وعن عبادة بن زياد، عن صالح بن أبي الأسود، عمن حدَّثه أنه رأى علياً قد ركب حماراً ودلَّى رجليه إلى موضع واحدٍ ثم قال: أنا الذي أهنت الدنيا ..[٢].

وقال هشام بن حسان: بينا نحن عند الحسن البصري إذ أقبل رجل من الأزارقة[٣] فقال: يا أبا سعيد ما تقول في علي بن أبي طالب؟ قال: فاحمرت وجنتا الحسن وقال: رحم الله علياً، إن علياً كان سهماً لله صائباً في أعدائه، وكان في محلة العلم أشرفها وأقربها إلى رسول الله ﷺ، وكان رهباني هذه الأمة، لم يكن لمال الله بالسروقة، ولا في أمر الله بالنومة، أعطى القرآن عزائمه وعمله وعلمه، فكان منه في رياض مونقة، وأعلام بينة، ذاك علي بن أبي طالب يا لكع[٤].

لقد ضرب علي رضي الله عنه بتواضعه هذا مثلاً للقادة والحكَّام وأصحاب الصدارة من الناس، وبالفعل من تواضع لله رفعه، وعلي تواضع حق التواضع فكانت النتيجة أن رفع الله مكانته وبشَّره بالجنة فرضي الله عنه.

علي رضي الله عنه فقيه من الرعيل الأول:

إن علي بن أبي طالب رضي الله عنه يعد حقاً من أفقه علماء الصحابة، فقد امتاز رضي الله عنه بعلمه الوافر وفقهه الواسع وعقله النابغ، وكيف لا يكون كذلك وقد تربَّى في بيت النبي ﷺ ولازم النبي ملازمة أهلته لأن يتعلم منه ص أحكام الدين ومسائل الحلال والحرام. وبجانب ملازمته للنبي ﷺ إلا أنه كان يتمتع بقلب واع وعقل مستنير وفهم واسع.

---

(١) تاريخ دمشق: ٤٨٩/٤٢.

(٢) تاريخ دمشق: ٤٨٩/٤٢- تاريخ الإسلام للذهبي: ٦٤٥/٣.

(٣) الأزارقة: فرقة من فرق الخوارج.

(٤) البداية والنهاية: ٨/ ٦.

وكما يقول عن نفسه فيما رواه ابن سعد: والله ما نزلت آية إلا وقد علمت فيما نزلت، وأين نزلت، وعلى من نزلت إن ربي وهب لي قلباً عقولاً، ولساناً طلقاً[١].

وفي رواية البلاذري: إن ربي وهب لي قلباً عقولاً ولساناً سئولاً[٢].

وكان رغم علمه الواسع لا يستحي أن يقول في أمر لا يعلمه لا أعلم.

روى الذهبي عن عطاء بن السائب، عن أبي البختري، عن علي قال: وأبردها على الكبد إذا سئلت عما لا أعلم أن أقول: الله أعلم[٣].

وكان يحثُّ أصحابه على أن يطلبوا العلم ولا يستحيوا منه. روى ابن أبي شيبة بسنده عن عمرو بن قيس عن أبي إسحاق قال: قال علي: الكلمات لو رحلتم المطي فيهن لأنضيتموهن قبل أن تدركوا مثلهن، لا يرج عبد إلا ربه، ولا يخف إلا ذنبه، ولا يستحيي من لا يعلم أن يتعلم، ولا يستحيي عالم إذا سئل عما لا يعلم أن يقول: الله أعلم، واعلموا أن منزلة الصبر من الإيمان كمنزلة الرأس من الجسد، فإذا ذهب الرأس ذهب الجسد، وإذا ذهب الصبر ذهب الإيمان[٤].

حتى هو يوم أن استحي من النبي ﷺ أن يسأله عن حكم المذاء لموقع ابنة النبي ﷺ منه لم يسكت، بل طلب من غيره أن يسأل الرسول ﷺ.

روى البخاري بسنده عن محمد بن الحنفية عن علي قال: كنت رجلاً مذَّاءً فأمرت المقداد أن يسأل النبي ﷺ، فسأله، فقال:«فيه الوضوء»[٥].

وفي صحيح مسلم أن السبب الذي جعل علياً يستحي من سؤال النبي هو مكانة بنت النبي ﷺ منه.

---

(١) الطبقات الكبرى: ٢/ ٣٣٨.

(٢) أنساب الأشراف: ٩٩.

(٣) تاريخ الإسلام: الذهبي، ٣/ ٦٤٥.

(٤) مصنف ابن أبي شيبة: ١٠١/٧، ح (٣٤٥٠٤).

(٥) رواه البخاري: كتاب العلم، باب من استحيا فأمر غيره بالسؤال، ح (١٣٢).

روى مسلم في صحيحه بسنده عن ابن الحنفية عن علي قال: كنت رجلاً مذَّاءً وكنت أستحيي أن أسأل النبي ﷺ لمكان ابنته، فأمرت المقداد بن الأسود، فسأله، فقال: يغسل ذكره ويتوضأ[1].

ومسألة علم علي رضي الله عنه وفقهه أمر أقرَّ به الصحابة وأمهات المؤمنين رضي الله عنهم أجمعين، فهاهي السيدة الطاهرة عائشة رضي الله عنها تقول فيما يرويه أحمد في مسنده بسنده عن المقدام بن شريح عن أبيه قال: سألت عائشة رضي الله عنها فقلت: أخبريني برجلٍ من أصحاب النبي ﷺ أسأله عن المسح على الخفين، فقالت: ائت علياً رضي الله عنه فسله، فإنه كان يلزم النبي ﷺ، قال: فأتيت علياً رضي الله عنه فسألته، فقال: أمرنا رسول الله ﷺ بالمسح على خفافنا إذا سافرنا[2].

وقالت عنه السيدة عائشة أيضاً: أما إنه أعلم الناس بالسنة[3].

وهاهو عبد الله بن عباس يقول: إذا أتانا الثبت عن علي لم نعدل به[4].

وروى ابن عبد البر أن معاوية رضي الله عنه كان يكتب فيما ينزل به ليسأل له علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن ذلك، فلما بلغه قتله، قال: ذهب الفقه والعلم بموت ابن أبي طالب، فقال له أخوه عتبة: لا يسمع هذا منك أهل الشام، فقال له: دعني عنك[5].

وليس هذا فحسب بل إن علياً نفسه كان يطلب من أصحابه أن يسألوه وأن يتعلموا منه، ليس غروراً وتعالياً، ولكن حرصاً منه أن يصل إليهم ما تلقَّاه وتعلَّمه من النبي ﷺ.

---

(١) رواه مسلم: كتاب الحيض، باب المذي، ح(١٧).

(٢) رواه أحمد في مسنده: ١١٧/١ - مسند علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ح(٩٤٩) وقال شعيب الأرنؤوط: صحيح لغيره.

(٣) تاريخ دمشق: ٤٠٨/٤٢.

(٤) تهذيب الكمال: المزي، ٤٨٦/٢٠.

(٥) الاستيعاب: ابن عبد البر، ١١٠٨/٣. - بحار الأنوار للمجلسي: ١٧٢/٣٣، رقم ٤٥١.

روى ابن سعد بسنده عن أبي الطفيل قال: قال علي: سلوني عن كتاب الله، فإنه ليس من آية إلا وقد عرفت بليلٍ نزلت أم بنهار في سهلٍ أم في جبلٍ[1].

وفي وصية علي ﷺ للكميل بن زياد النخعي قال كميل: أخذ بيدي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بالكوفة، فخرجنا حتى انتهينا إلى الجبان[2] فلما أصحر تنفس صعداء، ثم قال لي يا كميل بن زياد: إن هذه القلوب أوعية وخيرها أوعاها للعلم، احفظ عني ما أقول لك: الناس ثلاثة عالم رباني، ومتعلم على سبيل نجاة، وهمج رعاع أتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجؤوا إلى ركن وثيق، يا كميل بن زياد، العلم خير من المال العلم يحرسك وأنت تحرس المال، المال ينقصه النفقة والعلم يزكو على الإنفاق، يا كميل بن زياد، محبة العالم دين يدان تكسبه الطاعة في حياته وجميل الأحدوثة بعد وفاته، ومنفعة المال تزول بزواله، العلم حاكم والمال محكوم عليه، يا كميل، مات خُزَّان المال وهم أحياء، والعلماء باقون ما بقي الدهر أعيانهم مفقودة وأمثالهم في القلوب موجودة[3].

نماذج صور علمه وفقهه ﷺ:

روى البيهقي: أن عثمان بن عفان ﷺ أتى بامرأة قد ولدت في ستة أشهر فأمر بها أن ترجم، فقال علي بن أبي طالب ﷺ: ليس ذلك عليها، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾[4] وقال: ﴿وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيْنِ﴾[5] وقال:

---

(١) الطبقات الكبرى: ٢/ ٣٣٨.

(٢) الجبان: كالجبانة وهي المقبرة.

(٣) تاريخ دمشق: ٥٠/٢٥١، ٢٥٢.

(٤) سورة الأحقاف الآية «١٥».

(٥) سورة لقمان الآية «١٤».

﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ﴾[١]: فالرضاعة أربعة وعشرون شهراً والحمل ستة أشهر، فأمر بها عثمان أن ترد، فوجدت قد رجمت والله أعلم[٢].

وفي سنن سعيد بن منصور عن يحيى بن أبي كثير قال: قضى علي ﷺ في امرأة عذراء تزوَّجها شيخ كبير فحملت، فزعم الشيخ أنه لم يجامعها، وسُئلت هل افتضك؟ قالت: لا، فأمر النساء أن ينظرن إليها، فزعمن أنها عذراء، فقال: إن للمرأة سمين سم الحيض وسم البول، فلعل الرجل كان ينزل في قُبلها في سم المحيض، فحملت، فسأل الرجل فقال: كنت أنزل الماء في قُبلها فقيل للشيخ: إنها لم تزِل وأن الحمل لك، ولك ولده[٣].

وفي مسند أحمد عن حنش عن علي ﷺ قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن فانتهينا إلى قومٍ قد بنوا زبية للأسد[٤]، فبينا هم كذلك يتدافعون إذ سقط رجل، فتعلق بآخر، ثم تعلَّق رجل بآخر حتى صاروا فيها أربعة، فجرحهم الأسد فانتدب له رجل بحربة فقتله، وماتوا من جراحتهم كلهم، فقاموا أولياء الأول إلى أولياء الآخر، فأخرجوا السلاح ليقتتلوا، فأتاهم علي ﷺ على تفيئة ذلك، فقال: تريدون أن تقاتلوا ورسول الله ﷺحي، إني أقضي بينكم قضاء إن رضيتم فهو القضاء وإلا حجز بعضكم عن بعض حتى تأتوا النبي ﷺ فيكون هو الذي يقضي بينكم، فمن عدا بعد ذلك فلا حق له، اجمعوا من قبائل الذين حضروا البئر ربع الدية وثلث الدية ونصف الدية والدية كاملة، فللأول الربع؛

---

(١) سورة البقرة الآية «٢٢٣».

(٢) سنن البيهقي الكبرى: كتاب العدد، باب ما جاء في أقلّ الحمل، ح(١٥٣٢٨).

(٣) سنن سعيد بن منصور: باب المرأة يشهد عليها بالزنا ثم توجد بكراً، ح(٢١٢٥) وانظر: الإرشاد للمفيد: ٢١١/١ - وسائل الشيعة للحر العاملي، ٣٧٩/٢١، رقم ٢٧٣٥١.

(٤) الزبية في الأصل الرابية، وهي المكان المرتفع، وهي من الأضداد، فيراد بها المكان المرتفع، ويراد بها الحفرة التي يستتر بها الصائد، (وزبية الأسد) الحفرة التي تُحفر للأسد ولا تحفر إلا في مكان عال من الأرض؛ لئلا يبلغها السيل. (انظر: لسان العرب ٣٥٣/١٤).

لأنه هلك من فوقه، وللثاني ثلث الدية، وللثالث نصف الدية، فأبوا ان يرضوا، فأتوا النبي ﷺ وهو عند مقام إبراهيم، فقصُّوا عليه القصة، فقال: أنا أقضي بينكم واحتبى[1]، فقال رجل من القوم: إن علياً قضى فينا، فقصُّوا عليه القصة، فأجازه رسول الله ﷺ[2].

كانت هذه نماذج وشواهد على فقه علي بن أبي طالب ﷺ وعلمه، هذا العلم الذي جعل من كبار الصحابة لا ينفردون بحكم إلا بعد أن يسألوا علياً ﷺ، بل وجعلوه قاضياً من قِبَلهم.

وكيف لا يرضونه قاضياً لهم والنبي ﷺ قد رضيه لذلك، بل ودعا له وبشَّره بتثبيت القلب وهداية اللسان.

روى أحمد بسنده عن أبي البختري عن علي ﷺ قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن وأنا حديث السن، قال: قلت: تبعثني إلى قومٍ يكون بينهم أحداث ولا علم لي بالقضاء، قال: إن الله سيهدي لسانك ويثبِّت قلبك، قال: فما شككت في قضاء بين اثنين بعد[3].

---

(١) احتبى: جمع بين ظهره وساقيه بعمامة ونحوها. (تاج العروس: ٣٠٣/١٩).

(٢) مسند أحمد: ٧٧/١، مسند علي بن أبي طالب، ح(٥٧٣). والبيهقي في الكبرى: باب ما ورد في البئر جبار والمعدن جبار، والهيثمي في مجمع الزوائد: وعلق عليه قائلاً: رواه أحمد وفيه حنش، وثَّقه أبو داود وفيه ضعف، وبقية رجاله رجال الصحيح. (مجمع الزوائد :٣١٣/٦، ح(١٠٧٢٤). وذكره ابن كثير في البداية والنهاية: ١٢٤/٥.

(٣) رواه أحمد في مسنده: ٨٣/١، مسند علي بن أبي طالب، ح(٦٣٦). تعليق شعيب الأرنؤوط: صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين. والنسائي في الكبرى: باب قول النبي ﷺ لعلي: إن الله سيهدي قلبك ويثبِّت لسانك، ح(٨٤١٧).

وزاد أحمد في رواية أخرى: أن النبي ﷺ وضع يده على صدري، وقال: اللهم ثبِّت لسانه واهد قلبه، يا علي، إذا جلس إليك الخصمان فلا تقض بينهما حتى تسمع من الآخر كما سمعت من الأول، فإنك إذا فعلت ذلك تبيَّن لك القضاء، قال: فما اختلف عليَّ قضاء بعد، أو ما أشكل عليَّ قضاء بعد(١).

علي ﷺ ومهارة القيادة في وقت الأزمات:

تولَّى علي ﷺ الخلافة في فترة من أحلك فترات التاريخ الإسلامي، وبعد نكبة عظيمة تركت أثراً بالغاً في جسد دولة الإسلام لا تزال تعاني بعض آثاره إلى اليوم، حيث تولاَّها إثر مقتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان ﷺ، وكان ذلك في ذي الحجة سنة خمس وثلاثين، وقد وليها خمس سنين، وقيل: إلا شهراً، وبويع له على الخلافة في مسجد رسول الله ﷺ(٢).

وفي خلافة علي بن أبي طالب ﷺ حدثت أمور جسيمة كادت أن تعصف بالأمة.

ففي خلافته كانت معركة الجمل التي أشعل أوارها ونارها السبئيون، ثم كانت معركة صِفِّين بين جيش علي ﷺ وجيش معاوية ﷺ، وفيها كانت حادثة رفع المصاحف على أسنَّة الرماح، ثم كان التحكيم، وخروج الخوارج وقتالهم عند النهروان بعد أن ردَّ منهم عبد الله بن عباس ﷺ خلقاً كثيراً.

---

(١) مسند أحمد: ١١١/١ مسند علي بن أبي طالب، ح(٨٨٢) تعليق شعيب الأرنؤوط: حسن لغيره- وأورده النسائي في الكبرى: ١١٧/٥، ح(٨٤٢٠).

(٢) سبل الهدى والرشاد: ١١/ ٢٨٩.

وفاة علي بن أبي طالب ﷺ:

كانت نهاية خلافة وحياة علي بن أبي طالب ﷺ باستشهاده على يد الخارجي عبد الرحمن بن ملجم المرادي ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة، وكانت وفاة علي ﷺ ليلة الأحد لإحدى عشرة بقيت من شهر رمضان من سنة أربعين للهجرة.

روى محمد بن سعد بسنده قصة مقتل علي بن أبي طالب وفيه: انتدب ثلاثة نفر من الخوارج عبد الرحمن بن ملجم المرادي ... والبرك بن عبد الله التميمي، وعمر بن بكير التميمي، فاجتمعوا بمكة وتعاهدوا وتعاقدوا ليقتلن هؤلاء الثلاثة علي بن أبي طالب ومعاوية وعمرو بن العاص، ويريحوا العباد منهم، فقال ابن ملجم: أنا لكم بعلي، وقال البرك: أنا لكم بمعاوية، وقال عمرو بن بكير: أنا أكفيكم عمرو بن العاص، فتعاهدوا على ذلك، وتعاقدوا عليه، وتواثقوا أن لا ينكص منهم رجل عن صاحبه الذي سمى له ويتوجَّه له حتى يقتله أو يموت دونه، فاتَّعدوا بينهم ليلة سبع عشرة من رمضان، ثم توجَّه كل رجلٍ منهم إلى المِصر الذي فيه صاحبه، فقدم عبد الرحمن بن ملجم الكوفة فلقى أصحابه من الخوارج فكاتمهم ما يريد، وكان يزورهم ويزورونه، فزار يوماً نفراً من بني تيم الرباب، فرأى امرأة منهم يقال لها: قطام بنت سخبة بن عدي بن عامر بن عوف بن ثعلبة بن سعد بن ذهل بن تيم الرباب، وكان علي ﷺ قتل أباها وأخاها بالنهروان، فأعجبته فخطبها، فقالت: لا أتزوَّجك حتى تسنى لي. فقال: ألا تسأليني شيئاً إلا أعطيتك، فقالت: ثلاثة آلاف وقتل علي بن أبي طالب، فقال: والله ما جاء بي إلى هذا المِصرِ إلا قتل علي وقد أعطيتك ما سألت، ولقى ابن ملجم شبيب بن بجرة الأشجعي، فأعلمه ما يريد ودعاه إلى أن يكون معه، فأجابه إلى ذلك، وظل ابن ملجم تلك الليلة التي عزم فيها أن يقتل علياً في صبيحتها يناجي الأشعث بن قيس الكندي في مسجده حتى يطلع الفجر، فقال له الأشعث: فضحك الصبح، فقام ابن ملجم وشبيب بن بجرة فأخذا أسيافهما،

ثم جاءا حتى جلسا مقابل السدة[1] التي يخرج منها علي، قال الحسن بن علي: فأتيته سحيراً، فجلست إليه، فقال: إني بتُّ الليلة أوقظ أهلي فملكتني عيناي وأنا جالس، فسنح لي رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله، ما لقيت من أمتك من الأود واللدد[2]. فقال لي: ادع الله عليهم، فقلت: اللهم أبدلني بهم خيراً منهم وأبدلهم بي شراً لهم مني، ودخل ابن التياح المؤذن على ذلك، فقال: الصلاة، فقام يمشي ابن التياح بين يديه وأنا خلفه، فلما خرج من الباب نادى أيها الناس، الصلاة الصلاة، كذلك كان يصنع كل يوم يخرج ومعه درَّته يوقظ الناس، فاعترضه الرجلان، فقال بعض من حضر: ذلك بريق السيف، وسمعت قائلا يقول: لله الحكم يا علي لا لك، ثم رأيت سيفاً ثانياً، فضربا جميعاً، فأما سيف ابن ملجم فأصاب جبهته إلى قرنه ووصل إلى دماغه، وأما سيف شبيب فوقع في الطاق، فسمع علي يقول: لا يفوتنكم الرجل، وشدَّ الناس عليهما من كل جانب، فأما شبيب فأفلت، وأُخذ ابن ملجم، فأُدخل على علي ؓ، فقال: أطيبوا طعامه وألينوا فراشه، فإن أعش فأنا ولي دمي عفو أو قصاص، وإن أمت فألحقوه بي أخاصمه عند رب العالمين، فقالت أم كلثوم بنت علي: يا عدو الله، قتلت أمير المؤمنين، قال: ما قتلت إلا أباك، قالت: والله إني لأرجو أن لا يكون على أمير المؤمنين بأس، قال: فلم تبكين إذاً، ثم قال: والله لقد سممته شهراً، يعني سيفه، فإن أخلفني أبعده الله وأسحقه، وبعث الأشعث بن قيس ابنه قيس بن الأشعث صبيحة ضرب علي فقال: أي بني، انظر كيف أصبح أمير المؤمنين، فذهب فنظر إليه ثم رجع، فقال: رأيت عينيه داخلتين في رأسه، فقال الأشعث: عيني دميغ[3] ورب الكعبة، قال: ومكث علي ؓ يوم الجمعة ويوم

---

(١) السدَّة: هي في الأصل الظلة التي تكون بباب الدار، أو الشيء الذي يخرجه الرجل من حائطة كالجناح، وبعضهم يجعل السدة الباب نفسه. (انظر: غريب الحديث لابن سلام، ١/٥١).

(٢) الأود: العِوَج، واللدد: الخصومة.

(٣) الرجل الدميغ: الذي خرج دماغه. (النهاية: ٨/٤٢٤).

السبت وبقي ليلة الأحد لإحدى عشرة بقيت من شهر رمضان من سنة أربعين، وتوفي رضوان الله عليه، وغسَّله الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر، وكُفن في ثلاثة أثواب ليس فيها قميص ..[1].

وكانت هذه خاتمة حياة علي بن أبي طالب ﷺ بعد أن عاشها لدينه، فما أجلّها من حياةٍ، وما أعظمها من تضحيات قدمها علي بن أبي طالب ﷺ بنفسٍ راضيةٍ توَّاقة إلى رضوان الله تعالى، متطلعةٍ إلى ثوابه وجنته، حتى تحقق له ما يرجوه ببشارة النبي ﷺ له بأنه من أهل الجنة.

كانت هذه إطلالة سريعة على سيرة الصحابي الجليل والخليفة الرابع علي ابن أبي طالب ﷺ، وقد ألقينا فيها الضوء على أبرز نقاط شخصيته، وبخاصة تلك الصفات التي جعلته في مصاف العشرة المبشرين بالجنة ﷺ.

علاقة علي ﷺ بالخلفاء الثلاثة قبله:

إن علاقة علي بن أبي طالب ﷺ بالخلفاء الثلاثة قبله كانت علاقة تسودها المحبة والمودة، ويكفي أن علي بن أبي طالب أسمى أبناءه باسم أبي بكر وعمر وعثمان، وفيه خير دلالة على المحبة التي كانت بينه وبينهم، ثم تزويجه ابنته أم كلثوم لعمر بن الخطاب وفيها ما فيها من إشارات القربى، حيث إن المصاهرة لحمة كلحمة النسب، ومن أراد أن يعرف المزيد فعليه بالرجوع إلى الجزء الخاص بعلاقة الصديق بآل البيت من هذا البحث، وكذا علاقة الفاروق وعثمان.

ثم من أراد التفصيل أكثر وأكثر فعليه الرجوع إلى اصدارات مبرة الآل والأصحاب ففيها غنى وكفاية[2].

---

(١) راجع: الطبقات الكبرى:٣٦/٣ – أسد الغابة: ابن الأثير، ٤/ ٣٦ – ٣٨.

(٢) راجع من إصدارات مبرة الآل والأصحاب:

- الأسماء والمصاهرات بين آل البيت والصحابة.
- الثناء المتبادل بين آل البيت والصحابة.
- كتاب الآل والصحابة محبة وقرابة للشيخ علي التميمي.

خامس العشرة

أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه

أمين الأمة .. ومن أهل القمة

آن لنا أن نتعرف الآن على خامس العشرة المبشرين بالجنة، أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه، آن لنا أن نتعرف على مفتاح شخصيته ومناقبه وفضائله، ولنا أن نتساءل:

لماذا كان أبو عبيدة رضي الله عنه من جملة العشرة المبشرين بالجنة؟ أهو لمقدرة مالية أم لمكانة اجتماعية؟ أم أن الأمر غير ذلك ... سنحاول تلمُّس الإجابة على هذه التساؤلات فيما نستقبل من صفحات.

أبو عبيدة رضي الله عنه: سيرة عطرة ومسيرة كريمة:

اسمه ونسبه رضي الله عنه:

هو عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة القرشي الفهري أبو عبيدة، يجتمع في النسب هو والنبي صلى الله عليه وسلم في فهر.

وأمه: أميمة بنت غنم بن جابر بن عبد العزى بن عامرة بن عميرة، وأمها دعد بنت هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث بن فهر[1].

كنيته رضي الله عنه:

يكنى عامر بن عبد الله بن الجراح بأبي عبيدة، وقد غلبت عليه كنيته هذه فأصبح معروفاً بها[2].

---

(١) الطبقات الكبرى: ٣ /٤٠٩.

(٢) انظر: الاستيعاب، ابن عبد البر، ٧٩٢/٢ – ٧٩٣.

صفته ﷺ:

روى ابن سعد في الطبقات بسنده عن مالك بن يخامر أنه وصف أبا عبيدة فقال: كان رجلاً نحيفاً، معروق الوجه[١]، خفيف اللحية، طوالاً، أحنى[٢]، أثرم[٣] الثنيتين[٤].

إطلالة على بيته (زوجاته وأولاده) ﷺ:

كان لأبي عبيدة من الولد: يزيد وعمير، وأمهما هند بنت جابر بن وهب بن ضباب بن حجير بن عبد بن معيص بن عامر بن لؤي، فدرج - مات صغيراً- ولد أبي عبيدة بن الجراح فليس له عقب[٥].

قال الزبير بن بكار: قد انقرض نسل أبي عبيدة، وولد إخوته جميعاً[٦].

أبو عبيدة: قبسات من سيرته .. وملامح من عظمته:

إنه أبو عبيدة الأمين الرشيد، والعامل الزهيد، أمين الأمة .. كان للأجانب من المؤمنين وديداً، وعلى الأقارب من المشركين شديداً .. صبر على الاقتصار على القليل إلى أن حان منه النقلة والرحيل[٧].

أبو عبيدة ﷺ في أوائل القافلة:

تعرَّف قلب أبي عبيدة على نور الإسلام مبكراً، فأسلم قبل أن يدخل الرسول ﷺ دار الأرقم بن أبي الأرقم.

---

(١) معروق الوجه: قليل لحم الوجه. (العين ١/١٥٤).

(٢) الرجل الأحنى: فيه انعطاف الكاهل نحو الصدر مع انحناء من الكبر.

(٣) أثرم الثنيتين: مكسور مقدم الأسنان.

(٤) الطبقات الكبرى: ٣/٤١٤.

(٥) الطبقات الكبرى: ٣ /٤٠٩.

(٦) سير أعلام النبلاء، ١/٨.

(٧) حلية الأولياء: ١/١٠٠، ١٠١.

روى ابن سعد في الطبقات عن يزيد بن رومان قال: انطلق ابن مظعون، وعبيدة بن الحارث، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو سلمة بن عبد الأسد، وأبو عبيدة بن الجراح حتى أتوا رسول الله ﷺ، فعرض عليهم الإسلام، وأنبأهم بشرائعه، فأسلموا في ساعة واحدة، وذلك قبل دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم[١]، وكان ممن هاجر إلى أرض الحبشة. قاله ابن إسحاق: قلت «الذهبي»: إن كان هاجر إليها، فإنه لم يطل بها اللبث، وكان أبو عبيدة معدوداً فيمن جمع القرآن العظيم[٢].

قال ابن سعد: أسلم أبو عبيدة بن الجراح مع عثمان بن مظعون وعبد الرحمن ابن عوف وأصحابهم قبل دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم، قالوا: وهاجر أبو عبيدة إلى أرض الحبشة الثانية .. وعن عاصم بن عمر بن قتادة قال: لما هاجر أبو عبيدة بن الجراح من مكة إلى المدينة نزل على كلثوم بن الهدم[٣].

ولما هاجر أبو عبيدة آخى رسول الله ﷺ بينه وبين سالم مولى أبي حذيفة، وقيل: محمد بن مسلمة[٤].

وهكذا انطبع نور الإسلام في قلب أبي عبيدة رضي الله عنه وأشرقت به نفسه إشراقاً سار معه في كل خطوة خطاها، وكل سعي سعاه، وجنَّد أبو عبيدة رضي الله عنه حياته كلها في العمل على أن يظل هذا النور مشرقاً خفاقاً يجوب الأخضر واليابس والصحاري والقفار، وتعمّ بركته الدنيا وما عليها.

أبو عبيدة رضي الله عنه أمين الأمة:

ذكرنا فيما سبق أن لكل واحدٍ من العشرة المبشرين بالجنة مزية ميزته عن غيره، وأضحت عنواناً له يعرف بها وتعرف به، وتمثل مفتاح شخصيته، وليس أبو عبيدة عن هذا ببعيد.

---

(١) الطبقات الكبرى: ٣/٣٩٣، وانظر: سير أعلام النبلاء: ١/ ٧، ٨.

(٢) الطبقات الكبرى: ٣/٣٩٣، وانظر: سير أعلام النبلاء: ١/ ٨.

(٣) الطبقات الكبرى: ٣/ ٤٠٩.

(٤) الطبقات الكبرى: ٣/ ٤١٠.

إن مفتاح شخصية أبي عبيدة هو الأمانة، الأمانة بكل ما تحمله من معنى، الأمانة في كل موقف وقف فيه أو أوقف فيه. فأمانة أبي عبيدة على جميع مسؤولياته، لهي بحق أبرز خصاله وخصائصه ﷺ.

إن أبا عبيدة يحمل نفساً توَّاقة إلى الخير مطواعاً إليه، فلما علم بالإسلام ودعوته دخله مسرعاً، وبايع رسول الله ﷺ على أن ينفق حياته في سبيل الله، إنه لما فعل هذا كان مدركاً تمام الإدراك ما تعنيه هذه الكلمات، وكان على أتمِّ استعداد لأن يعطيها حقها ومستحقها، ويعطيها كل ما تتطلبه من بذل وتضحية .. ومنذ بسط يمينه مبايعاً رسول الله ﷺ وهو لا يرى في نفسه، ولا في حياته كلها سوى أمانة استودعها الله إياها لينفقها في سبيله وفي مرضاته، فلا يجري وراء حظٍّ من حظوظ نفسه.. ولا تصرفه عن سبيل الله رغبة ولا رهبة..

ولما وفَّى أبو عبيدة ﷺ بالعهد الذي وفَّى به بقية الأصحاب، رأى الرسول ﷺ في مسلك ضميره، ومسلك حياته ما جعله أهلاً لهذا اللقب الكريم الذي أفاءه عليه، وأهداه إليه، فقال عليه الصلاة والسلام: « أمين هذه الأمة، أبو عبيدة بن الجرّاح».

وكان أبو عبيدة ﷺ يُدعى في الصحابة القوي الأمين؛ لقول رسول الله ﷺ لأهل نجران: لأرسلن معكم القوي الأمين[1].

ولقوله ﷺ فيما رواه البخاري بسنده عن أنس: عن النبي ﷺ قال:«لكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح» [2].

وروى البخاري بسنده أيضاً عن حذيفة قال: جاء العاقب والسيد صاحبا نجران إلى رسول الله ﷺ يريدان أن يلاعناه، قال: فقال أحدهما لصاحبه: لا تفعل، فوالله لئن كان نبياً فلاعنَنَا لا نفلح نحن ولا عقبنا من بعدنا، قالا: إنا نعطيك ما سألتنا وابعث معنا رجلاً أميناً، ولا تبعث معنا إلا أميناً. فقال «لأبعثن

---

(١) تاريخ دمشق: ٤٦٤/٢٥. - الاستيعاب: ٧٩٣/٢.

(٢) رواه البخاري: كتاب المغازي، باب قصة أهل نجران، ح(٤١٢١).

معكم رجلاً أميناً حق أمين». فاستشرف له أصحاب رسول الله ﷺ فقال: «قم يا أبا عبيدة بن الجراح». فلما قام قال رسول الله ﷺ: «هذا أمين هذه الأمة»[1].

أبو عبيدة رضي الله عنه صنيعة إسلامية:

عجيب أمر الإسلام حين يخالط القلوب ويتمكن من شغافها ويصنع للرجال أقداراً وللحادثات أبطالاً.

إن العرب بصفة عامة معروفون بتمسكهم واعتزازهم بأنسابهم، فالرجل يعتزُّ بوالده ويفخر بنسبه وحسبه، إلا أنه لما جاء الإسلام جعل التمسك لا يكون إلا بالدين والاعتزاز لا يتعلق إلا به، لدرجة أنه يمكننا أن نلمح الرجل يقتل والده لتكون كلمة الله هي العليا، ويقتل أخاه، بل ويقتل ولده إذا لزم الأمر.

إن الإسلام غيَّر معيار التمايز والاعتزاز، وهذا أمر نشاهده جلياً دون لبس أو خفاء مع أبي عبيدة رضي الله عنه، ذلكم البطل العظيم والأمين الكريم الذي طغى حبه لدينه على كل شيء، وملك عليه زمام حياته كلها لدرجة أنه قتل والده المشرك في غزوة بدر؛ لأنه نابذ المسلمين العداء، وحاول أن يصد عن سبيل الله.

ففي غزوة بدر في هذه المعركة الفاصلة، سقطت روابط القرابة، فانهارت الأبو ة وزالت البنوة، وانطلق عبد الله بن الجراح والد أبي عبيدة يبحث بلهفة عن ولده الذي خالفه واتبع محمداً ليرديه صريعاً ويتخلص منه، وحاول أبو عبيدة الابتعاد عن أبيه مراراً فلم يفلح، فما كان منه إلا أن تصدَّى له وأرداه صريعاً، لا يبالى بأية آصرة من آواصر الدنيا، فالإسلام والشرك لا يلتقيان مهما كانت روابط القرابة بين أتباع كل منهما.

وقد شهد أبو عبيدة بدراً، فقتل يومئذ أباه[2].

---

(١) رواه البخاري: كتاب المغازي، باب قصة أهل نجران، ح(٤١١٩).

(٢) سير أعلام النبلاء: ٨/١.

روى الطبراني في الكبير والبيهقي والحاكم عن ابن شوذب قال: جعل أبو أبي عبيدة بن الجراح يتصدَّى لأبي عبيدة يوم بدر، فجعل أبو عبيدة يحيد عنه، فلما أكثر قصده أبو عبيدة فقتله، فأنزل الله ﷻ فيه هذه الآية حين قتل أباه: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ ﴾إلى آخرها[1][2].

وامتداداً لهذه الروح التي سرت بين جوانح أبي عبيدة ﷺ، تلك الروح التي تمثلت في حب الدين وحب رسول الله ﷺ؛ نجد أبا عبيدة حريصاً كل الحرص على أن يبذل روحه بنفس راضية مطمئنة فداء للدين وللرسول ﷺ.

ونجده في غزوة أحد حين تلاحمت الخطوب وازدادت المحن والكروب وذاع خبر كاذب عن مقتل النبي ﷺ، وفرَّ من المسلمين خلق كثير، وتاه في غياهب المعركة وبين ذرات ترابها التي علت سماءها خلق أكثر وأكثر، يومها نرى أبا عبيدة ﷺ وقد ثبت كالطود الأشم ما هان ولا لان، بل وقف يحارب ويجاهد ويكافح وينافح ويصول ويجول وعيناه ترقب النبي ﷺ كيلا يخلص إليه شر، وما إن وجد النبي وقد رمي ودخلت حلقتان من مغفره في وجنتيه إلا وانطلق كالسهم الخاطف يشق ذرات الهواء كما يشق صفوف الأعداء غير مبال بما أمامه ولا خلفه حتى انتهى إلى رسول الله ﷺ.

وهنا نتوقف عن الحديث وندع أبا بكر الصِّدِّيق ﷺ يكمله حيث يقول فيما رواه البزار في مسنده:

---

(١) سورة المجادلة الآية«٢٢».

(٢) رواه الطبراني في الكبير: ح(٣٦٠) والبيهقي في الكبرى: باب المسلم يتوقى في الحرب قتل أبيه ح(١٧٦١٣) وقال عنه: منقطع، والحاكم المستدرك: كتاب معرفة الصحابة، باب ذكر مناقب أبي عبيدة، ح(٥١٥٢)، وذكره ابن كثير في تفسيره، ١٢٤/٤. والشوكاني في فتح القدير:٢٣٥/٣. والسيوطي في الدر المنثور، ٤٤٣/٩.

لمَّا انصرف الناس عن النبي ﷺ يوم أُحدٍ كنت أوَّل مَن فاء إلى رسول الله ﷺ، فجعلت أنظر إلى رجلٍ يقاتل بين يديه، فقلت: كُن طلحة، قال: ثم نظرت فإذا إنسان خلفي كأنه طائر، فلم أشعر أن أدركني، فإذا هو أبو عبيدة بن الجراح، وإذا طلحة بين يديه صريعاً، فقال: دُونكم أخوكم فقد أوجب، فتركناه وأقبلنا على رسول الله ﷺ، وإذا قد أصاب رسول الله ﷺ في وجهه سهمان، فأردت أن أنزعهما، فما زال أبو عبيدة يسألني ويطلب إليَّ حتى تركته، فنزع أحد السهمين وأزمَّ عليه بأسنانه فقلعه، وابتدرت إحدى ثنيَّتيه، ثم لم يزل يسألني ويطلب إلي أن أدعه ينزع الآخر، فوضع ثنيَّته على السهم وأزمَّ عليه كراهة أن يؤذي رسول الله ﷺ أن تحوَّل فنزعه، وانتدرت ثنيَّته، أو إحدى ثنيَّتيه، قال: وكان أبو عبيدة أهتم الثَّنايا[1].

وفي رواية ابن سعد وابن عساكر: عن عائشة قالت: سمعت أبا بكر يقول: لما كان يوم أحد ورمي رسول الله ﷺ في وجهه حتى دخلت في وجنتيه حلقتان من المغفر، فأقبلت أسعى إلى رسول الله ﷺ وإنسان قد أقبل من قِبل المشرق يطير طيراناً، فقلت: اللهم اجعله طاعة، حتى توافينا إلى رسول الله ﷺ، فإذا أبو عبيدة بن الجراح قد بدرني، فقال: أسألك بالله يا أبا بكر ألا تركتني فأنزعه من وجنة رسول الله ﷺ، قال أبو بكر: فتركته، فأخذ أبو عبيدة بثنيته إحدى حلقتي المغفر[2] فنزعها وسقط على ظهره وسقطت ثنية أبي عبيدة، ثم أخذ الحلقة الأخرى بثنية الأخرى فسقطت، فكان أبو عبيدة في الناس أثرم[3].

---

(١) مسند البزار: ٣٨/١، مسند أبي بكر، ح(٦٣).

(٢) المغفر: ما يلبسه الدارع على رأسه من الزرد. (النهاية: ٣٧٤/٣).

(٣) الطبقات: ٤١٠/٣ – تاريخ دمشق: ٤٤٨/٢٥.

ويروي ابن كثير أنه لما نزع الحلقتين«فانقلعت ثنيتاه، فحسن ثغره بذهابهما، حتى قيل: ما رؤي هتم قط أحسن من هتم أبي عبيدة»[١].

فانظر معي أخي القارئ إلى هذا الحب الشديد الذي ملأ قلب أبي عبيدة لرسول الله ﷺ حتى أنه لما وجده في ضائقة ما تمالك نفسه إلا وذهب إليه، وعلى حد تعبير الرواية الأولى **«كأنه طائر»**، وفي الرواية الثانية**«يطير طيراناً»** بل ويضحي بثنيتيه لينزع حلقتي المغفر من وجنتي الحبيب محمد ﷺ، ويختار أن يظل بقية حياته أثرماً أو أهتماً، وكيف لا يضحي بثنيتيه وهو كان مستعداً أن يقدِّم روحه فداء لرسول الله ﷺ.

النبي ﷺ يشهد بأنه يحب أبا عبيدة، ويبشره بالجنة:

لقد أعلنها النبي ﷺ صريحة واضحة للعيان، أعلن أنه يحب أبا عبيدة رضي الله عنه، وهذه بشارة عظيمة من نبي كريم، فمن الذي لا يتمنى أن يحبه رسول الله ﷺ ويثني عليه، إنه أمر يستحق أبو عبيدة رضي الله عنه أن يسرَّ به وأن يغبط عليه.

روى ابن حبان في صحيحه بسنده عن عمرو بن العاص قال: قيل: يا رسول الله، أي الناس أحب إليك؟ قال: عائشة، قيل: مِن الرجال؟ قال: أبو بكر، قيل: ثم مَن؟ قال: عمر، قيل: ثم مَن؟ قال: أبو عبيدة بن الجراح[٢].

وفي سنن الترمذي: عن عبد الله بن شقيق قال: قلت لعائشة: أي أصحاب رسول الله ﷺ كان أحب إلى رسول الله؟ قالت: أبو بكر، قلت: ثم مَن؟ قالت عمر، قلت: ثم مَن؟ قالت: ثم أبو عبيدة بن الجراح، قلت: ثم مَن؟ قال: فسكتت[٣].

---

(١) تفسير ابن كثير: ٤ / ٤٢١.

(٢) رواه ابن حبان في صحيحه: ذكر البيان بأن أبا عبيدة بن الجراح كان من أحب الرجال الى رسول الله ﷺ بعد أبي بكر وعمر، ح(٦٩٩٨). قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم. رواه أبو يعلى في المسند: ٢٧٢/١٣، ح (٧٣٤٥) قال حسين سليم أسد: إسناده صحيح.

(٣) رواه الترمذي في السنن: باب مناقب أبي بكر، ح(٣٦٥٧) وقال: هذا حديث حسن صحيح. وقال الشيخ الألباني: صحيح، ورواه أحمد في المسند: حديث السيدة عائشة، ح(٢٥٨٧١).

وأكد النبي ﷺ هذا الحب بأن بشَّره بالجنة بوحي من الله له، وفي هذه البشارة إقرار من النبي ﷺ بأن المولى راض عن أبي عبيده ورسوله كذلك راض عنه.

روى الترمذي في سننه بسنده عن عبد الرحمن بن عوف قال: قال رسول الله ﷺ: أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وسعد في الجنة، وسعيد في الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة[1].

لله درك يا أبا عبيدة يا أمين الأمة إنك بالفعل رجل من أهل الجنة يمشي على الأرض.

شجاعة فريدة في أوقات عصيبة:

شهد أبو عبيدة ﷺ المشاهد كلها، وأبلى فيها بلاءً حسناً وكانت له فيها صولات وجولات، ولم تقتصر مشاركاته على عهد النبي ﷺ فقط، بل إنه ﷺ شارك في كثيرٍ من الفتوحات، إما جندياً في الصفوف أو قائداً للجيوش، وكانت السمة الغالبة عليه آنئذ هي الشجاعة بكل ما تعنيه، الشجاعة في القتال، الشجاعة في اتخاذ القرار وإمضائه، الشجاعة حتى عند الموت.

يقول ابن سعد عن أبي عبيدة: ثم قدم فشهد بدراً وأحداً والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وبعثه رسول الله ﷺ في سرية في ثلاثمائة من المهاجرين والأنصار إلى حي من جهينة بساحل البحر وهي غزوة الخَبَط[2].

ومن غزواته: التي شهدها في حياة النبي ﷺ، بعث النبي ﷺ له في سرية إلى ذي القصة في ربيع الآخر من السنة السادسة من الهجرة.

---

(١) سنن الترمذي: كتاب المناقب باب مناقب عبد الرحمن بن عوف، ح(٣٧٤٧). وقال الألباني: صحيح. وروى ابن حبان نحواً منه بطريق آخر: صحيح ابن حبان: ذكر سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ح(٦٩٩٣) وقال شعيب الأرنؤوط: صحيح.

(٢) الطبقات الكبرى: ٣٨٤/٧. والخبط: ورق الشجر الذي يخبط لعلف الإبل. (عمدة القاري للعيني، ٢١، ١٠٨).

وعن هذه الغزوة يقول ابن سعد في الطبقات: سرية أبي عبيدة بن الجراح إلى ذي القصة في شهر ربيع الآخر سنة ست من مهاجر رسول الله ﷺ، قالوا: أجدبت بلاد بني ثعلبة وأنمار ووقعت سحابة بالمراض إلى تغلمين، والمراض على ستة وثلاثين ميلاً من المدينة، فسارت بنو محارب وثعلبة وأنمار إلى تلك السحابة، وأجمعوا أن يغيروا على سرح المدينة وهو يرعى بها في موضع على سبعة أميال من المدينة، فبعث رسول الله ﷺ أبا عبيدة بن الجراح في أربعين رجلاً من المسلمين حين صلُّوا المغرب، فمشوا إليهم حتى وافوا ذا القصة مع عماية الصبح، فأغاروا عليهم، فأعجزوهم هرباً في الجبال، وأصاب رجلاً واحداً فأسلم وتركه، فأخذ نعماً من نعمهم، فاستاقه ورثة من متاعهم وقدم بذلك المدينة، فخمسه رسول الله ﷺ، وقسَّم ما بقي عليهم[1].

ومن غزواته: غزوة ذات السلاسل: روى البيهقي في الدلائل بسنده عن محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحصين التميمي عن غزوة ذات السلاسل من أرض بلي وعذرة، قال: بعث رسول الله ﷺ عمرو بن العاص ليستنفر العرب إلى الإسلام، وذلك أن أم العاص بن وائل كانت امرأة من بلي، فبعثه رسول الله ﷺ إليهم يستألفهم بذلك، حتى إذا كان على ماء بأرض جذام يقال لها: السلاسل، وبذلك سميت تلك الغزاة ذات السلاسل، فلما كان عليه خاف فبعث إلى رسول الله ﷺ يستمده، وبعث إليه أبا عبيدة بن الجراح في المهاجرين الأولين فيهم أبو بكر وعمر، وقال لأبي عبيدة حين وجَّهه: «لا تختلفا»، فخرج أبو عبيدة حتى إذا قدم عليه قال له عمرو: إنما جئت مدداً إلي، فقال أبو عبيدة: لا، ولكني على ما أنا عليه، وأنت على ما أنت عليه، وكان أبو عبيدة رجلاً ليناً سهلاً هيناً عليه أمر الدنيا، فقال له عمرو: بل أنت مدد لي، فقال له أبو عبيدة: يا عمرو، إن رسول الله ﷺ قال: «لا تختلفا»، وإنك إن عصيتني

---

(١) الطبقات الكبرى: ٢/ ٨٦ – تاريخ دمشق: ٢٥/٤٣٨.

أطعتك فقال له عمرو: فإني أمير عليك، وإنما أنت مدد لي قال: فدونك. فصلى عمرو بالناس[١].

ومنها: بعث النبي ﷺ له على سرية إلى حي من جهينة وتسمى غزوة سيف البحر[٢].

أما عن جهاده في خلافة الصِّدِّيق والفاروق رضي الله عنهما: فقد شهد أبو عبيدة معركة اليرموك، وكان قائداً فيها، إلا أن القيادة العامة كانت لخالد بن الوليد[٣].

وفتح أبو عبيدة رضي الله عنه دمشق وفتح بيت المقدس، وتوالت مشاهده رضي الله عنه وكان فيها إما قائداً يقوم بدوره، وإما جندياً في صفوف المسلمين يقوم بدوره أتم قيام ويرجو لقاء ربه.

وهكذا فقد كانت حياة أبي عبيدة رضي الله عنه حياة جهاد وكفاح وطاعة وفداء، وقدم فيها أبو عبيدة نماذج مشرقة وصوراً مشرقة تعد بحق غرة في جبين الدهر ومثار فخر وإعزاز فرضي الله عنه وأرضاه.

أبو عبيدة رضي الله عنه: كرم وكرامة

إن للمولى جل وعلا سنن لا تتغير ولا تتبدل إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلاً، ومن سننه تعالى أن العبد إذا سار في معية خالقه ممتثلاً لأوامره مجتنباً نواهيه جنَّد الله له كل ذرات الكون، وصدق الله القائل: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴾[٤].

---

(١) دلائل النبوة للبيهقي: ٢٠/٥، ح (١٧٣٩). – تاريخ دمشق:٢٤/٢. – البداية والنهاية: ٣١٢/٤.

(٢) انظر: تاريخ الإسلام للذهبي، ٥١٧/٢.

(٣) تاريخ دمشق: ١٥٨/٢.

(٤) سورة غافر الآية «٥٢».

ولما كان أبو عبيدة ومن معه من المسلمين من جيل القدوة والتمكين سائرين على درب الخير والإيمان ليملأوا الدنا بالقرآن، ويفتحوا به أعيناً عُمياً وآذناً صُماً وقلوباً غلفاً، طوَّع الله لهم كل شيء.

وهذا أمر نلمحه جلياً في حادثة كان بطلها أبا عبيدة حينما بعثه رسول الله ﷺ قائداً على سرية من ثلاثمائة رجلٍ من المهاجرين والأنصار إلى حي من جهينة بساحل البحر، وهي غزوة الخَبَطَ[1]، ويقصُّ علينا جابر بن عبد الله ما حدث في هذه السرية قائلاً:

بعثنا رسول الله ﷺ مع أبي عبيدة بن الجراح ونحن ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً وزودنا جراباً من تمرٍ فأعطانا منه قبضة قبضة، فلما أنجزناه أعطانا تمرة تمرة، فلما فقدناها وجدنا فقدها، ثم كنا نخبط الخبط بقسينا ونسفه ونشرب عليه من الماء حتى سمينا جيش الخبط، ثم أخذنا على الساحل فإذا دابة ميتة مثل الكثيب يقال لها: العنبر، فقال أبو عبيدة: ميتة! لا تأكلوا، ثم قال: جيش رسول الله ﷺ وفي سبيل الله ونحن مضطرون، فأكلنا منه عشرين ليلة، أو خمس عشرة ليلة، واصطنعنا منه وشيقة[2]. قال: ولقد جلس ثلاثة عشر رجلاً منا في موضع عينه، وأقام أبو عبيدة ضلعاً من أضلاعه فرحَّل أجسم بعير من أباعر القوم فأجازه تحته، فلما قدمنا على رسول الله قال: ما حسبكم؟ قال: كنا نبتغي عيرات قريش، فذكرنا له شأن الدابة، فقال: إنما هو رزق رزقكموه الله أمعكم منه شئ؟ قلنا: نعم[3].

---

(١) سميت غزوة الخَبَط لأن الصحابة بعد أن فرغ طامهم كانوا يتصيدون ورق الشجر فيسحقونه ويسفونه ويشربون عليه الماء من شدة الجوع.

(٢) الوشيقة هي: أن يأخذ اللحم فيغلي قليلاً ولا ينضج ويُحمل في الأسفار. (انظر: النهاية في غريب الحديث، ٥/١٨٩).

(٣) الطبقات الكبرى: ٣/٤١١.

وفي رواية البخاري: عن جابر بن عبد الله ب أنه قال: لما بعث رسول الله ﷺ بعثاً قِبل الساحل، وأمَّر عليهم أبا عبيدة بن الجراح، وهم ثلاثمائة، فخرجنا وكنا ببعض الطريق فني الزاد، فأمر أبو عبيدة بأزواد الجيش فجمع، فكان مزودي تمر، فكان يقوتنا كل يوم قليلاً قليلاً، حتى فني فلم يكن يصيبنا إلا تمرة تمرة، فقلت: ما تغني عنكم تمرة؟ فقال: لقد وجدنا فقدها حين فنيت، ثم انتهينا إلى البحر، فإذا حوت مثل الظرب[1]، فأكل منها القوم ثمان عشرة ليلة، ثم أمر أبو عبيدة بضلعين من أضلاعه فنصبا، ثم أمر براحلة فرحلت، ثم مرت تحتهما فلم تصبهما[2].

إنَّ هذه الحادثة تدل دلالة صادقة على تأييد الله للمؤمنين، إنهم نفذ زادهم حتى أنهم أكلوا ورق الشجر من شدة جوعهم، وهم ذاهبون إلى حربٍ، والحرب تحتاج إلى شدةٍ، والشدة يلزمها بجانب الإيمان القوت، فكانت الكرامة أن أخرج لهم حوت العنبر على ساحل البحر فأكلوا وسمنوا.

أبو عبيدة ﷺ وتو اضع العظماء:

كما عاش أبو عبيدة ﷺ مع الرسول ﷺ أميناً متواضعاً، عاش بعد وفاة الرسول ﷺأميناً يحمل مسؤولياته في تواضعٍ وأمانةٍ تكفيان أهل الأرض لو اغترفوا منهما جميعاً.

لقد سار أبو عبيدة ﷺ تحت راية الإسلام أنى سارت جنديا كأنه بفضله وبإقدامه الأمير.. وأميراً كأنه بتواضعه وبإخلاصه واحد من عامة المقاتلين.

فعندما كان خالد بن الوليد يقود جيوش الإسلام في إحدى معارك المسلمين الفاصلة الكبرى يموت أبو بكر الصدِّيق ﷺ، وإذ بعمر بن الخطاب ﷺ يستهلّ عهده بتولية أبي عبيدة ﷺ مكان خالد ﷺ. عندها لم يكد أبو عبيدة يستقبل مبعوث عمر بهذا الأمر الجديد حتى استكتمه الخبر، وكتمه هو في نفسه

---

(١) الظرب: الجبل الصغير. (انظر: النهاية في غريب الحديث، ١٥٦/٣).

(٢) رواه البخاري: كتاب المغازي، باب غزوة سيف البحر، ح(٤١٠٢).

طاوياً عليه صدر زاهد فطن أمين.. حتى أتمّ القائد خالد فتحه العظيم.. فتقدّم إليه في أدبٍ جليل بكتاب أمير المؤمنين وأعلمه الخبر.

روى ابن كثير في البداية: ذكر أبو حذيفة إسحاق بن بشر أنَّ الصِّدِّيق تُوفي قبل فتح دمشق، وأنَّ عمر كتب إلى أبي عبيدة يعزيه والمسلمين في الصِّدِّيق، وأنه قد استنابه على من بالشام، وأمره أن يستشير خالداً في الحرب، فلما وصل الكتاب إلى أبي عبيدة كتمه من خالد حتى فتحت دمشق بنحو من عشرين ليلة، فقال له خالد: يرحمك الله، ما منعك أن تعلمني حين جاءك؟ فقال: إني كرهت أن أكسر عليك حربك، وما سلطان الدنيا أريد، ولا للدنيا أعمل، وما ترى سيصير إلى زوال وانقطاع، وإنما نحن إخوان، وما يضر الرجل أن يليه أخوه في دينه ودنياه[1].

ولما أصبح أبو عبيدة أمير الأمراء في الشام، وصار تحت إمرته أكثر جيوش الإسلام عتاداً وعدداً، فما كنت تحسبه حين تراه إلا واحداً من المقاتلين، وفرداً عادياً من المسلمين، ولما ترامى إلى سمعه أحاديث أهل الشام عنه، وانبهارهم به جمعهم وقام فيهم خطيباً وقال لهم:

يا أيها الناس إني امرؤ من قريش وما منكم من أحد أحمر ولا أسود يفضلني بتقوى إلا وددت أني في مسلاخه[2].

أي تواضع هذا؟ بل أي عظمة تلك؟

إن أبا عبيدة كان أميراً للأمراء، وقائداً لأكثر جيوش الإسلام عدداً، وأشدّها بأساً، وأعظمها فوزاً، وحاكم لبلاد الشام، أمره مطاع ورأيه نافذ، إلا أن كل ذلك ومثله معه، لا ينال من انتباهه لفتة، وليس له في تقديره أي حساب.

---

(١) البداية والنهاية: ابن كثير، ٧/ ٢٨.

(٢) الطبقات الكبرى: ٤١٣/٣، ٤١٢. وفي مسلاخه: أي في جلده، وفيه كناية عن تمنيه أن يكون على هديه وطريقته. (انظر: النهاية في غريب الحديث، ٣٨٩/٢).

وها هو نلمحه ﷺ خائفاً من ربه رغم كل ما قدَّم، يخشاه ويتضرع له ويقول: وددت أني كبش فذبحني أهلي فأكلوا لحمي وحسوا مرقي[١].

أبو عبيدة ﷺ وزهد الأغنياء:

وها هو أيضا نلمحه زاهداً في الحياة متطلعا إلى ما عند الله، وما عند الله خير وأبقى، فلم تستطع الدنيا بشهواتها ولا زخرفها ومتاعها أن تصل إلى قلبه أو تصرفه عن مقصده وغايته، رغم أنه كان قائداً للجيوش وأميراً للأمراء.

وهاكم مثالاً حدث في حياة النبي ﷺ يوضح هذا المقصد.

روى ابن سعد في طبقاته: أن عمر بن الخطاب أرسل إلى أبي عبيدة بأربعة آلاف درهم وأربعمائة دينار، وقال للرسول: انظر ما يصنع. قال: فقسَّمها أبو عبيدة، قال: ثم أرسل إلى معاذ بمثلها، وقال للرسول مثل ما قال، فقسَّمها معاذ إلا شيئاً قالت امرأته: نحتاج إليه، فلما أخبر الرسولُ عمرَ قال: الحمد للّه الذي جعل في الإسلام مَن يصنع هذا[٢].

وروى أبو نعيم في الحلية بسنده عن هشام بن عروة عن أبيه قال: دخل عمر بن الخطاب على أبي عبيدة بن الجراح فإذا هو مضطجع على طنفسة[٣]رحله متوسداً الحقيبة، فقال له عمر: ألا اتخذت ما اتخذ أصحابك، فقال: يا أمير المؤمنين هذا يبلغني المقيل[٤].

وقال معمر في حديثه: لما قدم عمر الشام تلقاه الناس وعظماء أهل الأرض، فقال عمر: أين أخي؟ قالوا: مَن؟ قال: أبو عبيدة، قالوا: الآن يأتيك، فلما أتاه نزل فاعتنقه، ثم دخل عليه بيته، فلم ير في بيته إلا سيفه وترسه ورحله[٥].

---

(١) الطبقات: ٤١٢/٣، ٤١٣.

(٢) الطبقات: ٤١٢/٣، ٤١٣.

(٣) الطنفسة: بساط يصنع من عذف التمر، وقيل: كا ما يُصنع من النبات فهو طنفسة.

(٤) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه: ١٧٣/٨، وأبو نعيم في الحلية: ١٠١/١.

(٥) حِلية الأولياء: ١٠١/١، ١٠٢.

وروى ابن عساكر بسنده عن نافع عن ابن عمر: أن عمر حين قدم الشام، قال لأبي عبيدة: اذهب بنا إلى منزلك، قال: وما تصنع عندي؟ ما تريد إلا أن تعصر عينيك علي. قال: فدخل، فلم ير شيئا، قال: أين متاعك؟ لا أرى إلا لبداً[1] أو صحفة وشناً وأنت أمير، أعندك طعام؟ فقام أبو عبيدة إلى جونة، فأخذ منها كسيرات، فبكى عمر، فقال له أبو عبيدة: قد قلت لك: إنك ستعصر عينيك علي يا أمير المؤمنين، يكفيك ما يبلغك المقيل. قال عمر: غيَّرتنا الدنيا كلنا غيرك يا أبا عبيدة [2].

ولم يكتف ﷺ بزهد نفسه، بل كان يحثُّ غيره على الزهد في الدنيا، فيروي أبو نعيم في الحلية أن أبا عبيدة بن الجراح ﷺ كان يسير في العسكر فيقول: ألا رب مبيّض لثيابه مدنّس لدينه، ألا رب مكرِم لنفسه وهو لها مهين، ادرؤا السيئات القديمات بالحسنات الحديثات، فلو أن أحدكم عمل من السيئات ما بينه وبين السماء ثم عمل حسنة لعلت فوق سيئاته حتى تقهرهن[3].

أبو عبيدة ﷺ والنفس القانعة:

إنَّ أبا عبيدة ﷺ وهبه الله نفساً قانعة زاهدة تكتفي بالقليل ولا تتطلع إلى ما عند الغير، ومن صور زهد أبي عبيدة ﷺ أنه ما كان حريصاً على الإمارة ولا تولّي مناصب القيادة والزعامة، رغم أنها كانت تأتيه وكان يحسن أمرها ويقوم بها خير قيام، إلا أنه ما كان يطلبها، وما كانت نفسه تتوق إليها، فقد حباه الله تعالى نفساً قانعة.

روى البيهقي في الدلائل بسنده عن موسى بن عقبة قال: غزوة عمرو بن العاص ذات السلاسل من مشارف الشام في بلي وسعد الله، ومن يليهم من قضاعة. وفي رواية عروة: بعثه رسول الله ﷺ في بلي، وهم أخوال العاص بن

---

(١) اللبد: الصوف، والمراد هنا: قطعة من الصوف. (الصحاح للجوهري: ٥٣٣/٢). والشِّن: القِربة. (مختار الصحاح للرازي ١٨٤).

(٢) تاريخ دمشق: ٤٨١/٢٥. - سير أعلام النبلاء: الذهبي، ١٦/١ – ١٨.

(٣) رواه أبو نعيم في الحلية: ١٠٢/١ – وابن أبي شيبة في المصنف: ١١٦/٧، ح(٣٤٦٢١).

وائل، وبعثه فيمن يليهم من قضاعة وأُمِر عليهم، قال موسى: فخاف عمرو بن العاص من جانبه الذي هو به، فبعث إلى رسول الله ﷺ يستمده، فندب رسول الله ﷺ المهاجرين الأولين، فانتدب فيهم أبو بكر وعمر بن الخطاب في سراة المهاجرين، وأُمِر عليهم أبا عبيدة بن الجراح، فأمد بهم عمرو بن العاص. قال عروة: وعمرو يومئذ في سعد الله وتلك الناحية من قضاعة، قال موسى: فلما قدموا على عمرو قال: أنا أميركم، وأنا أرسلت إلى رسول الله ﷺ أستمده بكم، قال المهاجرون: بلى، أنت أمير أصحابك، وأبو عبيدة أمير المهاجرين، فقال عمرو: إنما أنتم مدد أُمددته، فلما رأى ذلك أبو عبيدة، وكان رجلاً حسن الخلق لين الشيمة، سعى لأمر رسول الله ﷺ عليه وعهده قال: تعلم يا عمرو أن آخر ما عهد إلي رسول الله ﷺ أن قال: «إذا قدمت على صاحبك فتطاوعا» وإنك إن عصيتني لأطيعنك، فسلَّم أبو عبيدة الإمارة لعمرو بن العاص[1].

أرأيتم هذه الأخلاق الفاضلة، وهذه الحلة الباهرة التي كست شخصية أبي عبيدة ﷺ فأكسبتها بهاءً وجمالاً.

لا يعرف أقدار الرجال إلا الرجال:

وهب الله أبا عبيدة رجاحة في العقل وقوة في الرأي وحكمة في التدبير ومقدرة على اتخاذ القرار الصحيح، وهذه إحدى ميزاته أيضاً بجانب أمانته، بل هي إحدى ثمار أمانته ﷺ. وهذه الأمور أهَّلته للخلافة غير مرة؛ لأنه يملك مقومات القيادة والريادة.

فللخلافة مع أبي عبيدة حنين واشتياق، فقد اشتاقت هي إليه وحنَّت بين يديه إلا أنه ما رضيها ،ولا اشتهتا نفسه.

---

(١) دلائل النبوة للبيهقي: باب غزوة ذات السلاسل، ح(١٧٣٨). وابن عساكر في تاريخ دمشق: ٢٦/٢.

فنجد الصِّدِّيق يوم السقيفة يخاطب الأنصار في أمر الخلافة ويقول لهم مرشحا لها أحد اثنين:

يقول أبو بكر الصِّدِّيق يوم السقيفة: لقد رضيت لكم أحد الرجلين فبايعوا أيهما شئتم، عمر وأبو عبيدة بن الجراح[١].

ولا يعني هذا أن الخلافة شر بل إنها الخير كله حين تكون بحقها، وأبو عبيدة يعلم في قرارة نفسه مكانة الصِّدِّيق ومنزلته، ويعلم أنه الأحق بالخلافة من غيره.

ويأتي عمر قبيل وفاته ويقول فيما رواه ابن سعد: لو أدركت أبا عبيدة بن الجراح فاستخلفته فسألني عنه ربي لقلت: سمعت نبيك يقول: هو أمين هذه الأمة..

ويقول عمر بن الخطاب أيضاً: لو أدركت أبا عبيدة بن الجراح لاستخلفته وما شاورت، فإن سئلت عنه قلت: استخلفت أمين الله وأمين رسوله[٢].

ويروي الحاكم في مستدركه بسنده عن عمر س: أنه قال لأصحابه: تمنوا، فقال بعضهم: أتمنى لو أن هذه الدار مملوءة ذهباً أنفقه في سبيل الله و أتصدق وقال رجل: أتمنى لو أنها مملوءة زبرجداً وجوهراً فأنفقه في سبيل الله وأتصدق، ثم قال عمر: تمنّوا، فقالوا: ما ندري يا أمير المؤمنين، فقال عمر: أتمنى لو أنها مملوءة رجالاً مثل أبي عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل وسالم مولى أبي حذيفة وحذيفة بن اليمان[٣].

وهاهو خالد بن الوليدﷺ وهو القائد المجرِّب والفارس المحنَّك يُقرُّ لأبي عبيدة ﷺ بمكانته، ويعترف له بفضله ومنزلته.

---

(١) الاستيعاب: ٢/ ٧٩٢.

(٢) الطبقات الكبرى: ٣/٤١٣.

(٣) رواه الحاكم في المستدرك، كتاب معرفة الصحابة، باب ذكر مناقب سالم مولى أبي حذيفة، ح(٥٠٠٥) وعلَّق عليه الذهبي قائلاً: على شرط البخاري ومسلم.

روى أحمد وابن أبي شيبة عن عبد الملك بن عمير قال: لما بعث عمر أبا عبيدة ابن الجراح إلى الشام وعزل خالد بن الوليد، قال خالد: بعث عليكم أمين هذه الأمة، فقال أبو عبيدة: سمعت رسول الله ﷺ يقول: خالد سيف من سيوف الله، ونعم فتى العشيرة[1].

وهاهو معاذ بن جبل ﷺ يسمع رجلاً ينال من أبي عبيدة ويتهمه بالتقصير لما حصر في إحدى المعارك، ويفضل عليه خالد، فيبادر بالدفاع عن أبي عبيدة.

روى الذهبي بسنده عن زيد، عن أبيه قال: بلغني أن معاذاً سمع رجلاً يقول: لو كان خالد بن الوليد ما كان بالناس دوك – الشدة والمعاناة – وذلك في حصر أبي عبيدة، فقال معاذ: فإلى أبي عبيدة تضطر المعجزة لا أبا لك! والله إنه لخير من بقي على الأرض[2].

وفاة أبي عبيدة ﷺ:

وبعد حياة حافلة بالطاعة والإيمان والأمانة والفداء مات أبو عبيدة ﷺ، وكان ذلك في طاعون عمواس سنة ثماني عشرة في خلافة عمر بن الخطاب ﷺ، وكان أبو عبيدة يوم مات ابن ثمان وخمسين سنة، وقبره بعمواس وهو من الرملة على أربعة أميال مما يلي بيت المقدس[3].

ويروي ابن عساكر في قصة وفاة أبي عبيدة ﷺ: أن عمر كتب إلى أبي عبيدة في الطاعون الذي وقع بالشام إنه عرضت لي حاجة ولا غنى بي عنك فيها، فإذا أتاك كتابي هذا فإني أعزم عليك إن أتاك ليلاً أن لا تصبح حتى

---

(١) رواه أحمد في مسنده: حديث يزيد بن العوام، ٤/٩٠، ح(١٦٨٦٩) وقال شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح لغيره دون قوله: " ونعم فتى العشيرة " فهو حسن لغيره وهذا إسناد ضعيف لانقطاعه عبد الملك بن عمير — وهو اللخمي — لم يدرك أبا عبيدة ولا خالد بن الوليد ولا عمر بن الخطاب. ورواه ابن أبي شيبة في مصنفه: كتاب الفضائل، باب ما ذكر في خالد بن الوليد ﷺ، ح(٣٢٢٦٤).

(٢) سير أعلام النبلاء، الذهبي: ١٦/١. وروى ابن سعد في الطبقات نحواً منه. الطبقات الكبرى: ٤١٤/٣.

(٣) الطبقات الكبرى: ٣٨٥/٧.

تركب، وإذا أتاك نهاراً أن لا تُمسي حتى تركب إليَّ، فلما قرأ الكتاب قال: قد عرفت حاجة أمير المؤمنين إنه يريد أن يستبقي مَن ليس بباق، ثم كتب: إني قد عرفت حاجتك التي عرضت لك فحلِّلني من عزمتك يا أمير المؤمنين فإني في جند من أجناد المسلمين لا أرغب بنفسي عنهم، فلما قرأ عمر الكتاب بكى فقيل له: مات أبو عبيدة؟ قال: لا، وكأن قد كتب إليه عمر إن الأردن أرض عمقة، وإن الجابية أرض نزهة[1] فاظهر بالمسلمين إلى الجابية، فلما قرأ أبو عبيدة الكتاب قال: هذا يُسمع فيه أمر أمير المؤمنين ونطيعه، فأمرني أن أركب وأبوئ الناس منازلهم، فقلت: إني لا أستطيع، قال: لم لعل المرأة قد طعنت؟ قلت: أجل، فذهب ليركب، فوجد وخزة فطعن، فتوفي أبو عبيدة وانكشف الطاعون[2].

إن الإيثار يأبى أن يفارق أبا عبيدة ﷺ حتى في آخر أيام حياته، فنجده لا يضن بنفسه ويؤثر الباقية على الفانية، ويختار أن يموت مع عامة المسلمين كما عاش بينهم، إنها العظمة لا غير، والرضا بقدر الله تعالى.

كانت هذه قبسات مضيئة من سيرة أمين الأمة أبي عبيدة بن الجراح ﷺ، تلك السيرة العطرة لعظيمٍ من عظماء الأمة، وقائدٍ من قوادها، لرجلٍ باع نفسه لدينه، وانقطع عن كل شيء حوله ووصل نفسه بربه، فتقبَّله ربه قبولاً حسناً، وأشعره برضاه، وطمأنه بالجنة على لسان نبيه ﷺ.

فهنيئاً لك يا ابن الجراح الجنة فتمتع فيها وتمنى، فضلاً من ربك أعطاه كي تشكر بك ذا المنة.

---

(١) أرض نزهة: بعيدة عن الوباء.

(٢) تاريخ مدينة دمشق: ٢٥/٤٨٤، ٤٨٥، وانظر: فتح الباري: ١٠/١٥٩.

سادس العشرة

طلحة بن عبيد الله ﷺ

رجل الخير والجود .. وشهيد يمشي على الأرض

الآن ينتقل بنا الحديث إلى معدن من معادن الهدى والتصديق، وفدائي من الرعيل الأول، ومضرب من مضارب الأمثال في الفيض والجود والكرم والسخاء والشجاعة والورع، عن رجلٍ يبشر اسمه بالخير، إنه طلحة الجود والخير، طلحة الفيَّاض، إنه طلحة بن عبيد الله ﷺ.

اسمه ونسبه ﷺ:

هو طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة، القرشي التيمي المكي[1].

وواضح من هذا التعريف أن الصحابي الجليل طلحة بن عبيد الله ﷺ يلتقي مع النبي ﷺ في جده مرة بن كعب، وهذا يوضح العمق النسبي بين هذا الصحابي الجليل وبين النبي ﷺ. كما أنه يجتمع مع أبي بكر الصِّدِّيق ﷺ في تيم بن مرة، فكلاهما من قبيلة تيم.

وأمُّه الحضرمية، واسمها الصعبة بنت عبد الله بن عماد بن مالك بن ربيعة بن أكبر بن مالك بن عويف بن مالك بن الخزرج بن إياد بن الصدف بن حضرموت بن كندة، ويعرف أبوها عبد الله بالحضرمي، ويقال لها: بنت الحضرمي، وأمُّها عاتكة بنت وهب بن عبد بن قصي بن كلاب، وكان وهب بن عبد صاحب الرفادة دون قريش كلها[2].

ويلاحظ هنا أن طلحة ﷺ يلتقي مع النبي ﷺ أيضاً من جهة أم أمه في جده قصي بن كلاب، وهو جد للنبي ﷺ.

---

(١) راجع: سير أعلام النبلاء: ١/ ٢٣.

(٢) راجع: الاستيعاب، ٢/ ٧٦٤ - الطبقات: ٣/ ٢١٤.

كنيته ﷺ:

عرف طلحة بكنية لازمته ولم تنفك عنه وهي: أبو محمد، نسبة إلى ابنه محمد[(١)].

لقبه ﷺ:

كما اشتهر طلحة أيضاً ببعض الألقاب التي تكشف في مجملها ملامح عظمة شخصيته ومعالم عبقريته وكريم أخلاقه وسجاياه ﷺ.

وهذه الألقاب هي: طلحة الفياض وطلحة الخير وطلحة الجود[(٢)]، وهي ألقاب نالها طلحة عن جدارة واستحقاق، وسيأتي الحديث عن سبب إطلاق هذه الألقاب على طلحة بن عبيد الله ﷺ.

صفته ﷺ:

وحتى تتضح الصورة فلا بد من إلقاء نظرة على صفة طلحة بن عبيد الله ﷺ حتى يتسنى للقارئ أن يربط بين ملامح الشخصية الخَلقية ومعالمها الخُلقية، مما يجعله يستحضر في ذهنه صورة طلحة الخير وكأنه يراه، وهو أمر له أهميته عند الحديث عن شخصية الصحابي محل الذكر.

روى ابن سعد في الطبقات: قال أبو عبد الله بن منده: كان- أي طلحة - رجلاً آدم، كثير الشعر، ليس بالجعد القطط ولا بالسبط، حسن الوجه، إذا مشى أسرع، ولا يغيِّر شعره ......

وعن موسى بن طلحة قال: كان أبي أبيض يضرب إلى الحمرة، مربوعاً، إلى القصر هو أقرب، رحب الصدر، بعيد ما بين المنكبين، ضخم القدمين، إذا التفت التفت جميعاً[(٣)].

---

(١) انظر: الطبقات الكبرى: ٢١٤/٣ - سير أعلام النبلاء:٢٣/١.

(٢) راجع: الاستيعاب، ٢ / ٧٦٤. أسد الغابة: ٥٩/٣.

(٣) الطبقات الكبرى: ٢١٩/٣، وحديث موسى بن طلحة رواه الطبراني في الكبير (١١١/١). والحاكم في المستدرك (٤١٧/٣) وذكره الهيثمي في المجمع (١٤٧/٩) وقال: رواه الطبراني وفيه عبد العزيز بن عمران وهو ضعيف.

وطلحة كما يتضح مما سبق يتمتع بملامح قد توجد عند الكثيرين، الأمر الذي يقود إلى نتيجة حتمية ألا وهي أن معيار التفاضل ليس بصفات الشخصية الخَلقية وإنما بمعالمها وصفاتها الخُلقية.

إطلالة على بيت طلحة الجود ﷺ:

بلغ عدد زيجات طلحة ﷺ أكثر من ست زيجات، كان منهن أربع زوجات كل واحدة منهن أخت لزوجة من زوجات النبي ﷺ، وهن: أم كلثوم بنت أبي بكر، أخت عائشة، وحمنة بنت جحش أخت زينب، والفارعة بنت أبي سفيان أخت أم حبيبة، ورقية بنت أبي أمية أخت أم سلمة، وقد أُنجب لطلحة أحد عشر ذكراً وأربع بنات هم كالآتي:

محمد وهو السجاد وبه كان يكنى قتل يوم الجمل مع أبيه، وعمران ابن طلحة، وأمهما حمنة بنت جحش ... وأمها أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم ابن عبد مناف بن قصي، وموسى بن طلحة وأمه خولة بنت القعقاع بن معبد ابن زرارة بن عدس بن زيد من بني تميم، وكان يقال للقعقاع: تيار الفرات من سخائه، ويعقوب بن طلحة، وكان جواداً قتل يوم الحرة، وإسماعيل وإسحاق، وأمهم أم أبان بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، وزكرياء ويوسف وعائشة، وأمهم أم كلثوم بنت أبي بكر الصِّدِّيق، وعيسى ويحيى، وأمهما سعدى بنت عوف بن خارجة ... وأم إسحاق بنت طلحة تزوجها الحسن بن علي بن أبي طالب، فولدت له طلحة ثم توفي عنها، فخلف عليها الحسين بن علي، فولدت له فاطمة، وأمها الجرباء وهي أم الحارث بنت قسامة بن حنظلة بن وهب .. من طيء، والصعبة بنت طلحة، وأمها أم ولد، ومريم ابنة طلحة، وأمها أم ولد، وصالح ابن طلحة درج(١)، وأمه الفرعة بنت علي سبية من بني تغلب(٢).

---

(١) درج: أي مات صغيراً.

(٢) انظر: الطبقات الكبرى: ٣/٢١٤ – نسب قريش: ١/٩١-٩٢.

إسلام طلحة ﷺ:

عرف طلحة ﷺ الإسلام في بدايته وأسلم مبكراً إثر دعوة من أبي بكر الصِّدِّيق ﷺ جاءت عقب رحلة لطلحة ببصرى التقى فيها براهب بشَّره بمبعث النبي ﷺ.

وعن هذه الرحلة يتحدث طلحة قائلاً فيما رواه البيهقي بسنده: حضرت سوق بصرى فإذا راهب في صومعته يقول: سلوا أهل هذا الموسم أفيهم أحد من أهل الحرم؟ قال طلحة: قلت: نعم أنا، فقال: هل ظهر أحمد بعد؟ قلت: ومن أحمد؟ قال: ابن عبد الله بن عبد المطلب، هذا شهره الذي يخرج فيه، وهو آخر الأنبياء، مخرجه من الحرم، ومهاجره إلى نخل وحرة وسباخ، فإياك أن تسبق إليه. قال طلحة: فوقع في قلبي ما قال، فخرجت سريعاً حتى قدمت مكة، فقلت: هل كان من حديث؟ قالوا: نعم محمد بن عبد الله، الأمين، تنبأ، وقد تبعه ابن أبي قحافة. قال: فخرجت حتى قدمت على أبي بكر، فقلت: اتبعت هذا الرجل؟ قال: نعم فانطلق إليه فادخل عليه فاتبعه فإنه يدعو إلى الحق، فأخبره طلحة بما قال الراهب، فخرج أبو بكر بطلحة، فدخل به على رسول الله ﷺ، فأسلم طلحة، وأخبر رسول الله ﷺ بما قال الراهب، فُسرَّ رسول الله ﷺ بذلك[1].

وروى محمد بن إسحاق أنه لما أسلم أبو بكر وأظهر إسلامه دعا إلى الله ﷻ ... فجعل يدعو إلى الإسلام من وثق به من قومه ممن يغشاه ويجلس إليه فأسلم على يديه -فيما بلغني- الزبير بن العوام، وعثمان بن عفان، وطلحة ابن عبيد الله، وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف ﷺ، فانطلقوا إلى رسول الله ﷺ ومعهم أبو بكر، فعرض عليهم الإسلام وقرأ عليهم القرآن

(١) رواه البيهقي في الدلائل: ٣٧/٢ ح(٤٧٢) – البداية والنهاية: ٣٩/٣، ٤٠. والقصة رواها ابن سعد في الطبقات (٢١٤/٣) عن الواقدي.

وأنبأهم بحق الإسلام فآمنوا، وكان هؤلاء النفر الثمانية الذين سبقوا الناس في الإسلام صدقوا رسول الله ﷺ وآمنوا بما جاء من عند الله تعالى[١].

وروي ابن عساكر بسنده عن القاسم بن محمد بن أبي بكر عن عائشة رضي الله عنها قالت: خرج أبو بكر يريد رسول الله ﷺ وكان له صديقاً في الجاهلية، فلقيه فقال: يا أبا القاسم فُقِدت من مجالس وحل[٢]، واتهموك بالعيب لآبائها وأديانها، فقال رسول الله ﷺ: أدعو إلى الله " فلما فرغ رسول الله أسلم أبو بكر عند رسول الله ﷺ وما بين الأخشبين أحد أكثر منه سروراً بإسلام أبي بكر، ومضى أبو بكر فراح بعثمان وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص فأسلموا، وجاء من الغد بعثمان بن مظعون وأبي عبيدة ابن الجراح وعبد الرحمن بن عوف وأبي سلمة بن عبد الأسد والأرقم بن أبي الأرقم فأسلموا[٣].

وهكذا كان طلحة في طليعة المؤمنين الذين آمنوا بالله ورسوله ﷺ وأخلصوا دينهم لله تعالى.

إن طلحة بعد دعوة أبي بكر رضي الله عنه لم يتمالك نفسه شوقاً إلى لقاء رسول الله ﷺ، لقد كان شوقه إلى لقاء الرسول ﷺ ومبايعته له أسرع من دقات قلبه .. فصحبه أبو بكر رضي الله عنه إلى الرسول ﷺ، حيث أسلم وأخذ مكانه في القافلة المباركة.. وهكذا كان طلحة من المسلمين المبكرين.

---

(١) سيرة ابن إسحاق: (١٢٠/١) وانظر: تاريخ دمشق: ٣٤٨/١٨.

(٢) هكذا في المصدر. وقد رواها ابن عساكر مرة أخرى وفيها «فقدت من مجالس قومك». تاريخ دمشق: ٥١/٣٠.

(٣) تاريخ دمشق: ٤٦/٣٠.

ابتلاؤه وصبره ﷺ:

على الرغم من مكانة طلحة ﷺ بين قومه حيث كان من أثرياء قومه وذوي المكانة فيهم، إلا أنه مع هذا نال حظه من اضطهاد المشركين وأذاهم، حيث وكلت قريش به رجلاً من أعتى صناديدها ألا وهو نوفل بن خويلد، والذي كان يُلقَّب بأسد قريش.

روى البيهقي في الدلائل أنه لما أسلم أبو بكر وطلحة أخذهما نوفل بن خويلد ابن العدوية فشدهما في حبل واحد ولم يمنعهما بنو تيم، وكان نوفل بن خويلد يدعى أسد قريش، فلذلك سُمِّي أبو بكر وطلحة القرينين[1].

فرغم مكانة طلحة بين قومه إلا أنها لم تمنعهم من إيذائه والنيل منه، ونظراً لمكانته فقد وكلوا به رجلاً معروفاً بشدته وغلظته وهو ابن العدوية، لدرجة أن النبي ﷺ قد استعاذ بالله من شره، حيث يقول فيما رواه البيهقي بسنده: «اللهم اكفنا شر ابن العدوية»[2].

وهذا ينبىء بدوره عن مدى ما تعرض له هذا الصحابي الجليل طلحة بن عبيد الله ﷺ من أذى واضطهاد، ويروي لنا ابن عساكر أحد فصول هذا الاضطهاد الذي وقع على الصحابي الجليل.

روى ابن عساكر بسنده عن مسعود بن خراش قال: بينا أنا أطوف بين الصفا والمروة، فإذا أناس كثير يتبعون أناساً، قال: فنظرت فإذا فتى شاب موثق يداه إلى عنقه، فقلت: ما شأن هؤلاء؟ فقالوا: طلحة بن عبيد الله قد صبأ وإن ورآه، وقال بعضهم: وإذا وراءه امرأة تذمره وتسبه، قلت: من هذه المرأة؟ قالوا: هذه أمه الصعبة بنت الحضرمي، قال طلحة: فأخبرني عيسى بن طلحة وغيره أن عثمان بن عبيد الله أخا طلحة قرن طلحة مع أبي بكر ليمنعه عن الصلاة ويردَّه

---

(١) دلائل النبوة للبيهقي: ٣٧/٢، ح(٤٧٢) راجع: الطبقات الكبرى: ٢١٥/٣ – تاريخ دمشق: ٦٥/٢٥ – البداية والنهاية: ٤٠/٣.

(٢) دلائل النبوة للبيهقي: ٣٧/٢ ح(٤٧٢).

عن دينه، وخرز يده ويد أبي بكر في قدّ[١]، فلم يرعهم إلا وهو يصلي مع أبي بكر[٢].

ومما يجد ذكره هنا هو أن أمّ طلحة التي أغضبها إسلامه كما سبق قد دخلت في دين الله، وتوفيت مسلمة[٣].

روى الطبراني والحاكم عن ابن عباس قال: أسلمت أمُّ أبي بكر الصِّدِّيق وأمُّ عثمان وأمُّ طلحة وأمُّ عمار بن ياسر وأمُّ عبد الرحمن بن عوف وأمُّ الزبير، وأسلم سعد وأمه في الحياة[٤].

قبسات من مناقب طلحة وفضائله ﷺ:

طلحة بن عبيد الله ﷺ أحد أبرز أصحاب النبي ﷺ، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة من النبي ﷺ بوحيٍ من ربه، وأحد الثمانية الذين سبقوا إلى الإسلام، وأحد الخمسة الذين أسلموا على يد أبي بكر الصِّدِّيق ﷺ، وأحد الستة أصحاب الشورى، وأحد الذين ثبتوا مع النبي ﷺ يوم أحد، وقاتل يومها قتال جيش كامل، وحمى النبي ﷺ بظهره، وشُلَّت يده في هذه الغزوة، وفيما يلي إطلالة على بعض مناقبه ﷺ.

ذكر أبو نعيم في الحلية طلحة بن عبيد الله ﷺ فقال: ومن الأعلام الشاهرة صاحب الأحوال الزاهرة الجواد بنفسه، الفيَّاض بماله، طلحة بن عبيد الله، قضى نحبه وأقرض ربه، كان في الشدة والقلة لنفسه بذولاً، وفي الرخاء والسعة بماله وصولاً[٥].

---

(١) القدُّ: سير من جلد غير مدبوغ. النهاية: ٢١/٤.

(٢) تاريخ مدينة دمشق: ٢٥ /٦٥. تهذيب الكمال: ٤١٥/١٣.

(٣) معرفة الصحابة لأبي نعيم: ٣٨٩/١.

(٤) المعجم الكبير للطبراني: نسبة طلحة بن عبيد الله، ح(١٨٨) المستدرك: كتاب معرفة الصحابة، باب مناقب طلحة، ح(٥٥٨٤).

(٥) حلية الأولياء: ٨٧/١.

النبي ﷺ يشهد لطلحة بالشهادة ويبشِّره بالجنة:

لعلي لا أجد أحداً يختلف معي حين أقول: إن من أجلِّ وأعظم مناقب الصحابي الجليل طلحة بن عبيد الله أن النبي ﷺ ساق إليه البشرى بالجنة، فلا توجد ثمة بشرى يتمنّاها أتباع رسول الله ﷺ، وتطير قلوبهم شوقاً إليها أكثر من هذه التي قلّدها النبي ﷺ طلحة بن عبيد الله ﷺ.

روى الترمذي بسنده عن عبد الرحمن بن عوف قال: قال رسول الله ﷺ: أبو بكر في الجنة وعمر في الجنة وعثمان في الجنة وعلي في الجنة وطلحة في الجنة والزبير في الجنة وعبد الرحمن بن عوف في الجنة وسعد في الجنة وسعيد في الجنة وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة[1].

وروى ابن ماجه بسنده عن معاوية بن أبي سفيان قال: نظر النبي ﷺ إلى طلحة فقال:«هذا ممن قضى نحبه»[2].

ومعنى قوله ﷺ: هذا ممن قضى نحبه، أي ممن ألزم نفسه بالموت، ووفَّى بنذره وبعزمه على أن يموت في سبيل الله تعالى .... وقضى نحبه مات، كأن الموت نذر في عنقه[3].

وعن الزبير قال: كان على رسول الله ﷺ يوم أحد درعان، فنهض إلى صخرة فلم يستطع، فأقعد تحته طلحة، فصعد النبي ﷺ حتى استوى على الصخرة، فقال سمعت النبي ﷺ يقول: أوجب طلحة[4] ومعنى أوجب: أي عمل عملاً أوجب له الجنة.

---

(١) رواه الترمذي: كتاب المناقب، باب مناقب عبد الرحمن بن عوف، ح(٣٧٤٧).

(٢) رواه ابن ماجه: فضل طلحة بن عبيد الله ٤٦/١، ح (١٢٦) وقال الشيخ الألباني: حسن.

(٣) انظر: مقدمة فتح الباري، ١٨٨.

(٤) رواه الترمذي في سننه: كتاب المناقب، باب مناقب طلحة، ح(٣٧٣٨) وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب، وقال الشيخ الألباني: حسن – ورواه أبو يعلى في مسنده: ٢٣/٢ح(٦٧٠) .

وروى ابن ماجه بسنده عن جابر: أن طلحة مرَّ على النبي ﷺ فقال:«شهيد يمشي على وجه الأرض»[١].

وفي رواية الترمذي: عن جابر بن عبد الله: سمعت رسول الله ﷺ يقول: من سرَّه أن ينظر إلى شهيدٍ يمشي على وجه الأرض فلينظر إلى طلحة بن عبيد الله[٢].

كل هذه الروايات وغيرها تقود في مجملها إلى نتيجةٍ واحدة وهي أن طلحة الخير من المبشرين بجنة النعيم، فهنيئاً لطلحة بهذه البشارة، لقد اطمأن إذن إلى عاقبة أمره ومصير حياته.. فسيحيا ويموت، وهو واحد من الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، ولن تناله فتنة، ولن يدركه لغوب.

طلحة رضي الله عنه المتواضع:

كان طلحة رضي الله عنه مثلاً حياً للتواضع لربه، والخشوع لخالقه، فما عرف الكبر إلى قلبه مدخلاً، وما أشاح عن الناس يوماً بوجهه، ولا صعَّر عنهم خده، بل كان يغشى مجالسهم ويخالط عوامَّهم ويصبر عليهم، حتى عُدَّ من حلماء قريشٍ، ويُروى عنه قوله: إن أقلَّ العيب على الرجل جلوسه في داره[٣].

وروى الطبراني وابن عساكر بسندهما عن موسى بن طلحة بن عبيد الله قال: دخلت مع أبي طلحة بن عبيد الله بعض المجالس فأوسعوا له من كل ناحية، فجلس في أدناها ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن من التواضع لله تبارك وتعالى الرضا بالدون من شرف المجالس[٤].

---

(١) رواه ابن ماجه: ٤٦/١، ح (١٢٥) قال الشيخ الألباني: صحيح.

(٢) رواه الترمذي: كتاب المناقب، باب مناقب طلحة، ح(٣٧٣٩) وقال الألباني: صحيح.

(٣) الطبقات الكبرى: ٢٢١/٣.

(٤) رواه الطبراني في الكبير: نسبة طلحة بن عبيد الله، ح(٢٠٥). وابن عساكر في تاريخ دمشق: ج ٥ / ٢٦، ٢٧. وأبو نعيم في معرفة الصحابة: ٤٣٠/١، ح(٣٨٢). وذكره الهيثمي في المجمع (٥٩/٨) وقال: رواه الطبراني وفيه أيوب بن سليمان بن عبد الله ولم أعرفه ولا والده، وبقية رجاله ثقات.

طلحة ﷺ وفن التضحية والفداء:

أسلم طلحة مبكراً، وتحمَّل الأذى في سبيل إسلامه، ولما اشتدَّ الأمر على المسلمين أذن لهم النبي ﷺ بالهجرة، وكان طلحة ﷺ في صفوف المهاجرين.

ولما هاجر المسلمون إلى المدينة آخى رسول الله ﷺ بين طلحة وبين أبي أيوب الأنصاري[١].

وبعد الهجرة كانت بداية مرحلة جديدة مع المشركين، وكانت الغزوات الإسلامية التي لم يتخلف عنها طلحة، فشهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، إلا بدراً.

فلم يشهد بدراً؛ لأنه كان بالشام إثر بعث النبي ﷺ له ومعه سعيد بن زيد يتجسَّسان أخبار عير قريش، فقدم بعد رجوع رسول الله ﷺ من بدر، وضرب له رسول الله ﷺ بسهمه وأجره[٢].

إلا أنه بعد ذلك ما تخلف عن غزوة، وظهرت شجاعته وبراعته وحبه للنبي ﷺ في مواطن كثيرة، لعل من أبرزها يوم أحد، يوم أن قدَّم نحره دون نحر النبي ﷺ، وتترَّس بظهره ليصد السهام والرماح عن رسول الله ﷺ، وأبلى يوم أحد بلاء عظيماً، ووقى رسول الله ﷺ بنفسه، واتَّقى عنه النبل بيده حتى شل إصبعه وضرب ضربة على رأسه، وحمل رسول الله ﷺ على ظهره حتى صعد الصخرة.

وسنلقي فيما يلي الضوء على دور طلحة في يوم أحدٍ لنرى مدى حبه لدينه ونبيه، وهذا أمر عرفه له الجميع حتى إن كبار الصحابة حين كانوا يذكرون أحداً كانوا يشيدون بدور طلحة ﷺ يومها وما قدَّمه من تضحيات صارت مضرباً للأمثال، وأسوة للأبطال.

---

(١) أسد الغابة: ابن الأثير، ٥٩/٣.

(٢) انظر: أسد الغابة: ابن الأثير، ٥٩/٣.

فها هو أبو بكر الصِّدِّيق ﷺ كان إذا ذكر يوم أحد بكى ثم قال: ذاك كله يوم طلحة(١).

وهاهو سعد بن أبي وقاص يقول وقد ذكر طلحة: يرحمه الله إنه كان أعظمنا غناء عن رسول الله ﷺ يوم أحد، قيل: كيف يا أبا إسحاق؟ قال: لزم النبي ﷺ وكنا نتفرق عنه ثم نثوب إليه، لقد رأيته يدور حول النبي ﷺ يترس بنفسه(٢).

ففي غزوة أحد حينما حدث اضطراب في صفوف المسلمين إثر ما فعله الرماة، وتجمَّع المشركون حول رسول الله ﷺ كل منهم يريد قتله، وكل منهم يوجِّه السيوف والسهام والرماح تجاه الرسول؛ لعلمهم أن قوة المسلمين تكمن في بقائه ﷺ بين أظهرهم، وإذ بطلحة البطل الشجاع وقد أبصر جانب المعركة الذي يقف فيه رسول الله ﷺ، فألفاه قد صار هدفاً لقوى الشرك والوثنية، ورأى الدم يسيل من وجنتي النبي ﷺ، عندها جُنَّ جنونه وغلت دماؤه في عروقه، وسارع نحو الرسول ﷺ يشق صفوف المشركين، ويجتاح طريقاً ما أطوله على قصره، تنتظره المنية في كل شبر يجتازه، وتعترضه في ثناياه عشرات السيوف المسعورة حتى وصل إلى رسول الله ﷺ، وجعل من نفسه حصنًا منيعًا للنبي ﷺ، وبنى بجسده حائط صدٍ لسهام المشركين ورماحهم، ووقف طلحة ﷺ يومها كالجيش اللجب، يضرب بسيفه البتار يُمنة ويُسرة، ويحارب كأنه جيش وحده.

وها هو الصِّدِّيق أبو بكر ﷺ يحدثنا عما فعله طلحة ﷺ يوم أحد ويقول فيما روته عنه السيدة عائشة ﷺ: كنت أول من فاء يوم أحد، فرأيت رجلاً يقاتل مع رسول الله ﷺ دونه، وأراه قال يحميه، قال: فقلت: كن طلحة حيث فاتني ما فاتني، فقلت: يكون رجلاً من قومي أحب إلي، وبيني وبين المشرق

(١) تاريخ دمشق: ٢٥/٧٥، ورواه الطيالسي في مسنده (١/٣) ومن طريقه أبو نعيم في الحلية (١/٨٧)، والبيهقي في الدلائل (٣/٢٩٧).

(٢) تاريخ دمشق: ٢٥/٧٦ — وانظر: شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ١٤/٢٥٣.

رجل لا أعرفه وأنا أقرب إلى رسول الله ﷺ منه وهو يخطف المشي خطفاً لا أخطفه، فإذا هو أبو عبيدة بن الجراح فانتهينا إلى رسول الله ﷺ وقد كسرت رباعيته وشُجَّ في وجهه وقد دخل في وجنته حلقتان من حلق المغفر .... فأصلحنا من شأن النبي ﷺ، ثم أتينا طلحة في بعض تلك الجفار، فإذا به بضع وسبعون أو أقل أو أكثر بين طعنة ورمية وضربة، وإذا قد قطعت أصبعه فأصلحنا من شأنه[1].

ويحدِّثنا طلحة نفسه عن بعض ما فعله يوم أحد فيقول: لقد رأيت رسول الله ﷺ حيث انهزم أصحابه وكثر المشركون، فأحدقوا بالنبي ﷺ من كل ناحية، فما أدري أقوم من بين يديه أو من ورائه أو عن يمينه أو عن شماله فأذب بالسيف من بين يديه مرة وأخرى من ورائه حتى انكشفوا، فجعل رسول الله ﷺ يقول يومئذ لطلحة: قد أنحب[2] «أي قضى نذره».

وروى النسائي بسنده عن جابر بن عبد الله قال: لما كان يوم أحد وولى الناس كان رسول الله ﷺ في ناحية في اثني عشر رجلاً من الأنْصار، وفيهم طلحة بن عبيد الله، فأدركهم المشركون فالتفت رسول الله ﷺ وقال: مَن للقوم؟ فقال طلحة: أنا، قال رسول الله ﷺ: كما أنت، فقال رجل من الأنصار: أنا يا رسول الله، فقال: أنت، فقاتل حتى قُتل، ثم التفت فإذا المشركون، فقال: مَن للقوم؟ فقال طلحة: أنا، قال: كما أنت، فقال رجل من الأنْصار: أنا، فقال: أنت، فقاتل حتى قُتل، ثم لم يزل يقول ذلك ويخرج إليهم رجل من الأنْصار فيقاتل قتال مَن قبله حتى يُقتل حتى بقي رسول الله ﷺ وطلحة بن عبيد الله، فقال رسول الله ﷺ: مَن للقوم؟ فقال طلحة: أنا، فقاتل طلحة قتال الأحد عشر حتى ضُربَت يده فقُطعت أصابعه فقال: حسِّ، فقال:

---

(١) مسند الطيالسي:٣/١، ح(٦) – تاريخ دمشق:٧٥/٢٥. الحلية: ٨٧/١. والجُفار: جُمع جفرة بالضم، وهي حفرة بالضم. النهاية: ابن الأثير، ٢٧٨/١.

(٢) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق:(٧٦/٢٥) من طريق الواقدي، وهو في المغازي (٢٥٤/١).

رسول الله ﷺ لو قُلت بسم الله لرفعتك الملائكة والناس ينظرون ثم ردَّ الله المشركين[١].

ففي أحد ظهرت شجاعة طلحة رضي الله عنه وبسالته، وقتل فيها حامل لواء المشركين الجلاس بن طلحة، وكان كلما حمل اللواء رجل من المشركين قتله أحد المسلمين، وكان صاحب اللواء أولاً طلحة بن أبي طلحة فبرز له علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقتله، ثم حمل لواءهم عثمان بن أبي طلحة فقتله حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه، ثم حمله أبو سعد بن أبي طلحة فرماه سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه فأصاب حنجرته فأدلع لسانه إدلاع الكلب فقتله، ثم حمله مسافع بن طلحة بن أبي طلحة فرماه عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح رضي الله عنه فقتله، ثم حمله الحارث بن طلحة بن أبي طلحة فرماه عاصم بن ثابت رضي الله عنه فقتله، ثم حمله كلاب بن طلحة بن أبي طلحة فقتله الزبير بن العوام رضي الله عنه، ثم حمله الجلاس بن طلحة بن أبي طلحة رضي الله عنه فقتله طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه، ثم حمله أرطأة بن شرحبيل فقتله علي بن أبي طالب رضي الله عنه[٢].

أنعم بالحامل وأكرم بالمحمول:

وفي أحد- أيضاً- حدثت منقبة جليلة لطلحة رضي الله عنه ظهر فيها مدى حبه للنبي ﷺ، حيث أراد رسول الله ﷺ أن يعلو الصخرة التي في الشعب، فلما ذهب ينهض لم يستطع؛ لأنه ﷺ ضعف من كثرة ما خرج من دم رأسه الشريف ومن وجهه، مع كونه صعليه درعان، فجلس تحته طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه فنهض به حتى استوى عليها، فقال رسول الله ﷺ: أوجب طلحة، أي فعل شيئاً استوجب به الجنة حين صنع برسول الله ﷺ ما صنع .. وقيل: إن طلحة رضي الله عنه كان

---

(١) رواه النسائي في سننه: كتاب الجهاد، باب ما يقول من يطعنه العدو، ح(٣١٤٩) وأورده الذهبي في سير أعلام النبلاء: ٢٧/١. وقال الشيخ الألباني: حسن من قوله: فقطعت أصابعه، وما قبله يحتمل التحسين، وهو على شرط مسلم.

(٢) الطبقات الكبرى:٢/٤٠، ٤١.

في مشيه اختلاف؛ لعرج كان به، فلما حمل النبي ﷺ تكلَّف استقامة المشي؛ لئلا يشق عليه ﷺ، فذهب عرجه ولم يعد إليه[(١)].

وروى الترمذي بسنده عن الزبير قال: كان على رسول الله ﷺ يوم أحد درعان، فنهض إلى صخرة فلم يستطع فأقعد تحته طلحة فصعد النبي ﷺ حتى استوى على الصخرة، فقال: سمعت النبي ﷺ يقول: أوجب طلحة[(٢)].

وتمرُّ غزوة أحد وقد تركت على جسد طلحة بعض ذكرياتها التي كانت بمثابة أوسمة شرف ظلت مع طلحة عمره كله إلى أن لقي ربه، حيث شلت يده التي وقي بها النبي ﷺ إثر ما تعرضت له من سهام.

وروى البخاري بسنده عن قيس قال: رأيت يد طلحة شلَّاء وقى بها النبي ﷺ يوم أحد[(٣)].

كما بقي له من أحد الكثير من الندبات وآثار الجروح والطعنات التي تلقاها فداء لرسول الله ﷺ.

روى سعيد بن منصور في سننه بسنده ومن طريقه ابن سعد عن عائشة وأم إسحاق بنتي طلحة قالتا: جرح أبونا يوم أحد أربعا وعشرين جراحة، وقع منها في رأسه شجة مربعة، وقطع نساه - يعني عرق النسا-، وشُلَّت أصبعه، وسائر الجراح في سائر جسده، وقد غلبه الغشي، ورسول الله ﷺ مكسورة رباعيتاه، مشجوج في وجهه، قد علاه الغشي، وطلحة محتملُه، يرجع به القهقرى، كلما أدركه أحد من المشركين، قاتل دونه، حتى أسنده إلى الشعب[(٤)].

---

(١) راجع: السيرة الحلبية، الحلبي، ٥١٨/٢.

(٢) رواه الترمذي: كتاب المناقب، باب مناقب طلحة بن عبيد الله ح(٣٧٣٨) قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح غريب، وقال الشيخ الألباني: حسن.

(٣) رواه البخاري: كتاب المغازي، باب إذ همَّت طائفتان منكم أن تفشلا، ح(٣٨٣٦).

(٤) سنن سعيد بن منصور: ٣٠٥/٢ ح(٢٨٤٩) والطبقات الكبرى: ٢١٨/٣).

وقال أبو نعيم في معرفة الصحابة: أصيبت يده يوم أحد، ثبت مع رسول الله ﷺ، فلم يثبت معه أحد، فكانت فيه خمس وسبعون طعنة وضربة ورمية، حتى قطع نساه وشُلَّت أصبعه[1].

طلحة ؓ رجل الإنصاف:

إن الناظر إلى شخصية طلحة بن عبيد الله ؓ سيجد أنها شخصية رجلٍ يستحق التقدير والإجلال، فرغم مكانته وسبقه إلى الإسلام إلا أنه ما يسأله أحد عن فضل غيره إلا ويجيبه ذاكراً فضله ومنزلته، حتى ولو كان هذا الغير أحدث منه إسلاماً، أو أقل منه مالاً وتاريخاً.

روي عن مالك بن أبي عامر، قال: كنت عند طلحة بن عبيد الله فدخل عليه رجل فقال: يا أبا محمد والله ما ندري هذا اليماني أعلم برسول الله ﷺ أم أنتم تقول على رسول الله ﷺ ما لم يقل- يعني أبا هريرة- فقال طلحة: والله ما يشك أنه سمع من رسول الله ﷺ ما لم نسمع و علم ما لم نعلم إنا كنا قوما أغنياء لنا بيوت و أهلون كنا نأتي نبي الله ﷺ طرفي النهار ثم نرجع، وكان أبو هريرة ؓ مسكيناً لا مال له ولا أهل ولا ولد إنما كانت يده مع يد النبي ﷺ، وكان يدور معه حيث ما دار، ولا يشك أنه قد علم ما لم نعلم وسمع ما لم نسمع ولم يتهمه أحد منا أنه تقول على رسول الله ﷺ ما لم يقل؟[2].

---

(١) معرفة الصحابة: أبو نعيم، ١/٣٩٦.

(٢) رواه الحاكم في المستدرك: كتاب معرفة الصحابة، باب ذكر أبي هريرة، ح(٦١٧٢) وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وعلق الذهبي في التلخيص قائلاً: على شرط مسلم -ورواه الترمذي: كتاب المناقب، باب مناقب أبي هريرة، ح(٣٨٣٧) وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث محمد ابن إسحق، وقد رواه يونس بن بكير وغيره عن محمد بن إسحق، وقال الشيخ الألباني: ضعيف الإسناد.

إن طلحة ﷺ رجل يعرف أقدار الرجال، ويعطي كل ذي حقٍ حقه من الإكرام والتوقير، وهذا أمر نلمحه في حديثه السابق عن أبي هريرة وثنائه عليه وعلى ملازمته للنبي ﷺ، وفي هذا شهادة على حسن خلق طلحة ﷺ، وصفاء قلبه، ونقاء معدنه فرضي الله عنه وأرضاه.

وعن يحيى بن طلحة، عن أبيه طلحة قال: رأى عمر طلحة بن عبيد الله ثقيلاً فقال: مالك يا أبا فلان، لعلك ساءتك إمرة ابن عمك يا أبا فلان؟ قال: لا، إلا أني سمعت من رسول الله ﷺ حديثاً ما منعني أن أسأله عنه إلا القدرة عليه حتى مات، سمعته يقول: «إني لأعلم كلمة لا يقولها عبد عند موته إلا أشرق لها لونه، ونفَّس الله عنه كربته» قال: فقال عمر ﷺ: إني لأعلم ما هي، قال: وما هي؟ قال: تعلم كلمة أعظم من كلمة أمر بها عمه عند الموت؟ لا إله إلا الله، قال طلحة: صدقت، هي والله هي[1].

وها هو طلحة كما في الرواية السابقة ينصف عمر بن الخطاب؛ لأنه نطق بالحق، ويصدقه فيما قال، غير مبالٍ أظهر الحق منه أم من عمر.

طلحة ﷺ بحر من العطاء ونهر من الجود والخير:

حبا المولى جل وعلا طلحة بالخير الكثير والثراء العريض، فكان طلحة ﷺ من أكثر المسلمين ثراء، وأنماهم ثروة ... وسخَّر طلحة ثروته كلها في خدمة الدين الذي حمل هو والصحابة الكرام ﷺ رايته مع رسول الله ﷺ......... فكان ينفق منها بغير حساب .. وكان الله ينمّيها له بغير حساب، لقد لقّبه رسول الله ﷺ بطلحة الخير، وطلحة الجود، وطلحة الفيّاض إطراءً لجوده المفيض، وهذه الصفة تكاد تكون أحد أبرز مفاتيح شخصية طلحة ﷺ.

---

(١) رواه أحمد في مسنده: ١/١٦١، مسند طلحة بن عبيد الله، ح(١٣٨٤) وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين غير يحيى بن طلحة فمن رجال أصحاب السنن- وانظر: سير أعلام النبلاء: ١/٣٨، وقال الذهبي: وإسناده صحيح.

وروى ابن عساكر بسند عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي قال: مرَّ رسول الله ﷺ في غزوة ذات قرد على ماءٍ يقال له: بيسان فسأل عنه، فقيل: اسمه يا رسول الله بيسان، وهو مالح، فقال رسول الله ﷺ: لا، بل هو نعمان وهو طيب، فغيَّر رسول الله ﷺ الاسم وغيَّر الله الماء، فاشتراه طلحة بن عبيد الله ثم تصدق به، وجاء إلى النبي ﷺ فأخبره، فقال رسول الله ﷺ: ما أنت يا طلحة إلا فياض، فلذلك سُمِّي طلحة الفياض[1].

وروى الطبراني بسنده عن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه قال: سمَّاني رسول الله ﷺ يوم أحد طلحة الخير، وفي غزوة ذي العشيرة طلحة الفياض، ويوم حنين طلحة الجود[2].

ويحدثنا قبيصة بن جابر قائلاً: «صحبت طلحة بن عبيد الله، فما رأيت أعطى لجزيل مال عن غير مسألةٍ منه»[3].

ويقول السائب بن يزيد: صحبت طلحة بن عبيد الله في السفر والحضر فلم أُخبَر أحداً أعم سخاء على الدرهم والثوب والطعام من طلحة[4].

وورد في سير أعلام النبلاء: عن موسى بن طلحة، عن أبيه، أنه أتاه مال من حضرموت سبع مئة ألف، فبات ليلته يتململ. فقالت له زوجته: مالك؟ قال: تفكرت منذ الليلة، فقلت: ما ظن رجل بربه يبيت وهذا المال في بيته؟ قالت: فأين أنت عن بعض أخلائك فإذا أصبحت، فادع بجفان وقصاع فقسَّمه، فقال لها: رحمك الله، إنك موفقة بنت موفق، وهي أم كلثوم بنت الصِّدِّيق، فلما أصبح، دعا بجفان، فقسَّمها بين المهاجرين والأنصار، فبعث إلى علي منها

---

(١) تاريخ دمشق: ٩٣/٢٥، وراجع: الاستيعاب، ٢ / ٧٦٤. أسد الغابة: ٥٩/٣.

(٢) رواه الطبراني في الكبير: ١١٢/١، ح(١٩٨) والحاكم في المستدرك: كتاب معرفة الصحابة، باب ذكر مناقب طلحة، ح(٥٦٠٥) وراجع: أسد الغابة: ٥٩/٣.

(٣) معرفة الصحابة لأبي نعيم، ٤٠٤/١، ح(٣٥٨). وحلية الأولياء: ٨٨/١. الطبقات الكبرى: ٢٢١/٣.

(٤) رواه ابن سعد في الطبقات: ٢٢٢/٣ وفيه الواقدي.

بجفنة، فقالت له زوجته: أبا محمد! أما كان لنا في هذا المال من نصيب؟ قال: فأين كنت منذ اليوم؟ فشأنك بما بقي، قالت: فكانت صرَّة فيها نحو ألف درهم(١).

وروى ابن عساكر بسنده عن علي بن زيد قال: جاء أعرابي إلى طلحة فسأله وتقرَّب إليه برحم فقال: إن هذا الرحم ما سألني بها أحد قبلك، إن لي أرضاً قد أعطاني فيها عثمان ثلاثمائة ألف، فإن شئت فاغد فاقبضها، وإن شئت بعتها من عثمان ودفعتها إليك، أي الثمن(٢).

وروى ابن سعد في الطبقات: عن سفيان بن عيينة قال: كانت غلَّة طلحة بن عبيد الله ألفا وافياً، وعن سعدى بنت عوف المرية قالت: دخلت على طلحة ذات يوم فقلت: ما لي أراك أرابك شئ من أهلك فنعتب؟ قال: نعم حليلة المرء أنت ولكن عندي مال قد أهمَّني أو غمَّني، قالت: اقسمه، فدعا جاريته فقال: ادخلي على قومي فأخذ يقسمه، فسألتها كم كان المال، فقالت: أربعمائة ألف(٣).

وروي أن طلحة بن عبيد الله باع أرضاً له من عثمان بن عفان بسبعمائة ألف فحملها إليه فلما جاء بها قال: إن رجلاً تبيت هذه عنده في بيته لا يدري ما يطرقه من أمر الله لغرير بالله، فبات ورسله يفرقونها ويختلفون بها في سكك المدينة، حتى أصبح وما عنده منها درهم(٤).

وروي أن طلحة بن عبيد الله كان يغلُّ بالعراق ما بين أربعمائة ألف إلى خمسمائة ألف ويغلُّ بالسراة عشرة آلاف دينار أو أقل أو أكثر وبالأعراض له غلات وكان لا يدع أحداً من بني تيم عائلا إلا كفاه مؤونته ومؤونة عياله وزوج أياماهم وأخدم عائلهم وقضى دين غارمهم، ولقد كان يرسل إلى عائشة إذا

---

(١) انظر: تاريخ دمشق: ٢٥ / ٩٩. - سير أعلام النبلاء: ٣١/١.

(٢) تاريخ دمشق: ٢٥/ ٩٩.

(٣) الطبقات الكبرى: ٢٢٠/٣.

(٤) أنساب الأشراف: البلاذري، ٢٦٠. وانظر: الطبقات الكبرى: ٢٢٠/٣. شرح نهج البلاغة: ٥/١٠.

جاءت غلته كل سنة بعشرة آلاف، ولقد قضى عن صبيحة التيمي ثلاثين ألف درهم[١].

وعن الحسن البصري أن طلحة بن عبيد الله باع أرضاً له بسبع مئة ألف، فبات أرقاً من مخافة ذلك المال، حتى أصبح ففرَّقه[٢].

هذا وقد أكثرت من النقول التي توضِّح قيمة الجود عند طلحة، وتبين بما لا يدع مجالاً للشك أن الجود كان صفة لازمة لطلحة، وطبعاً طبع عليه، بحيث أضحى مفتاحاً لشخصيته - بجانب فدائه - وعنواناً عليه.

وهكذا عاش طلحة حياته كلها كريمًا سخيًّاً شجاعاً، وعلى الرغم من هذا الثراء إلا أنه ما جعله يوماً في قلبه بل كان إلى بذله في مرضاة ربه أسرع.

روى ابن سعد بسنده عن معاوية أنه قال: عاش - أي طلحة- حميداً سخياً شريفاً، وقُتل فقيراً رحمه الله[٣].

ولعل المقصود من أنه كان فقيراً، أي أنه رغم ثرائه كان يعيش عيشة الفقراء؛ لأن طلحة قد تُوفي وترك خلفه أموالاً كثيرة.

روى ابن سعد بسنده عن إبراهيم بن محمد بن طلحة قال: كانت قيمة ما ترك طلحة بن عبيد الله من العقار والأموال وما ترك من الناضِّ[٤] ثلاثين ألف ألف درهم، ترك من العين ألفي ألف ومائتي ألف درهم ومائتي ألف دينار والباقي عروض[٥].

---

(١) الطبقات الكبرى: ٣/ ٢٢١.

(٢) سير أعلام النبلاء: ١/ ٣٣.

(٣) الطبقات الكبرى: ٣/ ٢٢٢. - تاريخ دمشق: ٢٥/ ١٠٣. - سير أعلام النبلاء: ١/ ٣٣.

(٤) الناضَّ: النقود والدراهم.

(٥) الطبقات الكبرى:٣/ ٢٢٢.

وعن إسحاق بن يحيى عن جدته سعدى بنت عوف المرية أم يحيى بن طلحة قالت: قتل طلحة بن عبيد الله يرحمه الله وفي يد خازنه ألفا ألف درهم ومائتا ألف درهم، وقُوِّمت أصوله وعقاره ثلاثين ألف ألف درهم(١).

طلحة ﷺ في قافلة الشهداء:

توفي طلحة ﷺ إثر فتنة ألمَّت بالمسلمين ألا وهي خروج الخارجين على عثمان ﷺ ومحاصرتهم لداره ثم قتله، بعدها خرج طلحة والزبير ﷺ ومعهما السيدة أم المؤمنين عائشة بنت الصِّدِّيق ﷺ على رأس جيش للمطالبة بالثأر من قتلة عثمان، وكان ذلك في سنة ست وثلاثين للهجرة، ثم التقى جيشهم بجيش علي بن أبي طالب، والفريقان ما كانا يريدان حرباً ولا قتالاً، بل كان هدفهما المشترك الثأر من قتلة عثمان، وبعد محاورة بين علي وطلحة والزبير ﷺ انتهت إلى معانقة كل منهم للآخر والاتفاق على رجوع جيش طلحة والزبير من حيث أتى، إلا أن السبئيين وأصحاب الفتنة اندسّوا بين الفريقين وبين الجيشين وأشعلوا نار الحرب بينهما، وظنَّ كل فريق أن صاحبه قد غدر به، وكانت فتنة هوجاء، وأقلع طلحة والزبير ﷺ عن الاشتراك في هذه الحرب، ولكنهما دفعا حياتهما ثمنا لانسحابهما، ولكن لقيا ربهما قريرة أعينهما بما قررا، فالزبير تعقَّبه رجل اسمه عمرو بن جرموز وقتله غدراً وهو يصلي، وطلحة رماه مروان بن الحكم بسهم أودى بحياته.

روي الحاكم في مستدركه عن علقمة بن وقاص الليثي قال: لما خرج طلحة والزبير وعائشة ﷺ للطلب بدم عثمان ﷺ، عرضوا من معهم بذات عرق، فاستصغروا عروة بن الزبير، وأبا بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام فردُّوهما، قال: ورأيته، وأحب المجالس إليه أخلاها، وهو ضارب بلحيته على زوره، فقلت: يا أبا محمد! إني أراك وأحب المجالس إليك أخلاها وأنت ضارب بلحيتك على زورك، أن تكره هذا الأمر، فدعه فليس يكرهك عليه أحد،

(١) الطبقات الكبرى: ٢٢٢/٣.

فقال: يا علقمة بن وقاص! لا تلمني، كنا يداً واحدة على من سوانا، فأصبحوا اليوم جبلين يزحف أحدنا إلى صاحبه، ولكنه كان مني في أمر عثمان ﷺ، مما لا أرى كفارته إلا أن يُسفك دمي في طلب دمه[1].

وروى البخاري في التاريخ الصغير بسنده عن عمرو بن جاوان، قال: التقى القوم يوم الجمل، فقام كعب بن سور الأزدي معه المصحف ينشره بين الفريقين، وينشدهم الله والإسلام في دمائهم، فما زال بذلك المنزل حتى قتل، فكان طلحة من أول قتيل، وذهب الزبير يريد أن يلحق بيته فقتل[2].

وروي عن الشعبي قال: رأى علي طلحة في وادٍ مُلقى، فنزل فمسح التراب عن وجهه، وقال: عزيز علي أبا محمد بأن أراك مجدلاً في الأودية تحت نجوم السماء، إلى الله أشكو عجري وبجري، قال الأصمعي: معناه: سرائري وأحزاني التي تموج في جوفي[3].

وعن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس قال: رأيت مروان بن الحكم حين رمى طلحة يومئذ بسهمٍ، فوقع في ركبته، فما زال ينسح حتى مات[4].

وكان مقتله رضي الله عنه وأرضاه يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين، ودفن إلى جانب الكلأ، وكان عمره ستين سنة، وقيل: بضعاً وستين سنة[5].

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك: ٤١٩/٣، ح(٥٥٩٥) وقال الذهبي في التلخيص: سنده جيد.

(٢) رواه البخاري في التاريخ الصغير: ٧٥/١، وانظر: تاريخ دمشق: ١٠٨/٢٥ — تهذيب الكمال: ٤٢٠/١٣- سير أعلام النبلاء: ٣٥/١ .

(٣) تاريخ دمشق: ١١٥/٢٥ - سير أعلام النبلاء: ٣٦/١ — البداية والنهاية: ٢٧٦/٧ — أُسد الغابة: ٦١/٣. وأصل العجرة نفخة في الظهر، فإذا كانت في السرة فهي بجرة. (النهاية لابن الأثير: ٩٧/١).

(٤) رواه ابن سعد في الطبقات: ٢٢٣/٣ مطوَّلاً، وصحَّحه الذهبي، وذكره الهيثمي في المجمع: (١٥٠/٩) وقال: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح، وعزاه الحافظ ابن حجر في الإصابة للفسوي، وقال: سنده صحيح. انظر: الإصابة (٥٣٢/٣).

(٥) البداية والنهاية: ٢٧٦/٧.

وللشهداء كرامات:

وبعد وفاة طلحة ﷺ حدثت كرامة تشهد بفضله، فقد حدث أن عائشة ابنة طلحة بن عبيد الله رأت أباها طلحة بن عبيد الله في المنام، فقال لها: يا بنية حوِّليني من هذا المكان قد أضرَّ بي الندى، فأخرجته بعد ثلاثين سنة أو نحوها فحوَّلته من ذلك النزّ[١] وهو طري لم يتغير منه شئ، فدفن في الهجرتين بالبصرة، وتولَّى إخراجه عبد الرحمن بن سلامة التيمي[٢].

وفي رواية: أن الذي رآه رجل وأخبر ابنته بما رآه، فقد روى ابن عساكر بسنده عن المثنى بن سعيد قال: لما قدمت عائشة بنت طلحة البصرة أتاها رجل فقال: أنت عائشة ابنة طلحة؟ قالت: نعم، قال: إني رأيت طلحة بن عبيد الله في المنام، فقال: قل لعائشة حتى تحوِّلني من هذا المكان، فإن الندى قد أذاني فركبت في مواكبها وحشمها فضربوا عليه بناء واستثاروه فلم يتغير منه إلا شعرات في إحدى شِقَّي لحيته، أو قال: رأسه حتى حُوِّل إلى موضعه هذا، وكان بينهما بضع وثلاثون سنة[٣].

كانت هذه نهاية جولتنا مع سيرة الصحابي الجليل طلحة بن عبيد الله ﷺ وتجلَّى لنا بما لا يدع مجالاً للشك أن طلحة ﷺ كان من الصادقين القانتين، الذي وفَّوا عهودهم وقضوا نحبهم، كما ظهر لنا أن طلحة الخير أحب النبي ﷺ حباً شديداً دفعه ليقدِّم نحره دون نحر النبي ﷺ في مواطن كثيرة، وأنه تاقت نفسه للشهادة وطلبها بصدقٍ فوهبها الله له، فقتل شهيداً مبشَّراً بالجنة ﷺ.

---

(١) النزُّ: ما يتحلَّب في الأرض من الماء. (الصحاح للجوهري: ٨٩٩/٣).

(٢) انظر: تاريخ دمشق: ١٢٣/٢٥، ١٢٤.

(٣) تاريخ دمشق: ١٢٣/٢٥، ١٢٤.

سابع العشرة

الزبير بن العوام ﷺ

حواري الرسول ﷺ وابن عمته، ونسيج وحده

إن حديثنا الآن عن واحدٍ من العشرة المبشرين بالجنة كان شديد الولع بالشهادة، عظيم الغرام بالموت في سبيل الله، إنه رجل الصلابة التي لا تعرف اللين، والعزيمة التي لا تعرف الخور، واليقين الذي لا يعرف الشك، إنه الزبير بن العوام ﷺ حواري الرسول ﷺ وابن عمته.

آن لنا الآن أن نقترب من محرابه ونتلمَّس عظمة شخصيته، وملامح بطولته وجهاده، وآثار عطائه لدينه وأمته، الأمر الذي جعله في مصافِّ الأبطال المعدودين، والعشرة المبشرين بجنة النعيم على لسان النبي الكريم ﷺ بوحيٍ من المولى العظيم.

وبداية: لو أردنا أن نطلق على الزبير عنواناً يحمل أبرز ملامح شخصيته لقلنا: إنه نسيج وحده.

وهذه العبارة تكاد تكون معلماً من معالم الزبير ومفتاحاً لشخصيته ﷺ، فالرجل كان معتداً بنفسه، معتمداً بعد ربه على ساعده، وهذا الاعتداد والاعتزاز بالنفس قد وظَّفه الزبير ﷺ في خدمة دينه، وهو أمر سنلمحه فيما نستقبل من صفحات أثناء الحديث عنه.

اسمه ونسبه ﷺ:

هو: الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة ابن كعب بن لؤي القرشي الأسدي، وأمه صفية بنت عبد المطلب بن هاشم ابن عبد مناف بن قصي[1].

فهو يلتقي مع النبي ﷺ في النسب من جهة أبيه وأمه.

فمن جهة أبيه: يلتقي مع النبي ﷺ في جده قُصي بن كلاب.

---

(١) راجع: الطبقات الكبرى: ٣/١٠٠. أسد الغابة: ابن الأثير، ٢/١٩٦.

ومن جهة أمه: يلتقي مع النبي ﷺ في جده عبد المطلب.

فأمه عمة رسول الله ﷺ وهو ابن عمة رسول الله وابن أخي خديجة بنت خويلد زوج النبي ﷺ[1].

وهذا الاتصال يوضح لنا عمق العلاقة بين النبي ﷺ وبين الزبير، ويكشف لنا عن مكانة الزبير في بيت النبوة[2].

وبهذا يتضح لنا بما لا يدع مجالاً للشك أن الزبير بن العوام له قدم وساق في بيت النبوة. من جهة أبيه وأمه وعمته التي هي زوج النبي ﷺ خديجة بنت خويلد رضي الله عنها.

كنيته رضي الله عنه:

تكنى الزبير بكنيتين: إحداهما أطلقتها عليه أمه السيدة صفية: وهي أبو الطاهر، وكانت أمه تكنيه بها؛ لأنها كانت كنية أخيها الزبير ابن عبد المطلب، والثانية: أبو عبد الله، نسبة إلى ابنه عبد الله، وقد غلبت عليه[3].

لقبه رضي الله عنه:

أما عن ألقابه رضي الله عنه: فإن أشهر ألقابه قاطبة هي حواري رسول الله[4]، وهو لقب لازم الزبير رضي الله عنه طوال حياته وبقي بعد وفاته.

---

(١) أسد الغابة: ابن الأثير، ١٩٦/٢.

(٢) راجع: معلَّقة الزبير في بيت النبوة، من كتاب: الآل والصحابة محبة وقرابة، ص٣٤، إعداد فضيلة الشيخ: علي بن حمد التميمي، مركز البحوث والدراسات بمبرة الآل والأصحاب بالكويت.

(٣) أسد الغابة: ابن الأثير، ١٩٦/٢.

(٤) انظر: تاريخ دمشق: ٣٣٩/١٨. - سير أعلام النبلاء، ٤١/١.

ومعنى الحواري في اللغة: أي الناصر[١]. ومعنى حواري الرسول: أي أنه من خاصة أصحابه ومناصريه[٢].

وذكر أبو نعيم للزبير عدة ألقاب مشتقة من أحواله فقال: ومن أسمائه المشتقة من أحواله: الحواري والجاد والمفدى بالأبوين وركن الدين وعمود الإسلام[٣].

صفته ﷺ:

وقد ورد أن الزبير كان رجلا طويلاً، إذا ركب خطّت رجلاه الأرض، وكان خفيف اللحية والعارضين[٤].

إطلالة على بيته (زوجاته وأولاده) ﷺ:

تزوج الزبير ﷺ وأكثر فبلغت عدد زيجاته ست، وكان له من الولد أحد عشر ذكراً، وتسع بنات.

وفيما يلي إلقاء الضوء بإيجاز على نسائه وأولاده:

كان للزبير من الولد أحد عشر ذكراً وتسع بنات من ست زوجات، وفيما يلي عرض لأسماء أبنائه وزوجاته ﷺ :

عبد الله وعروة والمنذر وعاصم والمهاجر درجا[٥] وخديجة الكبرى وأم الحسن وعائشة، وأمهم أسماء بنت أبي بكر الصِّدِّيق، وخالد وعمرو وحبيبة وسودة وهند، وأمهم أم خالد وهي أمة بنت خالد بن سعيد بن العاص بن أمية. ومصعب وحمزة ورملة، وأمهم الرباب بنت أنيف بن عبيد .. من كلب. وعبيدة وجعفر، وأمهما زينب وهي أم جعفر بنت مرثد بن عمرو .. وزينب وأمها أم

---

(١) راجع: الصحاح للجوهري: ٦٣٩/٢ – مختار الصحاح: ٩٢.

(٢) راجع: النهاية لابن الأثير: ٤٥٨/١ – لسان العرب: ٢١٩/٤.

(٣) معرفة الصحابة: أبو نعيم، ٤٥٨/١.

(٤) سير أعلام النبلاء: ٤٢/١. الإصابة: ٤٥٨/٢. تهذيب التهذيب: ٢٧٥/٣.

(٥) أي: ماتا صغيران.

كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط. وخديجة الصغرى وأمها الحلال بنت قيس بن نوفل .. من بني أسد[١].

ومما تجدر الإشارة إليه هنا: أن الزبير كان محباً لإخوانه من أصحاب النبي ﷺ حباً قاده إلى أن يسمي أبناءه بأسماء الصحابة رضوان الله عليهم أملاً منه أن يحذوا حذوهم ويسيروا على نهجهم وسيرتهم ومسيرتهم.

روى ابن سعد عن عروة بن الزبير عن أبيه قال: قال الزبير بن العوام إن طلحة ابن عبيد الله التيمي يسمي بنيه بأسماء الأنبياء وقد علم أن لا نبي بعد محمد وإني أُسمي بني بأسماء الشهداء؛ لعلهم أن يستشهدوا، فسمى عبد الله بعبد الله ابن جحش والمنذر بالمنذر بن عمرو وعروة بعروة بن مسعود وحمزة بحمزة بن عبد المطلب وجعفر بجعفر بن أبي طالب ومصعباً بمصعب بن عمير وعبيدة بعبيدة بن الحارث وخالداً بخالد بن سعيد وعمراً بعمرو بن سعيد بن العاص قتل يوم اليرموك[٢].

إسلامه ﷺ:

أسلم الزبير ﷺ وهو صغير: فروي أنه أسلم وهو ابن ثمان سنين، وقيل: وهو ابن اثنتي عشرة سنة، وقيل: وهو ابن خمس عشرة سنة، وقيل: وهو ابن ست عشرة سنة[٣].

وكان إسلامه بعد أبي بكر ﷺ بيسير، كان رابعاً أو خامساً في الإسلام، وهاجر إلى الحبشة وإلى المدينة، وآخى رسول الله بينه وبين عبد الله بن مسعود لما آخى بين المهاجرين بمكة، فلما قدم المدينة وآخى رسول الله بين المهاجرين والأنصار آخى بينه وبين سلمة بن سلامة بن وقش[٤].

---

(١) الطبقات الكبرى: ٣/ ١٠٠.

(٢) الطبقات الكبرى: ٢/ ١٠٠، ١٠١. – تاريخ دمشق: ٧/٤٦.

(٣) انظر: الطبقات الكبرى: ١٠٢/٣. – سير أعلام النبلاء: ٤١/١.

(٤) انظر: أسد الغابة: ١٩٦/٢، ١٩٧. الطبقات الكبرى: ١٠٢/٣. الإصابة: ابن حجر، ٤٥٧/٢.

وفي الطبقات عن الزهري عن عروة قال: آخى رسول الله ﷺ بين الزبير ابن العوام وكعب بن مالك[١].

وبمجرد أن أسلم الزبير بدأت مؤامرات الكيد والصدِّ تنسج حوله حبائلها لثنيه عن الإسلام ودفعه للخروج منه، إلا أن هذه المؤامرات وتلك المحاولات باءت كلها بالفشل ورجع مُسعِّروها بخُفَّي حنين، فلم تنل من الزبير ﷺ ولم تصل إلى قلبه، بل لم تزده إلا إيماناً واطمئناناً.

ذكر ابن حجر في الإصابة: عن أبي الأسود قال: كان عمُّ الزبير يعلقه في حصير ويدخن عليه ليرجع إلى الكفر فيقول لا أكفر أبداً[٢].

ولما اشتد الإيذاء على الزبير ﷺ وازدادت ناره تأجُّجاً وسعيراً، خرج الزبير ﷺ مهاجراً إلى الحبشة مع من هاجر من المسلمين.

الزبير بن العوام ﷺ مناقب وفضائل:

حظي الزبير ﷺ إجمالاً بمجموعة من المناقب والفضائل التي لم يحظ بها إلا القليل.

فهو الثابت القوام صاحب السيف الصارم والرأي الحازم كان لمولاه مستكيناً وبه مستعيناً قاتل الأبطال وباذل الأموال[٣].

كما أنه يلتقي في نسبه مع النبي ﷺ من جهة أبيه وأمه، فهو ابن عمة النبي ﷺ، وعمته أم المؤمنين السيدة خديجة بنت خويلد ﵂، أسلم قديماً وهو صغير السن، وتحمل الأذى في سبيل إسلامه، وهاجر إلى الحبشة وإلى المدينة المنورة، وهو أول من سلَّ سيفاً في الإسلام، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وأبلى فيها بلاء حسناً، ونزلت الملائكة على سيماه في بدر،

---

(١) الطبقات الكبرى: ١٠٢/٣.

(٢) الإصابة: ابن حجر، ٤٥٧/٢.

(٣) حلية الأولياء: أبو نعيم، ٨٩/١.

ولقبه النبي ﷺ بحواريِّه، وجمع له النبي ﷺ بين أبويه، وكان مبعوث النبي ﷺ في مهامه الخاصة ذات الحذر الشديد.

وفيما يلي نستعرض أهم ملامح شخصية الزبير بن العوام بمناقبها وفضائلها.

الزبير رضي الله عنه نسيج وحده[1]:

لو حاولنا أن نبحث عن مفتاح شخصية الزبير بن العوام رضي الله عنه فإنه لن تأخذنا الحيرة بعيداً، ولن يجهدنا البحث كثيراً؛ لأن مفتاح شخصيته واضح من فصول سيرته إنه الاعتزاز بالنفس.

إن الزبير كان بحق معتزًّاً بنفسه، معتدًّاً بها، وقد استعمل هذه الصفة في خدمة دينه، فكان نسيجاً وحده يقاتل كأنه يقاتل وحده، ويثور فلا يقف أحد أمامه، وكم من مرةٍ حمله حبه لدينه واعتزازه بنفسه أن يجود بحياته وأن يعرض نفسه للمخاطر فداء لدينه وأمته.

ومن هذه المرات:

حين كان الزبير رضي الله عنه في الحبشة، فلما اشتد الأذى على المسلمين في مكة أذن لهم النبي ﷺ في الخروج إلى الحبشة؛ لأنه كان فيها ملكاً لا يُظلم عنده أحد، وبالفعل هاجروا إلى الحبشة وكان عليها النجاشي رضي الله عنه، الذي أحسن وفادتهم وأكرمهم وشملهم برعايته وعنايته، ورفض أن يسلمهم إلى المشركين الذين حاولوا كثيراً استرجاعهم إلى مكة.

وكان في طليعة المهاجرين ومن أحدثهم سناً الزبير بن العوام، الذي هاجر مستصحبا معه شجاعته وبأسه وثقته بنفسه بعد ربه.

وتقصُّ علينا السيدة أم سلمة رضي الله عنها إحدى فصول الهجرة إلى الحبشة مبيِّنة صورة من صور بطولات الزبير رضي الله عنه فتقول: فأقمنا مع خير جار في خير دار، فلم ينشب أن خرج عليه - أي النجاشي- رجل من الحبشة ينازعه في ملكه فوالله ما علمنا حزنا قط كان أشد منه فرقاً أن يظهر ذلك الملك عليه فيأتي ملك لا يعرف

---

(١) وهي كلمة تطلق على الفائق وتقال للرجل البارع الذي قل أن يكون له نظير.
انظر: المعجم الأوسط للطبراني (١٤٨/٥)، تحفة الأحوازي للمباركفوري (٢٣٠/١٠).

من حقنا ما كان يعرف فجعلنا ندعو الله ونستنصره للنجاشي فخرج إليه سائراً، فقال أصحاب رسول الله ﷺ بعضهم لبعض: من رجل يخرج فيحضر الوقعة حتى ينظر على مَن تكون؟ فقال الزبير وكان من أحدثهم سناً: أنا، فنفخوا له قربة فجعلها في صدره ثم خرج يسبح عليها في النيل حتى خرج من شقه الآخر إلى جنب التقاء الناس، فحضر الوقعة، فهزم الله ذلك الملك وقتله، وظهر النجاشي عليه، فجاءنا الزبير فجعل يلمح إلينا بردائه ويقول: ألا أبشروا فقد أظهر الله النجاشي، فوالله ما علمنا فرحنا بشيء قط فرحنا بظهور النجاشي، ثم أقمنا عنده حتى خرج من خرج منا راجعاً إلى مكة وأقام من أقام[١].

إن الشجاعة تأبى أن تفارق الزبير ﷺ، إننا لو قلنا: إن الزبير ﷺ كان رجل المهام الشاقة والصعوبات البالغة والمعضلات النازلة ما جانبنا الصواب ولا خالفنا الحقيقة.

وفي يوم الأحزاب حين عمَّ الخوف وساد، وتجمَّع المشركون بحدِّهم وحديدهم لتقويض أركان دولة الإسلام الناشئة عندها كان الزبير ﷺ مبعوث رسول الله ﷺ ليأتيه بخبر بني قريظة في هذا الوقت الشديد .

روى البخاري: بسنده عن جابر ﷺ قال: قال النبي ﷺ: مَن يأتيني بخبر القوم يوم الأحزاب، قال الزبير: أنا، ثم قال: مَن يأتيني بخبر القوم، قال الزبير: أنا، فقال النبي ﷺ: إن لكل نبي حوارِيّاً، وحواري الزبير[٢].

وبعد وفاة النبي ﷺ لم يفقد الزبير ﷺ براعته الحربية وثقته بنفسه فنجده يشارك في فتح مصر، وفي حصار حصن بابليون يهب نفسه لدينه ويقرر أن يقتحم الحصن وحده ويصعد سور الحصن ثم يُكبِّر تكبيرة انخلعت لها قلوب الأعداء، وتابعه بقية جيش المسلمين حتى فتح الله عليهم بنصره المبين.

---

(١) انظر: سيرة ابن إسحاق - محمد بن إسحاق، ١٩٣/٤ - ١٩٧. السيرة النبوية لابن هشام:٢٢٥/١. السيرة النبوية لابن كثير، ٢٣/٢.

(٢) البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب فضل الطليعة، ح(٢٨٤٦). ورواه مسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل طلحة والزبير، ح(٦٣٩٦).

ذكر ابن كثير في البداية عند حديثه عن فتح مصر: وحاصر المسلمون عين شمس من مصر في اليوم الرابع، وارتقى الزبير عليهم سور البلد - حصن بابليون - فلما أحسوا بذلك خرجوا إلى عمرو من الباب الآخر فصالحوه واخترق الزبير البلد حتى خرج من الباب الذي عليه عمرو فأمضوا الصلح وكتب لهم عمرو كتاب أمان[1].

الزبير رضي الله عنه أسد في براثنه:

ألف الزبير رضي الله عنه حياة الخشونة وساحات القتال، وكان فارسها المجرّب وبطلها المحنَّك، وكان يقاتل وحده ويعتمد بعد ربه على ساعده، وعلى هذا ربته أمه، حيث أعدته منذ صغره إعداداً خاصاً يؤهله لقيادة الجيوش وتحمُّل المسؤوليات.

ولذا كانت كثيراً ما تقسو عليه وهو صغير وتضربه ضرباً شديداً فقيل لها: قتلته خلعت فؤاده أهلكت هذا الغلام قالت: إنما أضربه كي يلب ويجرّ الجيش ذا الجلب[2].

ومعنى يلب هنا: أي يصير ذا لب، وهو العقل[3]، والجلب هنا بمعنى الأصوات الكثيرة، وهي كناية عن قيادته لجيش كبير عرمرم[4].

وروى ابن سعد في الطبقات: أن الزبير كسر يد غلامٍ ذات يوم، وفي روايةٍ: يد رجل، فجئ بالغلام إلى صفية، وقيل لها: ذلك، فقالت صفية: كيف وجدت زبراً؟ أأقطا[5] حسبته أم تمراً أم مشمعلاً صقراً[6].

---

(١) البداية والنهاية: ابن كثير: ٧ / ١١٢.

(٢) انظر: الطبقات الكبرى: ١٠١/٣.

(٣) انظر: النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير، ٢٢٣/٤.

(٤) المصدر السابق: ٢٨١/١.

(٥) الأقط: لبن مجفف يابس مستحجر يطبخ به. (النهاية لابن الأثير: ٥٧/١).

(٦) الطبقات الكبرى: ١٠١/٣.

وذكر ابن حجر في الإصابة عن الزبير بن بكار في كتاب النسب عن عبد الله بن مصعب: أن العوَّام لما مات كان نوفل بن خويلد يلي ابن أخيه الزبير، وكانت صفية تضربه وهو صغير، وتغلظ عليه، فعاتبها نوفل وقال: ما هكذا يضرب الولد، إنك لتضربينه ضرب مبغضة، فرجزت به صفية من قال إني أبغضه فقد كذب، وإنما أضربه لكي يلب ويهزم الجيش ويأتي بالسلب، ولا يكن لما له خبأ مخب، يأكل في البيت من تمر وحب[1].

وبهذا أُعد الزبير من صغره إعداداً خاصاً ليوم الكريهة والطعان، وأثمر هذا الإعداد ثمراً يافعاً قوياً، حيث احتضنته ساحات الوغى وأسلمت له قيادها، فلا تلفيه إلا شجاعاً ثائراً وبطلاً مغواراً وفارساً مقداماً يدور يُمنة ويُسرة يستأصل بسيفه جذور الشرك والمشركين في تفان قلَّ أن تجد له نظير، يقاتل كأنه يقاتل وحده، وكأنه جيش بكامله.

الزبير ﷺ مجاهداً:

شهد الزبير ﷺ المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، روى الحاكم بسنده عن عروة بن الزبير عن الزبير قال: والله ما خرج رسول الله ﷺ مخرجاً في غزوة غزاها، ولا سرية إلا كنت فيها[2].

وظهرت براعة الزبير الفائقة يوم بدر، فكان يومها أحد مغاوير الإسلام وأبطاله الشجعان، وكان على ميمنة جيش المسلمين، وقد أبلى فيها بلاء حسناً، حتى إنه قتل يومها نوفل بن خويلد عمه.

ولم تقتصر بطولته على بدر فقط بل في كل معركة وغزوة تجد الزبير ﷺ بطلاً ضرغاماً قوي الشكيمة شديد البأس عزيز المنال، واثقاً بربه ومعتزاً بنفسه، ونجده بطلاً شجاعاً في غزوة أحد، وقد ثبت يومها مع النبي ﷺ، وكانت معه إحدى رايات المهاجرين، ولما انصرف المشركون من أحد وحثَّ

(١) الإصابة: ابن حجر، ٤٥٨/٢.

(٢) رواه الحاكم في المستدرك: كتاب المناقب، باب ذكر مناقب حواري رسول الله، ح(٥٥٥٣).

النبي ﷺ أصحابه للخروج في إثرهم، كان الزبير ممن خرج استجابة لأمر رسول الله ﷺ.

روى البخاري بسنده عن عائشة رضي الله عنها: ﴿ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡقَرۡحُۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ مِنۡهُمۡ وَٱتَّقَوۡاْ أَجۡرٌ عَظِيمٌ ﴾[1] قالت لعروة: يا ابن أختي كان أبواك منهم، الزبير وأبو بكر، لما أصاب رسول الله ﷺ ما أصاب يوم أحد، وانصرف عنه المشركون خاف أن يرجعوا قال: «من يذهب في إثرهم». فانتدب منهم سبعون رجلاً، قال: كان فيهم أبو بكر والزبير[2].

وفي يوم الخندق يوم أن زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر كان الزبير رضي الله عنه ثابت الجنان قوي الأركان، فلم تزعزعه الحوادث ولم تنل منه النوائب، بل إنه يومها كان رجل المهام الصعبة، وكان مبعوث رسول الله ﷺ ليأتيه بخبر بني قريظة.

روى أحمد في مسنده عن جابر بن عبد الله قال: اشتدَّ الأمر يوم الخندق فقال رسول الله ﷺ: ألا رجل يأتينا بخبر بني قريظة، فانطلق الزبير فجاء بخبرهم، ثم اشتد الأمر أيضاً فذُكر ثلاث مرات، فقال رسول الله ﷺ: إن لكل نبي حوارياً، وإن الزبير حواري[3].

وروى البخاري بسنده عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: مَنْ يَأْتِينِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ يَوْمَ الْأَحْزَابِ؟ قال الزبير: أنا، ثم قال مَن يأتيني بخبر الْقَوْمِ؟ قال الزبير: أنا، فقال النبي ﷺ: إن لكل نبي حوارياً وحواري الزبير[4].

---

(١) سورة آل عمران الآية «١٧٢».

(٢) رواه البخاري: كتاب المغازي، باب الذين استجأبوا لله والرسول، ح(٣٨٤٩).

(٣) رواه أحمد في المسند: مسند جابر بن عبد الله ح(١٤٤١٥) وقال شعيب: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٤) رواه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب فضل الطليعة، ح(٢٨٤٦) وفي باب السير وحده، ح(٢٩٩٧).

وفي غزوة الأحزاب أيضاً: جمع له النبي ﷺ بين أبويه، فقال: فداك أبي وأمي[١].

وشهد اليرموك من أعمال دمشق، وكان على بعض الكرابيس يومئذ، وشهد الجابية مع عمر بن الخطاب[٢].

وهكذا لم يترك الزبير ﷺ مشهداً من المشاهد، ولم تمر موقعة من المواقع إلا وتترك بعض آثارها في جسد الزبير ﷺ، وكأنها شاهدة على فدائه وتضحيته وشجاعته وبسالته ﷺ.

روى البخاري بسنده عن عروة بن الزبير: أن أصحاب النبي ﷺ قالوا للزبير يوم اليرموك: ألا تشدّ، فنشد معك، فحمل عليهم فضربوه ضربتين على عاتقه بينهما ضربة ضربها يوم بدر، قال عروة: فكنت أدخل أصابعي في تلك الضربات، ألعب وأنا صغير[٣].

وقال جعفر بن خالد حدثني شيخ قدم علينا من الموصل قال: صحبت الزبير بن العوام في بعض أسفاره فأصابته جنابة بأرض قفر فقال: استرني فسترته، فحانت مني إليه التفاتة، فرأيته مجدَّعاً بالسيوف، قلت: والله لقد رأيت بك آثاراً ما رأيتها بأحد قط، قال: وقد رأيت ذلك؟ قلت: نعم، قال: أما والله ما منها جراحة إلا مع رسول الله ﷺ في سبيل الله[٤].

---

(١) رواه البخاري: كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب الزبير بن العوام ﷺ، ح(٣٥١٥).

(٢) تاريخ دمشق: ٣٣٢/١٨.

(٣) رواه البخاري واللفظ له: كتاب المناقب باب مناقب الزبير بن العوام ﷺ، ح(٣٥١٦). ومسلم في صحيحه: كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل طلحة والزبير، ح(٦٣٨٩).

(٤) رواه أبو نعيم في الحلية: ٩٠/١، وفي معرفة الصحابة: ٤٥٧/١، ح(٤٠٨). — وانظر: تهذيب التهذيب لابن حجر: ٢٧٥/٣.

الزبير ﷺ يين الخوف والحرص:

كان الزبير ﷺ حريصاً كل الحرص ألا يقع في معصية حتى ولو من باب النسيان وعدم القصد؛ ولذا نرى أن روايته للحديث كانت قليلة نسبياً عن رواية غيره من الصحابة.

فكان له: في «مسند بقي بن مخلد» ثمانية وثلاثون حديثاً، منها في «الصحيحين» حديثان، وانفرد البخاري بسبعة أحاديث[1].

والسبب في ذلك يعود إلى ما ذكره الزبير نفسه معللاً السبب بخوفه أن يذكر شيئاً لم يحدث عن غير قصدٍ منه، فيقع في دائرة قول النبي ﷺ: من كذب عليَّ فليتبوأ مقعده من النار؛ لأن الزبير ﷺ يرى أن النبي ﷺ لم يذكر كلمة «متعمِّداً»، من أجل هذا كان قليل الرواية.

روى ابن سعد بسنده عن جامع بن شداد قال: سمعت عامر بن عبد الله ابن الزبير يُحدِّث عن أبيه قال: قلت للزبير: ما لي لا أسمعك تُحدِّث عن رسول الله ﷺ كما يُحدِّث فلان وفلان؟ قال: أما إني لم أفارقه منذ أسلمت، ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقول: من كذب عليَّ فليتبوأ مقعداً من النار، قال وهب بن جرير في حديثه عن الزبير: والله ما قال «متعمداً»، وأنتم تقولون «متعمداً»[2].

وروى الزبير بن بكار من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن الزبير قال: سألت الزبير عن قلة حديثه عن رسول الله ﷺ فقال: كان بيني وبينه من الرحم والقرابة ما قد علمت، ولكني سمعته يقول: من قال عليَّ ما لم أقل فليتبوأ مقعده من النار[3].

---

(١) سير أعلام النبلاء: ٦٧/١.

(٢) الطبقات الكبرى: ١٠٧/٣. تاريخ دمشق: ٣٣٥/١٨.

(٣) الإصابة: ابن حجر، ٤٥٨/٢. وروى البخاري: عن سلمة قال: سمعت النبي ﷺ يقول: مَن يقل عليَّ ما لم أقل فلْيتبوأْ مقعده من النَّار. صحيح البخاري: كتاب العلم، باب إثم من كذب على النبي ﷺ، ح(١٠٩).

وروى الحاكم وابن حبان بسندهما عن هشام بن عروة عن أبيه قال: قال عبد الله بن الزبير لأبيه: يا أبت حدِّثني عن رسول الله ﷺ حتى أُحدِّث عنك، فإن كل أبناء الصحابة يُحدِّث عن أبيه، قال: يا بني، ما من أحدٍ صحب رسول الله ﷺ بصحبة إلا وقد صحبته مثلها أو أفضل، ولقد علمت يا بني أن أمك أسماء بنت أبي بكر كانت تحتي، ولقد علمت أن عائشة بنت أبي بكر خالتك، ولقد علمت أن أمي صفية بنت عبد المطلب، وأن أخوالي حمزة بن عبد المطلب وأبو طالب والعباس، وأن رسول الله ﷺ ابن خالي، ولقد علمت أن عمتي خديجة بنت خويلد وكانت تحته، وأن ابنتها فاطمة بنت رسول الله ﷺ، ولقد علمت أن أمَّه ﷺ آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة وأن أم صفية وحمزة هالة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة، ولقد صحبته بأحسن صحبة والحمد لله، ولقد سمعته ﷺ يقول: من قال عليَّ ما لم أقل فليتبوأ مقعده من النار[1].

الزبير رضي الله عنه أول من سلَّ سيفه في الإسلام:

ومن مناقب الزبير رضي الله عنه الجليلة ومزاياه الحسنة أنه أول مَن سلَّ سيفه في الإسلام دفاعاً عن رسول الله ﷺ، وقد ذكر ذلك جماعة من العلماء[2].

روى ابن أبي شيبة وعبد الرزاق والطبراني بسندهم من حديث هشام بن عروة عن أبيه أن أول رجلٍ سلَّ سيفه في سبيل الله الزبير، وذلك أنه نفخت نفخة من الشيطان: أخذ رسول الله ﷺ فخرج الزبير يشق الناس بسيفه ورسول الله بأعلى

(١) رواه الحاكم في المستدرك: كتاب المناقب، باب ذكر مناقب حواري رسول الله، ح(٥٥٥٧) وابن حبان في صحيحه: ذكر الزبير بن العوام، ح(٦٩٨٢) قال شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح.

(٢) راجع: تاريخ دمشق: ٣٥٠/١٨ – سير أعلام النبلاء: ٤١/١ – أسد الغابة: ١٩٧/٢– الإصابة:٤٥٩/٢– تهذيب الكمال:٣١٩/٩.

مكة، قال: فلقي النبي ﷺ فقال: مالك يا زبير؟ قال: أُخبرت أنك أُخذت قال: فصلى عليه ودعا له ولسيفه[١].

وروى البيهقي في سننه بسنده عن عروة قال: أسلم الزبير وهو ابن ثمان سنين، قال عروة: ونفخت نفخة من الشيطان أن رسول الله ﷺ أخذ بأعلى مكة فخرج الزبير وهو غلام ابن اثنتي عشرة سنة ومعه السيف، فمن رءاه ممن لا يعرفه قال: الغلام معه السيف، حتى أتى النبي ﷺ، فقال له رسول الله ﷺ: ما لك يا زبير؟ قال: أخبرت أنك أخذت، قال: فكنت صانعاً ماذا؟ قال: كنت أضرب به من أخذك، قال: فدعا له رسول الله ﷺ ولسيفه، وكان أول سيف سُلَّ في سبيل الله[٢].

نزول الملائكة على سيماء الزبير ﷺ:

ومن جملة مناقب الزبير بن العوام ﷺ أن الملائكة يوم بدر حين نزلت تأييداً للمسلمين نزلت بسيماء الزبير ﷺ، أي تلبس ملبساً مثل ملبسه، إكراماً من الله تعالى له.

روى ابن سعد في الطبقات بسنده عن موسى بن محمد بن إبراهيم عن أبيه قال: كان الزبير بن العوام يعلم بعصابة صفراء، وكان يحدث أن الملائكة نزلت يوم بدر على خيل بلق[٣] عليها عمائم صفر، فكان على الزبير يومئذ عصابة صفراء[٤].

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٢٢٦/٤) وعبد الرزاق في مصنفه (٢٨٩/٤ – ٢٩٠) والطبراني في الكبير (١١٩/١) وذكره الهيثمي في المجمع (١٥٠/٩) وقال: رجاله ثقات.

(٢) رواه البيهقي في سننه: باب إعطاء الفيء على الديوان، ح (١٢٨٦٣) ورواه الحاكم من طريق ابن لهيعة عن الأسود، باب ذكر مناقب حواري رسول الله، ح(٥٥٥١).

(٣) الخيل البلق: التي بها سواد وبياض. (الصحاح للجوهري: ١٤٥١/٤).

(٤) الطبقات الكبرى: ١٠٣/٣.

وعن عروة قال: كانت على الزبير ريطة [١] صفراء معتجراً بها يوم بدر، فقال النبي ﷺ: إن الملائكة نزلت على سيماء الزبير[٢].

وروى الحاكم في المستدرك بسنده عن عباد بن عبد الله بن الزبير قال: كانت على الزبير بن العوام يوم بدر عمامة صفراء معتجِّراً بها، فنزلت الملائكة عليهم عمائم صفر[٣].

مكانة الزبير ﷺ عند النبي ﷺ:

حظي الزبير ﷺ بمكانة عظيمة عند رسول الله ﷺ نتيجة لجهاده العظيم وتضحياته الباسلة وشجاعته الفائقة وإخلاصه في محبة دينه ورسوله ﷺ، وقد حرص النبي ﷺ على إكرامه بالأقوال والأفعال، وإنزاله منزلة كريمة تليق به وبما قدَّمه للإسلام وللمسلمين، وهذا أمر عرفه الصحابة وشاع بينهم، وأقروا أن النبي ﷺ يُحبُّ الزبير ويثني عليه، ومن شواهد تلك المنزلة وعلاماتها:

الزبير بن العوام ﷺ حواريُّ الرسول ﷺ:

لقد كافأ النبي ﷺ الزبير ﷺ يوم الأحزاب، يوم أن عرَّض حياته للخطر، وقدَّم نفسه فداء لدينه، وقرر أن يذهب في هذا الوقت العصيب ليأتي بخبر المشركين، حينها أعلن النبي ﷺ صراحة دون لبسٍ أو خفاءٍ أن الزبير حواريه.

روى البخاري: بسنده عن جابر ﷺ قال: قال النبي ﷺ: مَن يأتيني بخبر القوم يوم الأحزاب؟ قال الزبير: أنا، ثم قال: مَن يأتيني بخبر القوم؟ قال الزبير: أنا، فقال النبي ﷺ: إن لكل نبي حوارياً، وحواري الزبير[٤].

---

(١) الريطة: تطلق على كل ثوب لين رقيق، أو هي الملاءة إذا كانت من قطعة واحدة. (انظر: تاج العروس للزبيدي، ٢٦٧/١٠).

(٢) الطبقات الكبرى: ١٠٣/٣، ورواه الطبراني في الكبير (١٢٠/١) وذكره الهيثمي في المجمع (٨٤/٦) وقال: رواه الطبراني وهو مرسل صحيح الإسناد، وقال الصالحي الشامي في سبل الهدى والرشاد (٤٣/٤): بسندٍ صحيح.

(٣) المستدرك: كتاب المناقب، باب ذكر مناقب حواري رسول الله، ح(٥٥٥٤).

(٤) البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب فضل الطليعة، ح(٢٨٤٦) وفي باب السير وحده، ح(٢٩٩٧) ومسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل طلحة والزبير، ح(٢٤١٥).

وهذه منقبة جليلة للزبير ﷺ حيث أقرَّ النبي ﷺ بأن الزبير من خلصاء أصحابه وأصفيائه الذين اتبعوه وناصروه .

النبي ﷺ يجمع للزبير ﷺ بين أبويه:

كان الزبير من الصحابة المعدودين الذين جمع لهم النبي ﷺ بين أبويه.

روى البخاري بسنده عن هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن الزبير قال: كنت يوم الأحزاب جعلت أنا وعمر بن أبي سلمة في النساء، فنظرت فإذا أنا بالزبير على فرسه يختلف إلى بني قريظة مرتين أو ثلاثاً، فلما رجعت قلت: يا أبت رأيتك تختلف؟ قال: أو هل رأيتني يا بني؟ قلت: نعم، قال: كان رسول الله ﷺ قال: (من يأت بني قريظة فيأتيني بخبرهم) . فانطلقت فلما رجعت جمع لي رسول الله ﷺ أبويه فقال: «فداك أبي وأمي»[1].

حبُّ النبي ﷺ للزبير ﷺ:

أحب النبي ﷺ الزبير بن العوام ﷺ، وشهد الصحابة للزبير بهذا الحب.

ومن شواهد مكانة الزبير ﷺ عند رسول الله ﷺ، وحب النبي ﷺ له.

روى البخاري ومسلم بسندهما عن عروة عن عبد الَله بن الزبير ﷺ أنه حدثه أنَّ رجل من الأنْصار خاصم الزبير عند النبي ﷺ في شراج الحرَّة التي يسقون بها النخل، فقال الأنْصاري: سرِّح الماء يمر فأبى عليه، فاختصما عند النَّبي ﷺ فقال رسول الله ﷺ للزبير: اسق يا زبير، ثم أرسل الماء إلى جارك، فغضب الأنصاري فقال: أن كان ابن عمتك فتلون وجه رسول الله ﷺ ثم قال: اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجدر، فقال الزبير: والله إني لأحسب هذه الآية نزلت في ذلك ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾[2][3].

---

(١) رواه البخاري: كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب الزبير بن العوام ﷺ، ح(٣٥١٥).

(٢) سورة النساء الآية «٦٥».

(٣) رواه البخاري: كتاب المساقاة، باب سكر الأنهار، ح(٢٢٣١) ومسلم: كتاب الفضائل، باب وجوب اتِّباعه ﷺ، ح(٦٢٥٨).

وفي الطبقات: أن رسول الله ﷺ لما خطَّ الدور بالمدينة جعل للزبير بقيعاً واسعاً ... وعن أسماء ابنة أبي بكر أن النبي ﷺ أقطع الزبير نخلاً ... وعن عروة عن أبيه أن النبي ﷺ أقطع الزبير أرضاً فيها نخل كانت من أموال بني النضير، وأن أبا بكر أقطع الزبير الجرف، قال أنس بن عياض في حديثه: أرضاً مواتاً، وقال عبد الله بن نمير في حديثه: وأن عمر أقطع الزبير العقيق أجمع[1].

وروى البخاري بسنده عن هشام بن عروة عن أبيه قال: أخبرني مروان بن الحكم قال: أصاب عثمان بن عفان رعاف شديد سنة الرعاف حتى حبسه عن الحج وأوصى، فدخل عليه رجل من قريش قال: استخلف، قال: وقالوه؟ قال: نعم، قال: ومَن؟ فسكت، فدخل عليه رجل آخر – أحسبه الحارث – فقال: استخلف فقال عثمان: وقالوا؟ فقال: نعم، قال: ومَن هو؟ فسكت، قال: فلعلهم قالوا الزبير، قال: نعم، قال: أما والذي نفسي بيده إنه لخيرهم ما علمت، وإن كان لأحبهم إلى رسول الله ﷺ[2].

كل هذه أمثلة تبين مكانة الزبير عند رسول الله ﷺ إلا أن الشاهد الأكبر على إخلاص الزبير ﷺ وحب النبي ﷺ له وتقديره لصنائعه أن النبي ﷺ بشره بالجنة بوحي من ربه جل وعلا.

فقد أعلن النبي ﷺ صراحة أن الزبير في الجنة، حيث قال فيما رواه أحمد بسنده: أبو بكر في الجنة وعمر في الجنة وعلي في الجنة وعثمان في الجنة وطلحة في الجنة والزبير في الجنة وعبد الرحمن بن عوف في الجنة وسعد بن أبي وقاص في الجنة وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل في الجنة وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة[3].

---

(١) الطبقات الكبرى: ١٠٣/٣، ١٠٤.

(٢) رواه البخاري: كتاب المناقب، باب مناقب الزبير بن العوام ﷺ، ح(٣٥١٢).

(٣) رواه أحمد في المسند: حديث عبد الرحمن بن عوف، ح (١٦٧٥). وعلق شعيب الأرنؤوط: إسناده قوي على شرط مسلم.

وفي سير أعلام النبلاء: قال الشعبي: أدركت خمس مئة أو أكثر من الصحابة يقولون: علي، وعثمان، وطلحة، والزبير في الجنة[1].

وهذا لأنهم من السابقين الأولين إلى الإسلام الذين أخبر الله تعالى أنه رضي عنهم ورضوا عنه، ومن البدريين، ومن أهل بيعة الرضوان، ولأنهم ممن رُزق الشهادة، ولذا فنحن نحبهم ونبغض من قتلهم.

ملابسات وقعة الجمل ومقتل الزبير ﷺ:

لا شك أن وقعة الجمل كانت من الحوادث التي اتخذها أعداء الدين ومن اغترَّ بقولهم وسار على دربهم من قليلي العلم من المسلمين للطعن في الزبير وإخوانه، لكن إذا انجلى الغبار تبين براءة علي والزبير وعائشة ﷺ لا محالة.

فإنه لما قتل الغوغاء عثمان ﷺ دون مشورة الصحابة ﷺ ولا رضاهم، تداعوا لبيعة علي ﷺ علماً منهم أنه أفضل الموجودين من الصحابة فضلاً عن غيرهم، ودخل الغوغاء جيش عليّ تحميهم قبائلهم، والأمر ملتبس، فخافوا أن يتفق الصحابة وتجتمع الأمة، ويتَّحد الجميع عليهم، وبالتالي يقتص منهم لقتل عثمان، فكان لابد من أن تبقى الأمور في اضطراب ليبقوا هم في أمان؛ ولذا لما خرجت أم المؤمنين عائشة وطلحة والزبير ﷺ للبصرة لإصلاح ذات البين، واجتمعوا مع علي ﷺ ثار الغوغاء لإثارة القتال بين الفئتين، وترامى الصفان دون علمٍ من الصحابة، فحصلت واقعة الجمل، لا عن رغبة من علي ﷺ وإخوانه ولا دراية، فاستشهد طلحة ﷺ ولم يقاتل، ثم غدر بالزبير ﷺ وهو مغادر ساحة المعركة مستاءً مما حدث دون أن يقاتل، وقام علي ﷺ بتجهيز أم المؤمنين للعودة إلى المدينة.

---

(١) سير أعلام النبلاء: ٦٢/١.

روى البيهقي بسنده عن أبي جرو المازني، قال: شهدت علياً والزبير حين تواقفا، فقال علي: يا زبير، أنشدك الله، أسمعت رسول الله ﷺ يقول: إنك تقاتلني وأنت لي ظالم؟ قال: نعم، ولم أذكره إلا في موقفي هذا، ثم انصرف[1].

وروى أبو نعيم في الحلية عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: انصرف الزبير يوم الجمل عن علي، فلقيه ابنه عبد الله، فقال: جبنا، جبنا! قال: قد علم الناس أني لست بجبان، ولكن ذكرني علي شيئا سمعته من رسول الله، ﷺ، فحلفت أن لا أقاتله، ثم قال:

تُرك الأمور التي أخشى عواقبها ❖ في الله أحسن في الدنيا وفي الدين.

وقيل: إنه أنشد:

ولقد علمت لو أن علمي نافعي ❖ أن الحياة من الممات قريب

فلم ينشب أن قتله ابن جرموز[2].

وروى ابن سعد في طبقاته بسنده عن هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن الزبير قال: لما وقف الزبير يوم الجمل دعاني، فقمت إلى جنبه فقال: يا بني، إنه لا يقتل اليوم إلا ظالم أو مظلوم، وإني لا أراني إلا سأُقتل اليوم مظلوماً، وإن من أكبر همِّي لدَيْني، أفترى دَيننا يبقي من مالنا شيئاً؟ ثم قال: يا بني، بع مالنا واقض ديني وأوص بالثلث، فإن فضل من مالنا من بعد قضاء الدين شئ فثلّثه لولدك[3].

---

(١) رواه أبو يعلي في مسنده (٢٩/٢) ح(٦٦٦) والحاكم في مستدركه، ح(٥٥٧٦) ومن طريقه البيهقي في الدلائل (٢٧١٩) وقال محقق مسند أبي يعلي: إسناده ضعيف جداً، لكن الحديث رواه الحاكم عن أبي حرب (٥٥٧٤) وصحَّحه، ووافقه الذهبي.

(٢) رواه أبو نعيم في الحلية: ٩١/١. وانظر: سير أعلام النبلاء: ٦٠/١. والبيت الأخير: رواه الحاكم في المستدرك: ح(٥٥٦٨).

(٣) الطبقات الكبرى: ١٠٨/٣، وروى نحوه الحاكم في المستدرك، ح(٥٥٦٦).

وروى ابن سعد في قصة مقتله قال: خرج الزبير بن العوام يوم الجمل، وهو يوم الخميس لعشر ليال خلون من جمادي الآخرة سنة ست وثلاثين بعد القتال على فرس له يقال له: ذو الخمار، منطلقاً يريد الرجوع إلى المدينة، فلقيه رجل من بني تميم يقال له: النعر بن زمام المجاشعي بسفوان، فقال له: يا حواري رسول الله إليَّ إليَّ، فأنت في ذمتي لا يصل إليك أحد من الناس، فأقبل معه، وأقبل رجل من بني تميم آخر إلى الأحنف بن قيس، فقال له فيما بينه وبينه: هذا الزبير في وادي السباع، فرفع الأحنف صوته وقال: ما أصنع وما تأمروني إن كان الزبير لف بين غارين من المسلمين قتل أحدهما الآخر، ثم هو يريد اللحاق بأهله، فسمعه عمير ابن جرموز التميمي وفضالة بن حابس التميمي ونفيع، أو نفيل بن حابس التميمي، فركبوا أفراسهم في طلبه، فلحقوه فحمل عليه عمير بن جرموز فطعنه طعنة خفيفة، فحمل عليه الزبير، فلما ظنَّ أن الزبير قاتله دعا يا فضالة يا نفيع، ثم قال: الله الله يا زبير، فكفَّ عنه، ثم سار فحمل عليه القوم جميعاً فقتلوه رحمه الله، فطعنه عمير بن جرموز طعنة أثبتته، فوقع، فاعتوروه وأخذوا سيفه، وأخذ بن جرموز رأسه فحمله حتى أتى به وبسيفه علياً، فأخذه علي وقال: سيف والله طالما جلا به عن وجه رسول الله ﷺ الكرب، ولكن الحين ومصارع السوء، ودُفِن الزبير رحمه الله بوادي السباع، وجلس علي يبكي عليه هو وأصحابه[1].

ومما يجدر ذكره هنا أن الزبير كان معرَّضاً طوال حياته لهذا، وطالما حمل روحه على كفيه ابتغاء وجه ربه منتظراً أن تأتيه المنية من أي مكانٍ ومن أي أحدٍ.

وهكذا فاضت روح الزبير إلى باريها بعد حياة حافلة بالإنجازات والعطاءات التي قدمها الزبير لدينه ولأمته ولم يبتغ بها غير وجه الله تعالى.

---

(١) الطبقات الكبرى: ١١١/٣، ١١٢. الإصابة: ٤٦١/٢.

روى أحمد في مسنده بسنده عن زر بن حبيش قال: استأذن ابن جرموز على علي ﷺ فقال: من هذا؟ قالوا: ابن جرموز يستأذن، قال: ائذنوا له ليدخل قاتل الزبير النار، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن لكل نبي حواري، وحواري الزبير[١].

وكان قتله يوم الجمل في جمادى الأولى سنة ست وثلاثين، وقبره بوادي السباع ناحية البصرة[٢].

وفي تاريخ دمشق: وكانت وقعة الجمل يوم الخميس لعشر خلون من جماد الآخرة، يعني سنة ست وثلاثين، وقتل أبو عبد الله الزبير بن العوام بن خويلد بوادي السباع على سبعة فراسخ من البصرة، قتله ابن جرموز[٣].

وكان الزبير ﷺ قبيل وفاته يشعر بأنه سيُقتل فأوصى ولده بسداد دينه.

وروى البخاري أن الزبير حين قُتل لم يدع ديناراً ولا درهماً، إلا أرضين بالغابة، وداراً بالمدينة، وداراً بالبصرة وداراً بالكوفة، وداراً بمصر، وقد تولّى أبناؤه سداد دينه، فباعوا هذه الدور وهذه الأرض وسددوا ديونه كلها، فلما فرغ ابن الزبير من قضاء دينه، قال بنو الزبير: أقسم بيننا ميراثنا، قال: لا والله! حتى أنادي بالموسم أربع سنين: ألا من كان له على الزبير دين فليأتنا فلنقضه، فجعل كل سنة ينادي بالموسم، فلما مضت أربع سنين قسم بينهم، فكان للزبير أربع نسوة، قال: فرفع الثلث، فأصاب كل امرأة ألف ألف ومئة ألف، فجميع ماله خمسون ألف ألف ومائتا ألف[٤].

---

(١) مسند أحمد: مسند علي بن أبي طالب، ح(٦٨٠) وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن. وروى الحاكم نحواً منه في مستدركه، وصححه ح(٥٥٧٩) ووافقه الذهبي في تصحيحه.

(٢) تهذيب الكمال: ٣٢٩/٩.

(٣) تاريخ دمشق: ٤٣٦/١٨.

(٤) رواه البخاري: كتاب الخمس، باب بركة الغازي في ماله، ح(٢٩٦١).

وذكر الذهبي في السير نفس الرواية وفيها زيادة في آخرها هي: «وبلغ حصة عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل زوجة الزبير من ميراثه ثمانين ألف درهم»(١).

لطيفة:

كانت عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل تحت الزبير بن العوام، وكان أهل المدينة يقولون: من أراد الشهادة فليتزوج عاتكة بنت زيد، كانت عند عبد الله ابن أبي بكر فقُتل عنها، ثم كانت عند عمر بن الخطاب فقُتل عنها، ثم كانت عند الزبير فقُتل عنها(٢).

ولما بلغ عاتكة مقتل الزبير ﷺ قالت ترثيه:

غدر ابن جرموز بفارس بهمة ❖ يوم اللقاء وكان غير معرد
يا عمرو لو نبهته لوجدته ❖ لا طائشاً رعش البنان ولا اليد
ثكلتك أمك إن ظفرت بمثله ❖ فيما مضى مما تروح وتغتدي
كم غمرة قد خاضها لم يثنه ❖ عنها طرادك يا ابن فقع الفدفد
والله ربك إن قتلت لمسلما ❖ حلَّت عليك عقوبة المتعمد(٣)

ابن جرموز وأولاد الزبير:

روى ابن عساكر بسنده أن ابن جرموز جاء إلى مصعب بن الزبير فقال: أقدني بالزبير قال: فكتب إلى عبد الله بن الزبير في ذلك، فكتب إليه: أنا أقتل ابن جرموز بالزبير خلِّ عنه ولا بشسع نعله.

وعن عبد الله بن مصعب عن فروة بن خالد، كتب مصعب إلى عبد الله بن الزبير: إني قد أخذت قاتل الزبير بن العوام، فكتب إليه عبد الله: لا تخفف عنه دعه يلق الله بدم الزبير، فتركه فأسف فخرج إلى الصياقلة فنظر إلى سيف فأعجبه فاشتراه، ثم حكم في عرض الناس فقتل.

---

(١) سير أعلام النبلاء: الذهبي، ١/٦٦، ٦٧.

(٢) الطبقات الكبرى: ٣/١١٢. وانظر: أسد الغابة: ٢/١٩٩.

(٣) الطبقات الكبرى: ٣/١١٢، سير أعلام النبلاء: الذهبي، ١/٦٧.

وفي رواية: أنه لما تركه مصعب، كره ابن جرموز الحياة لما كان يهول عليه ويرى في منامه، وأمر رجلاً أن يقذفه من على قصر من القصور[1].

وهكذا لقي الزبير ﷺ ربه راضياً مرضياً، فهنيئاً له بشارة النبي ﷺ بالجنة، وهنيئاً لأمةٍ كان فيها الزبير وأمثاله، إن أمة فيها أمثال هؤلاء الرجال لأمة قادرة على صنع عظيم الفعال، ومكانها اللائق بها أن تكون على رأس قافلة المجتمع البشري، لا في مؤخرته حيث المستضعفين، وأذناب الرجال.

---

(١) تاريخ دمشق: ٤٣٧/١٨، ٤٣٨.

ثامن العشرة

عبد الرحمن بن عوف ﷺ

التاجر الأمين .. والسخي الكريم

التاجر الأمين مكانه في جنة النعيم مع النبيين والصِّدِّيقين والشهداء والصالحين، فكيف به إذا جمع مع أمانة التجارة الإخلاص في الدين والتضحية والإنفاق في سبيله؟.

موعدنا الآن مع تاجر أمين، مع رجلٍ رزق نعمة الثراء فاستعملها في خدمة دينه وأمته إنه عبد الرحمن بن عوف ﷺ.

اسمه ونسبه ﷺ:

هو: عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة بن كلاب، وكان اسمه في الجاهلية عبد عمرو فسمَّاه رسول الله ﷺ حين أسلم عبد الرحمن[١].

وروي عنه أنه قال: كان اسمي عبد عمرو، فلما أسلمت سماني رسول الله ﷺ عبد الرحمن[٢].

وروي أن اسمه في الجاهلية كان عبد الكعبة فسماه رسول الله ﷺ عبد الرحمن[٣].

واسم أمه صفية بنت عبد مناف بن زهرة بن كلاب، ويقال: أمه الشفاء بنت عوف بن عبد الحارث بن زهرة[٤].

---

(١) راجع: الطبقات الكبرى، ٣/١٢٤- طبقات خليفة: ص٤٥.

(٢) رواه الحاكم في المستدرك، ح(٧٧٣١) وصحَّحه ووافقه الذهبي .

(٣) رواه الطبراني في الكبير: ح(٢٥٣) والحاكم في المستدرك: ح(٥٣٣٥) وصححه الذهبي.
وانظر: الطبقات الكبرى، ٣/١٢٤ - سير أعلام النبلاء:١/٦٩ - أسد الغابة: ٣/٣١٣.

(٤) راجع: طبقات خليفة: ص٤٥، أسد الغابة: ٣/٣١٣.

وواضح هنا أن عبد الرحمن بن عوف يلتقي نسبه مع نسب النبي ﷺ من جهة أبيه وأمه، وذلك في جدِّه زهرة.

مولده رضي الله عنه:

روى ابن سعد في الطبقات أنه ولد بعد عام الفيل بعشر سنين[١].

كنيته رضي الله عنه:

عُرف عبد الرحمن بن عوف بكنية أبي محمد[٢].

صفته رضي الله عنه:

روي عن سهلة بنت عاصم قالت: كان عبد الرحمن بن عوف أبيض، أعين، أهدب الأشفار[٣]، أقنى[٤]، طويل النابين الأعليين، ربما أدمى نابه شفته، له جمة أسفل من أذنيه[٥]، أعنق[٦] ضخم الكتفين. وروى زياد البكائي عن ابن إسحاق قال: كان ساقط الثنيتين، أهتم، أعسر، أعرج. كان أصيب يوم أحد فهتم، وجرح عشرين جراحة، بعضها في رجله، فعرج.

وعن يعقوب بن عتبة قال: كان عبد الرحمن رجلاً طوالاً، حسن الوجه، رقيق البشرة، فيه جنأ[٧]، أبيض، مشرباً حمرة، لا يغيِّر شيبه[٨].

---

(١) الطبقات الكبرى: ١٢٤/٣– الإصابة: ٢٩٠/٤.

(٢) سير أعلام النبلاء:٦٨/١ – الطبقات الكبرى، ١٢٤/٣.

(٣) أهدب الأشفار: كثير شعر جفون العينين. (انظر: القاموس المحيط، ١٨٣/١).

(٤) القنا: صفة في الأنف، وهي طُوله ورِقَّة أرْنَبَتِه مع حَدَبٍ في وسطه. (انظر: النهاية في غريب الحديث: ١٩٢/٤).

(٥) الجُمَّة: الشعر.(انظر: المحيط في اللغة، إسماعيل بن عباس الطالقاني، ٤١٩/٦.

(٦) أعنق: أي طويل العنق. (انظر: معجم مقاييس اللغة ١٢٨/٤).

(٧) الجنأ: مَيْلٌ في الظَّهر. وقيل في العُنُق. (انظر: النهاية ٨١٨/١).

(٨) سير أعلام النبلاء: ٧٤/١، ٧٥.

إطلالة على بيته (زوجاته وأولاده)ﷺ:

تزوج عبد الرحمن ﷺ من نساء كثر، وأنجب منهن، وبلغ عدد أولاد عبد الرحمن بن عوف ﷺ قرابة ثمانية وعشرين ولداً؛ منهم عشرين ذكراً وثمان إناث، وفيما يلي عرض موجز لأسمائهم وأمهاتهم:

كان لعبد الرحمن بن عوف من الولد: سالم الأكبر مات قبل الإسلام وأمه أم كلثوم بنت عتبة بن ربيعة، وأم القاسم وُلدت أيضا في الجاهلية وأمها بنت شيبة بن ربيعة بن عبد شمس، ومحمد وبه كان يُكنى، وإبراهيم وحميد وإسماعيل وحميدة وأمة الرحمن وأمهم أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط .. ومعن وعمر وزيد وأمة الرحمن الصغرى وأمهم سهلة بنت عاصم بن عدي .. وعروة الأكبر قتل يوم أفريقية وأمه بحرية بنت هانئ بن قبيصة .. وسالم الأصغر قتل يوم فتح أفريقية وأمه سهلة بنت سهيل بن عمرو بن عبد شمس .. وأبو بكر وأمه أم حكيم بنت قارض بن خالد بن عبيد .. وعبد الله بن عبد الرحمن قتل بأفريقية يوم فتحت وأمه ابنة أبي الحيس بن رافع بن امرئ القيس .. وأبو سلمة وهو عبد الله الأصغر وأمه تماضر بنت الإصبع بن عمرو بن ثعلبة بن حصن بن ضمضم .. وهي أول كلبية نكحها قرشي، وعبد الرحمن بن عبد الرحمن وأمه أسماء بنت سلامة بن مخربة .. ومصعب وآمنة ومريم وأمهم أم حريث من سبي بهراء، وسهيل وهو أبو الأبيض وأمه مجد بنت يزيد بن سلامة ذي فائش الحميرية، وعثمان وأمه غزال بنت كسرى أم ولد من سبى سعد بن أبي وقاص يوم المدائن، وعروة درج، ويحيى وبلال لأمهات أولاد درجوا، وأم يحيى بنت عبد الرحمن وأمها زينب بنت الصباح بن ثعلبة .. من سبي بهراء أيضاً، وجويرية بنت عبد الرحمن وأمها بادية بنت غيلان بن سلمة بن متعب الثقفي[1].

---

(١) الطبقات الكبرى: ٣/١٢٧- ١٢٨.

إسلامه وهجرته ﷺ:

عرف عبد الرحمن ﷺ الإسلام مبكراً فأسلم قبل أن يدخل رسول الله ﷺ دار الأرقم بن أبي الأرقم، وقبل أن يدعو فيها، وكان أحد الخمسة الذين أسلموا على يد أبي بكر الصِّدِّيق ﷺ وبدعوة منه، وهو أحد الثمانية الذين بادروا إلى الإسلام[١].

وبعد إسلام عبد الرحمن ﷺ نال حظَّه ونصيبه من اضطهاد المشركين وأذاهم، وهاجر مع من هاجر إلى الحبشة مرتين: الهجرة الأولى والثانية، ثم هاجر بعد ذلك إلى المدينة المنورة تاركاً خلفه في مكة أموالاً كثيرة وضياعاً عديدة ابتغاء مرضاة ربه ونصرة دينه[٢].

وروى البخاري بسنده عن أنس ﷺ قال: قدم عبد الرحمن بن عوف المدينة فآخى النبي ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع الأنصاري، فعرض عليه - أي سعداً - أن يناصفه أهله وماله، فقال عبد الرحمن: بارك الله لك في أهلك ومالك دلَّني على السوق، فربح شيئاً من أقط وسمن، فرآه النبي ﷺ بعد أيامٍ وعليه وَضَر من صفرة[٣]، فقال النبي ﷺ: مهيم يا عبد الرحمن قال: يا رسول الله تزوجت امرأة من الأنصار، قال: فما سقت فيها؟ فقال: وزن نواةٍ من ذهب، فقال النبي ﷺ: أولم ولو بشاة[٤].

ونلمح من خلال ما سبق مقدار العناء الذي أصاب عبد الرحمن ﷺ، والصبر الذي واجه به محنه وكروبه، فالرجل بمجرد إسلامه نال حظَّه الوافر من الأذى والعنت، ويضاف إليه أنه ترك ماله وضياعه وهاجر إلى الحبشة، ثم عاد مع مَن عاد، ثم هاجر إليها ثانية، ثم هاجر مرة ثالثة إلى المدينة التي دخلها صفر اليدين

---

(١) انظر: الطبقات الكبرى: ١٢٤/٣ - تايخ دمشق: ٢٣٥/٣٥ - سير أعلام النبلاء: ٦٨/١.

(٢) انظر: الطبقات الكبرى: ١٢٥/٣ - أسد الغابة: ٣١٤/٣.

(٣) الوَضَر: التلطخ بخلوق أو طيب له لون. (عمدة القاري للعيني: ١٦٤/١١).

(٤) رواه البخاري: كتاب فضائل الصحابة، باب كيف آخى الرسول بين أصحابه، ح(٣٧٢٢)، ومسلم: كتاب النكاح، باب الصداق وجواز كونه تعليم قرآن.....، ح(١٤٢٧).

من المال والمتاع، كلها معاناة في سبيل الله، فما لبث أن أكرمه الله بالمال الوفير الذي ما ضنَّ به عبد الرحمن رضي الله عنه بل جعله في سبيل الله.

خوفه رضي الله عنه من ربه جلا وعلا:

كان عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه شديد الخوف من ربه جلا وعلا دائم المراقبة له في كل شؤون حياته، ومتطلعاً دائماً إلى رحمته وعفوه.

روى البخاري بسنده عن إبراهيم بن سعد عن سعد عن أبيه قال: أُتي عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه يوماً بطعامه فقال: قُتل مصعب بن عمير وكان خيراً مني فلم يوجد له ما يُكفَّن فيه إلا بردة، وقُتل حمزة، أو رجل آخر، خير مني فلم يوجد له ما يُكفَّن فيه إلا بردة، لقد خشيت أن يكون عُجِّلت لنا طيباتنا في حياتنا الدنيا، ثم جعل يبكي[1].

شذى العرف من فضائل ابن عوف رضي الله عنه:

عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أحد السابقين إلى الإسلام، فهو من الثمانية الذين سبقوا إلى الإسلام، وأحد الخمسة الذين أسلموا على يد الصِّدِّيق رضي الله عنه، وهاجر إلى الحبشة الهجرتين وإلى المدينة، وشهد بدراً والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد الستة أصحاب الشورى الذين أخبر عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه توفي وهو عنهم راض، وأحد أثرياء المسلمين الذين جنَّدوا أموالهم كلها في سبيل الله.

ولو حاولنا أن نبحث عن مفتاح شخصيته فسيبرز أمامنا شيء في غاية الأهمية ألا وهو: أن عبد الرحمن رضي الله عنه كان أحد الكيانات الاقتصادية الكبيرة في الإسلام، والذي ساعد بماله كثيراً لدرجة أنه يمكننا القول: إن مال عبد الرحمن رضي الله عنه كان للإسلام، وبعبارة أخرى: أن نصيب الإسلام من مال عبد الرحمن كان أكثر بكثير من نصيب عبد الرحمن نفسه منه.

---

(١) رواه البخاري: كتاب الجنائز، باب الكفن من جميع المال، ح (١٢١٥).

فإذا كان الإسلام قام في بدايته على أكتاف النبي ﷺ وأصحابه ﷺ، فقد اختلفت اتجاهات الصحابة ﷺ في خدمة دينهم كل يدلي بدلوه بحسب ما أُعطِي من قدرات وإمكانات، فكان منهم القائد البارع الذي خدم دينه فيما برز فيه حيث الشجاعة والبراعة في القيادة والتخطيط، وكان منهم الجندي الشجاع الذي لا يقل براعة عن قائده، وكان منهم الاقتصادي الكبير الذي وظَّف ماله في سبيل دينه مثل عبد الرحمن بن عوف ﷺ.

فالرجل بجانب جهاده مع الرسول ﷺ والصحابة، وابتلائه وتضحياته، إلا أنه كان بارعاً في الناحية الاقتصادية، والتي تعتبر إحدى أهمِّ مفاتيح شخصيته ﷺ، وهي ناحية لها أهميتها؛ فبها إعداد الجيوش، وإطعام الفقراء والمساكين، وسدّ حاجة المحتاجين والمعوزين، وهذا أمر أقرَّ به عبد الرحمن نفسه حيث يقول فيما رواه أحمد بسنده: لقد رأيتني ولو رفعت حجراً رجوت أن أصيب تحته ذهباً أو فضة[1].

وفيما يلي عرض صور من مناقب وفضائل الصحابي الجليل عبد الرحمن ابن عوف ﷺ لنرى أن الجنة التي بشره بها النبي ﷺ كانت نتيجة إخلاصٍ دائم، وجهادٍ مستمرٍ بالنفس والمال.

الجنة أغلى مطلوب:

ذكرنا فيما سبق، ولا مانع أن نعيد ما ذكر معنىً وليس نصاً، إن من أجلِّ المناقب وأعظمها والتي يمكن أن يحوزها الشخص هي البشرى بالجنة؛ لأن الجنة أغلى ما يرجو ويتمنى المسلم، كما أن التبشير بها إنما هو علامة على إخلاص العبد لربه ورضا المولى عنه، ومحبته له.

---

(١) رواه أحمد في مسنده: ح(١٣٨٩٠) وقال شعيب: إسناده صحيح على شرط مسلم.

وروى أحمد والترمذي عن عبد الرحمن بن عوف أنه قال: قال رسول الله ﷺ: أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وسعد في الجنة، وسعيد في الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة[1].

وروى الترمذي بسنده عن سعيد بن زيد: أن رسول الله ﷺ قال: عشرة في الجنة، أبو بكر في الجنة وعمر في الجنة وعثمان وعلي والزبير وطلحة وعبد الرحمن وأبو عبيدة وسعد بن أبي وقاص، قال: فعدَّ هؤلاء التسعة وسكت عن العاشر، فقال القوم: ننشدك الله يا أبا الأعور مَن العاشر؟ قال: نشدتموني بالله، أبو الأعور في الجنة، قال أبو عيسى: أبو الأعور هو سعيد بن زيد بن عمرو ابن نوفل[2].

كما صحّ عن رسول الله ﷺ أنه أثنى على من يتعهد أزواجه من بعده ويحنو عليهن، وهذا ما فعله عبد الرحمن بن عوف ﵁ حين أوصى لزوجات النبي ﷺ بحديقةٍ بيعت بمالٍ كثير.

فقد روى أحمد والطبراني والحاكم بسندهما عن أم سلمة قالت: قال رسول الله ﷺ، يعني لأزواجه: الذي يحنو عليكن بعدي لهو الصادق البار، اللهم اسق ابن عوف من السلسبيل[3].

---

(١) رواه أحمد في مسنده: ح(١٦٧٥) وقال شعيب: إسناده قوي على شرط مسلم- والترمذي: كتاب المناقب، باب مناقب عبد الرحمن بن عوف،ح(٣٧٤٧). وقال الألباني: صحيح. والنسائي في الكبرى: ح(٨١٩٤) وابن حبان: كتاب إخباره عن مناقب الصحابة، ح(٧٠٠٢).

(٢) رواه الترمذي: كتاب المناقب، باب مناقب عبد الرحمن بن عوف، ح(٣٧٤٨) قال الشيخ الألباني: صحيح.

(٣) رواه أحمد في المسند: من حيث أم سلمة، ح(٢٦٦٠١) والطبراني في المعجم الكبير: ح(١٩٥٨٨) والحاكم في المستدرك: ح(٥٣٥٧) وقال الهيثمي في المجمع: رواه أحمد والطبراني ورجاله ثقات. وحسنة الشيخ شعيب في تعليقه على السند.

وروى ابن ماجهْ بسنده عن سعيد بن زيد قال: أشهد على رسول الله ﷺ أني سمعته يقول: اثبت حراء فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد. وعدَّهم رسول الله ﷺ: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وابن عوف وسعيد بن زيد[1].

صلاة النبي ﷺ خلفه في غزوة تبوك:

إنَّ من مناقب الصحابي الجليل عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أن النبي ﷺ صلَّى خلفه في غزوة تبوك، وهي شهادة ضمنية من النبي ﷺ له بالصلاح؛ لأن النبي ﷺ لن يأتمَّ بفاسق، ولا يكون له ذلك.

روى مسلم بسنده عن المغيرة بن شعبة أنه غزا مع رسول الله ﷺ تبوك - قال المغيرة - فتبرَّز رسول الله ﷺ قِبل الغائط فحملت معه إداوةً قبل صلاة الفجر، فلمَّا رجع رسول الله ﷺ إليَّ أخذت أُهريق على يديه من الإداوة، وغسل يديه ثلاث مرَّات، ثم غسل وجهه، ثم ذهب يخرج جُبَّتَه عن ذراعيه، فضاق كُمَّا جُبَّته، فأدخل يديه فى الجُبَّة حتى أخرج ذراعيه من أسفل الجبَّة، وغسل ذراعيه إلى المرفقين، ثم توضأ على خُفَّيه، ثم أقبل - قالَ المغيرة - فأقبلت معه حتى نَجِدُ الناس قد قدَّموا عبد الرحمن بن عوفٍ فصلَّى لهم، فأدرك رسول الله ﷺ إحدى الرَّكعتين فصلَّى مع الناس الرَّكعة الآخرة، فلمَّا سلَّم عبد الرحمن بن عوفٍ قام رسول الله ﷺ يتم صلاته، فأفزع ذلك المسلمين، فأكثروا التسبيح، فلما قضى النبى ﷺ صلاته أقبل عليهم ثم قال: «أحسنتم». أو قال: «قد أصبتم». يغبطهم أن صلوا الصلاة لوقتها[2].

وروى أبو يعلي في مسنده بسنده عن عبد الرحمن بن عوف أن رسول الله ﷺ لما انتهى إلى عبد الرحمن بن عوف وهو يصلى بالناس أراد عبد الرحمن أن

---

(١) رواه ابن ماجه في سننه: باب فضائل العشرة، ح(١٣٤) وقال الشيخ الألباني: صحيح.

(٢) رواه مسلم: كتاب الصلاة، باب تقديم الجماعة مَن يصلّى بهم إذا تأخر الإمام، ح(٩٧٩).

يتأخر، فأومأ إليه النبي ﷺ أن مكانك، فصلَّى وصلَّى رسول الله ﷺ بصلاة عبد الرحمن(١).

إنفاقه ﷺ في سبيل الله:

كان عبد الرحمن بن عوف ﷺ رجلاً جواداً سخياً لا يعرف الشح ولا البخل إلى قلبه طريقاً، فكان ﷺ ينفق إنفاق من لا يخشى الفقر، ويعطي عطاء من لا يبتغي إلا وجه الله.

ومن صور إنفاقه: أنه أعتق في يوم واحد ثلاثين عبدا(٢).

وروى معمر عن الزهري قال: تصدَّق عبد الرحمن بن عوف على عهد رسول الله ﷺ بشطر ماله أربعة آلاف، ثم تصدَّق بأربعين ألفاً، ثم تصدَّق بأربعين ألف دينار، ثم حمل على خمسمائة فرس في سبيل الله، ثم حمل على خمسمائة راحلة في سبيل الله، وكان عامة ماله من التجارة(٣).

وروى ابن عساكر بسنده عن أبي سلمة عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: خياركم خياركم لنسائي قال: فأوصى عبد الرحمن لهن بحديقة قُوِّمت، أو بيعت بأربعمائة ألف(٤).

وروى الترمذي عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة: أن عبد الرحمن بن عوف أوصى بحديقةٍ لأمهات المؤمنين بيعت بأربعمائة ألف(٥).

---

(١) مسند أبي يعلي: من مسند عبد الرحمن بن عوف، ح(٨٥٣) قال حسين سليم أسد: إسناده صحيح. وانظر: أسد الغابة: ٣١٦/٣.

(٢) أسد الغابة: ٣١٤/٣.

(٣) رواه الطبراني في المعجم الكبير: ح(٢٦٥) وأبو نعيم في الحلية: ٩٩/١ — وذكره الهيثمي في المجمع وقال: رواه الطبراني وهو مرسل ورجاله ثقات. (انظر: تاريخ دمشق: ٢٦٣/٣٥ - سير أعلام النبلاء: ٨١/١ - أسد الغابة: ٦٤/٣.

(٤) تاريخ دمشق: ٢٨٢/٣٥.

(٥) رواه الترمذي: كتاب المناقب باب مناقب عبد الرحمن بن عوف، ح(٣٧٥٠) وقال: هذا حديث حسن غريب، وقال الشيخ الألباني: حسن الإسناد صحيح لغيره.

وروى الترمذي بسنده عن عائشة: أن رسول الله ﷺ كان يقول: إن أمركن مما يهمني بعدي ولن يصبر عليكن إلا الصابرون، قال: ثم تقول عائشة: فسقى الله أباك من سلسبيل الجنة تريد عبد الرحمن بن عوف، وكان قد وصل أزواج النبي ﷺ بمال بيعت بأربعين ألفا[١].

وروى أحمد في مسنده بسنده عن أم بكر بنت المسور: أن عبد الرحمن بن عوف باع أرضاً له من عثمان بن عفان بأربعين ألف دينار. فقسمه في فقراء بني زهرة وفي المهاجرين وأمهات المؤمنين، قال المسور: فأتيت عائشة بنصيبها، فقالت: مَن أرسل بهذا؟ فقلت: عبد الرحمن، قالت: أما أني سمعت رسول الله ﷺ يقول: وقال الخزاعي: إن رسول الله ﷺ قال: لا يحنو عليكن بعدي إلا الصابرون. سقى الله عبد الرحمن بن عوف من سلسبيل الجنة[٢].

جهاده ﷺ مع رسول الله ﷺ:

لم يكتف عبد الرحمن ﷺ بجهاده بماله في سبيل الله وإنما قدَّم روحه فداء لدينه، فشهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، ولم يتوان عن نصرة الإسلام.

فكان أحد الصحابة الذين شهدوا بدراً، وكان بينه وبين أبي بكر وعمرﷺ بعير واحد يتعاقبون عليه[٣].

وفي بدر قُتل بمشهد منه صنديدان من صناديد المشركين، أحدهما هو الذي أعان على قتله حين دلَّ عليه، وهو أبو جهل، والآخر قُتل بعد أن أخذه عبد الرحمن أسيراً، وهو أمية بن خلف رأس الكفر.

أما عن مقتل أبي جهل فيحدثنا عبد الرحمن نفسه عن هذا الأمر قائلاً فيما رواه عنه البخاري ومسلم بسندهما: بينا أنا واقف في الصفِّ يوم بدرٍ فنظرت عن

---

(١) رواه الترمذي: كتاب المناقب باب مناقب عبد الرحمن بن عوف، ح(٣٧٤٩) وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب، وقال الشيخ الألباني: حسن. - صحيح ابن حبان: ذكر عبد الرحمن بن عوف الزهري، ح(٦٩٩٥) وقال: شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح.

(٢) رواه أحمد في مسنده: ح(٢٤٧٦٨) وعلَّق عليه شعيب الأرنؤوط وقال: حديث حسن.

(٣) مغازي الواقدي: ١/ ٢٤.

يميني وعن شمالي فإذا أنا بغلامين من الأنصار حديثة أسنانهما، تمنيت أن أكون بين أضلع منهما، فغمزني أحدهما فقال: يا عم، هل تعرف أبا جهل؟ قلت: نعم، ما حاجتك إليه يا ابن أخي؟ قال: أُخبرت أنه يسبُّ رسول الله ﷺ، والذي نفسي بيده لئن رأيته لا يفارق سوادي سواده حتى يموت الأعجل منا، فتعجبتُ لذلك، فغمزني الأخر فقال لي: مثلها، فلم أنشب أن نظرت إلى أبي جهل يجول في الناس، قلت: ألا إن هذا صاحبكما الذي سألتماني، فابتدراه بسيفيهما فضرباه حتى قتلاه، ثم انصرفا إلى رسول الله ﷺ فأخبراه فقال: أيكما قتله؟ قال كل واحد منهما: أنا قتلته، فقال: هل مسحتما سيفيكما؟ قالا: لا، فنظر في السيفين فقال: كلاكما قتله، سلبه لمعاذ بن عمرو بن الجموح. وكانا معاذ بن عفراء ومعاذ بن عمرو بن الجموح(١).

وعن مقتل الثاني: يحدثنا عبد الرحمن فيما رواه عنه البخاري- أيضاً- بسنده قائلاً:

كاتبت أمية بن خلف كتاباً بأن يحفظني في صاغيتي(٢) بمكة، وأحفظه في صاغيته بالمدينة، فلما ذكرت الرحمن قال: لا أعرف الرحمن، كاتبني باسمك الذي كان في الجاهلية، فكاتبته عبد عمرو، فلما كان في يوم بدرٍ خرجت إلى جبل لأحرزه حين نام الناس، فأبصره بلال، فخرج حتى وقف على مجلسٍ من الأنصار، فقال: أمية بن خلف لا نجوت إن نجا أمية، فخرج معه فريق من الأنصار في آثارنا، فلما خشيت أن يلحقونا خلفت لهم ابنه لأشغلهم، فقتلوه، ثم أبوا حتى يتبعونا، وكان رجلاً ثقيلاً، فلما أدركونا، قلت له: ابرك، فبرك، فألقيت عليه نفسي لأمنعه، فتخللوه بالسيوف من تحتي حتى قتلوه، وأصاب

---

(١) رواه البخاري: كتاب الخمس، باب من لم يخمس الأسلاب ومن قتل قتيلاً فله سلبه من غير أن يخمس، ح(٢٩٧٢) ومسلم: كتاب الجهاد والسير، باب استحقاق القاتل سلب القتيل، ح(١٧٥٢).

(٢) صياغة الرجل: خاصته والماثلون إليه.

أحدهم رجلي بسيفه، وكان عبد الرحمن بن عوف يرينا ذلك الأثر في ظهر قدمه[(١)].

وشهد عبد الرحمن ﷺ أحداً وأبلى فيها بلاءً حسناً، وكان أحد الذين ثبتوا مع رسول الله ﷺ. وجرح يوم أحد إحدى وعشرين جراحة، وجرح في رجله فكان يعرج منها، وسقطت ثنيتاه فكان أهتم[(٢)].

عبد الرحمن بن عوف ﷺ مبعوث النبي ﷺ إلى دومة الجندل:

ومن فضائل عبد الرحمن بن عوف ﷺ أن رسول الله ﷺ بعثه إلى دومة الجندل في شعبان سنة ست من مهاجر رسول الله ﷺ، حيث دعاه رسول الله ﷺ، فأقعده بين يديه وعمَّمه بيده وقال: أغز بسم الله وفي سبيل الله فقاتل من كفر بالله! لا تغل ولا تغدر ولا تقتل وليداً! وبعثه إلى كلب بدومة الجندل وقال: إن استجأبوا لك فتزوَّج ابنة ملكهم، فسار عبد الرحمن حتى قدم دومة الجندل فمكث ثلاثة أيام يدعوهم إلى الإسلام، فأسلم الأصبغ بن عمرو الكلبي، وكان نصرانياً وكان رأسهم، وأسلم معه ناس كثير من قومه، وأقام مَن أقام على إعطاء الجزية، وتزوَّج عبد الرحمن تماضر بنت الأصبغ وقدم بها إلى المدينة، وهي أم أبي سلمة بن عبد الرحمن[(٣)].

وقفة مع فقه عبد الرحمن ﷺ:

وكما تميَّز عبد الرحمن بن عوف بإنفاقه في سبيل الله تميَّز كذلك بعمق فهمه وفقهه وحفظه لما سمعه من النبي ﷺ، ورجوع الصحابة إليه في ذلك، واعتمادهم على ما ذكره.

ومن الحوادث الدالة على فقهه ومكانته عند الصحابة وركونهم إلى قوله ما يلي:

---

(١) رواه البخاري: كتاب الوكالة، باب إذا وكل المسلم حربياً في دار الحرب أو في دار الإسلام جاز، ح(٢١٧٩).

(٢) الطبقات الكبرى: ٨٩/٢ – أسد الغابة: ٣١٤/٣.

(٣) أسد الغابة: ٣١٤/٣.

روى أحمد في مسنده بسنده عن ابن عباس أنه قال له عمر: يا غلام هل سمعت من رسول الله ﷺ أو من أحدٍ من أصحابه إذا شكَّ الرجل في صلاته ماذا يصنع؟ قال: فبينا هو كذلك إذ أقبل عبد الرحمن بن عوف، فقال: فيم أنتما؟ فقال عمر: سألت هذا الغلام هل سمعت من رسول الله ﷺ أو أحدٍ من أصحابه إذا شكَّ الرجل في صلاته ماذا يصنع؟ فقال عبد الرحمن: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إذا شكَّ أحدكم في صلاته فلم يدر أواحدة صلى أم ثنتين، فليجعلها واحدة، وإذا لم يدر ثنتين صلَّى أم ثلاثاً، فليجعلها ثنتين، وإذا لم يدر أثلاثاً صلَّى أم أربعاً، فليجعلها ثلاثاً، ثم يسجد إذا فرغ من صلاته وهو جالس قبل أن يسلم سجدتين[1].

وروى البخاري بسنده عن عبد الله بن عباس: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرج إلى الشام، حتى إذا كان بسرغ لقيه أمراء الأجناد؛ أبو عبيدة بن الجراح وأصحابه، فأخبروه أن الوباء قد وقع بأرض الشام، قال ابن عباس: فقال عمر: ادع لي المهاجرين الأولين، فدعاهم فاستشارهم وأخبرهم أن الوباء قد وقع بالشام، فاختلفوا، فقال بعضهم: قد خرجت لأمر ولا نرى أن ترجع عنه، وقال بعضهم: معك بقية الناس وأصحاب رسول الله ﷺ ولا نرى أن تقدمهم على هذا الوباء، فقال: ارتفعوا عني، ثم قال: ادع لي الأنصار، فدعوتهم، فاستشارهم فسلكوا سبيل المهاجرين واختلفوا كاختلافهم، فقال: ارتفعوا عني، ثم قال: ادع لي من كان ها هنا من مشيخة قريش من مهاجرة الفتح، فدعوتهم فلم يختلف منهم عليه رجلان، فقالوا: نرى أن ترجع بالناس ولا تقدمهم على هذا الوباء، فنادى عمر في الناس إني مصبح على ظهر فأصبحوا عليه، قال أبو عبيدة ابن الجراح: أفراراً من قدر الله؟ فقال عمر: لو غيرك قالها يا أبا عبيدة؟ نعم نفر من قدر الله إلى قدر الله، أرأيت لو كان لك إبل هبطت وادياً له عدوتان:

---

(١) رواه أحمد في مسنده: من حديث عبد الرحمن بن عوف، ح(١٦٥٦) وعلق عليه شعيب الأرنؤوط: حسن لغيره – وروى نحوه ابن ماجه في سننه: باب ما جاء فيمن شك في صلاته فرجع إلى اليقين، ح(١٢٠٩) وقال الألباني: صحيح.

إحداهما خصبة والأخرى جدبة أليس إن رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله؟ قال: فجاء عبد الرحمن بن عوف وكان متغيباً في بعض حاجته فقال: إن عندي في هذا علماً سمعت رسول الله ﷺ يقول: إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه قال: فحمد اللهَ عمرُ ثم انصرف(١).

ومن تلك الشواهد أيضا مسألة قبول الجزية من مجوس هجر:

روى البخاري بسنده عن سفيان قال: سمعت عَمْراً قال: كنت جالساً مع جابر بن زيد وعمرو بن أوس فحدَّثهما بَجَالةُ سنة سبعين عام حَجَّ مصعب بن الزبير بأهل البصرة عند دَرَج زمزم، قال: كنت كاتباً لجَزْءِ بن معاوية عمَّ الأحنف، فأتانا كتابُ عمر بن الخطاب قبل موته بسنة، فرِّقوا بين كل ذي محرَم من المجوس، ولم يكن عمر أخذ الجزية من المجوس حتى شهد عبد الرحمن بن عوف أن رسول الله ﷺ أخذها من مجوس هجر(٢).

ومنها كذلك مسألة الجلد في الخمر.

روى مسلم بسنده عن أنس بن مالك: أن نبي الله ﷺ جلد في الخمر بالجريد والنعال، ثم جلد أبو بكر أربعين، فلما كان عمر ودنا الناس من الريف والقرى قال: ما ترون في جلد الخمر؟ فقال عبد الرحمن بن عوف: أرى أن تجعلها كأخف الحدود قال: فجلد عمر ثمانين(٣).

كل هذه الشواهد وغيرها مما لم يتسع المجال لذكره فيها خير دلالة على فقه عبد الرحمن بن عوف، وحرصه على تتبع رسول الله ﷺ والأخذ منه والتلقي عنه، وفي هذه الشواهد أيضاً دروس عظيمة للمسلمين في كيفية ترتيب

---

(١) رواه البخاري: كتاب الطب، باب ما يذكر في الطاعون، ح(٥٣٩٧) – ورواه مسلم: كتاب السلام، باب الطاعون والطيرة، ح (٢٢١٩).

(٢) رواه البخاري: أبواب الجزية والموادعة، باب الجزية والموادعة مع أهل الذمة والحرب، ح(٢٩٨٧).

(٣) رواه مسلم: كتاب الحدود، باب حدِّ الخمر، ح(١٧٠٦).

أوقاتهم وتنظيم أمورهم، فرغم أن الرجل كانت له تجارته وأمواله إلا أن ذلك كله ما حجبه عن تلقي العلم من رسول الله ﷺ.

سؤال عبد الرحمن ﷺ سبباً للتخفيف عن ذوي الأعذار:

إن من من جملة فضائل الصحابي الجليل عبد الرحمن بن عوف ﷺ: أن الله جعل سؤاله سبباً للتخفيف عن المسلمين من ذوي الأعذار الخاصة التي لا يطيقون معها بعض التكاليف الشرعية، مثل لبس الحرير بالنسبة للرجال.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما عن أنس بن مالك أنَّ رسول الله ﷺ رخَّص لعبد الرحمن بن عوفٍ والزبير بن العوَّام في القمص الحرير في السَّفر من حكَّةٍ كانت بهما أو وجعٍ كان بهما[1].

النبي ﷺ يشهد لعبد الرحمن ﷺ بالخير:

وكما بشَّر النبي ﷺ عبد الرحمن بن عوف ﷺ بالجنة وشهد له بها، فقد شهد له كذلك بأنه من خيار المسلمين وفضلائهم.

روى الطبراني وابن عساكر بسندهما عن بسرة بنت صفوان أن النبي ﷺ سألها: «مَن يخطب أم كلثوم بنت عقبة؟». قالت: فلان وفلان وعبد الرحمن ابن عوف، فقال:« أنكحوا عبد الرحمن بن عوف، فإنه من خيار المسلمين، ومن خيارهم مَن كان مثله»[2].

إن هذه الشهادة من النبي ﷺ لعبد الرحمن ﷺ إنما هي بمثابة وسام شرف على صدره، بل أكثر من ذلك، وليس كأي وسام وإنما هو وسام من رسول الله، والنبي ﷺ لن يمنحه هذا الشرف إلا إن كان حقاً يستحقه.

---

(١) رواه البخاري: كتاب الجهاد، باب الحرير في الحرب، ح(٢٧٦٢) - ومسلم: كتاب اللباس باب إِبَاحَةِ لُبْسِ الْحَرِيرِ لِلرَّجُلِ إِذَا كَانَ بِهِ حِكَّةٌ أَوْ نَحْوُهَا، ح(٥٥٥٠).

(٢) رواه الطبراني في الأوسط:٤٣/٢ ح(١١٨٧) - وابن عساكر (٢٧٩/٣٥)، وأخرجه أيضًا: البخارى فى التاريخ الأوسط (٩٠/١). وذكره الهيثمي في المجمع (٦٥/٩) وقال: فيه يعقوب بن حميد وسليمان بن سالم وكلاهما ثقة وبقية رجاله رجال الصحيح.

وكيف لا يكون عبد الرحمن ﷺ كذلك وقد وهب ماله لله، بل وحياته كلها، فرضي الله عنه وأرضاه.

عثمان ﷺ يشهد لعبد الرحمن ﷺ بالخير:

روى ابن سعد والحاكم بسندهما عن المسور بن مخرمة قال: بينما أنا أسير في ركب بين عثمان وعبد الرحمن بن عوف وعبد الرحمن قدامي عليه خميصة سوداء، فقال عثمان: مَن صاحب الخميصة السوداء؟ قالوا: عبد الرحمن بن عوف، فناداني عثمان: يا مسور، فقلت: لبيك يا أمير المؤمنين، فقال: من زعم أنه خير من خالك في الهجرة الأولى وفي الهجرة الثانية الآخرة فقد كذب..[1].

وفاة عبد الرحمن بن عوف ﷺ

وبعد حياةٍ حافلةٍ بالعطاء للإسلام والمسلمين تُوفي عبد الرحمن بن عوف ﷺ، وحدثت بعد وفاته حادثة ذكرها العلماء وهي:

روى البيهقي بسنده عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف أنه ليلة غشي على عبد الرحمن بن عوف في وجعه غشية حتى ظنوا أنه قد فاضت نفسه، حتى قاموا من عنده وجلَّلوه ثوباً، وخرجت أم كلثوم بنت عقبة امرأته إلى المسجد لتستعين بما أمرت أن تستعين به من الصبر والصلاة، فلبثوا ساعة وهو في غشيته، ثم أفاق فكان أول ما تكلم به أن كبر، فكبر أهل البيت ومن يليهم، ثم قال لهم: غشي علي؟ فقالوا: نعم فقال: صدقتم، إنه انطلق بي رجلان أحدهما فيه شدة وفظاظة فقالا: انطلق نحاكمك إلى العزيز الأمين، فانطلقا بي حتى لقيا رجلاً، فقال: أين تذهبان بهذا؟ فقالا: نحاكمه إلى العزيز الأمين، قال: ارجعا، فإنه من

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك: باب ذكر مناقب عبد الرحمن بن عوف، ح(٥٣٥٢) وابن سعد في الطبقات: (١٢٥/٣). والخميصة: كساء مربع من صوف.

الذين كتب الله لهم السعادة والمغفرة في بطون أمهاتهم، وأنه سيتمتع به بنوه إلى ما شاء الله، فعاش بعد ذلك شهراً، ثم توفي رضي الله عنه[1].

إن هذه الرؤيا إنما هي بشارة من البشارات التي أحاطت عبد الرحمن رضي الله عنه، وكأن الله يريد أن يبلِّغه أنه عنه راض، فرضي الله عنه وأرضاه.

وبعد حياة حافلة بالإنجازات توفى سنة إحدى وثلاثين بالمدينة وهو ابن خمس وسبعين سنة، وأوصى بخمسين ألف دينار في سبيل الله، قاله عروة بن الزبير، وقال الزهري: أوصى عبد الرحمن لمن بقى فيمن شهد بدراً لكل رجل أربعمائة دينار، وكانوا مائة، فأخذوها وأخذها عثمان فيمن أخذ، وأوصى بألف فرس في سبيل الله ... وكان سعد بن أبي وقاص فيمن حمل جنازته وهو يقول: واجبلاه وخلف مالاً عظيماً من ذهب قطع بالفؤوس حتى مجلت أيدي الرجال منه، وترك ألف بعير ومائة فرس وثلاثة آلاف شاة ترعى بالبقيع، وكان له أربع نسوة أخرجت امرأة بثمانين ألفاً، يعنى صولحت[2].

ولما مات قال علي بن أبي طالب كلمات تدل أول ما تدل على حسن الصلة بينه وبين عبد الرحمن بن عوف كما تدل على مكانة عبد الرحمن، قال علي: اذهب ابن عوف، فقد أدركت صفوها، وسبقت رنقها[3].

فهنيئاً لك يا ابن عوف ثواب ما أنفقته في سبيل الله، وابتغاء مرضاته، وهنيئاً لك الجنة التي بشَّرك بها النبي صلى الله عليه وسلم.

---

(١) دلائل النبوة للبيهقي: ٨/٨٣، ح(٢٩٦٨) وأورده ابن عساكر في تاريخ دمشق: ٣٥/٢٩٧. والحاكم في المستدرك: كتاب المناقب، باب ذكر مناقب عبد الرحمن بن عوف، ح(٥٣٤١).

(٢) أسد الغابة: ٣/٣١٧. وانظر: سير أعلام النبلاء:١/٩٠.

(٣) الطبقات الكبرى: ٣/١٣٦. – تاريخ دمشق: ٣٥/٣٠١. ومعنى سبقت رنقها: أي أنه توفي قبل الفتن التي قسَّمت المسلمين في معركة الجمل وما بعدها.

تاسع العشرة

سعد بن أبي وقاص ﷺ

خال النبي ﷺ .... وأول رام في الإسلام

الجنة هي أغلى ما يرجوه ويتمناه المسلم، ومن وعده الله بها فهو لا شك داخلها، فلا رادَّ لموعود الله، وهنيئا لمن كان من أهلها وساكنيها، وممن أعطاه الله هذه البشرى وساقها إليه نبيه ﷺ سعد بن أبي وقاص ﷺ.

فهو ﷺ أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأحد السابقين إلى الإسلام، وأول من رمى بسهمٍ في سبيل الله، وهاكم إطلالة سريعة على بعض مزاياه وكريم صفاته وسجاياه ﷺ.

إطلالة مجدٍ على نسب سعدٍ ﷺ:

اسمه ونسبه ﷺ:

هو: سعد بن أبي وقاص، واسمه مالك بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب، أبو إسحاق القرشي الزهري، أحد العشرة، وأحد السَّابقين الأوَّلين، وأحد مَن شهد بدراً، والحديبية، وأحد الستة أهل الشّورى الذين توفي رسول الله وهو عنهم راض(١).

وأمّهُ حمنة بنت أبي سفيان بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي(٢).

وورد في الإصابة أنها حمنة بنت سفيان بن أمية، بنت عمِّ أبي سفيان بن حرب بن أمية(٣).

وبهذا يلتقي سعد ﷺ مع النبي ﷺ من جهة أبيه وأمه، فكلاب هو الجد الخامس للنبي ﷺ من جهة أبيه والجد الرابع لسعد من جهة أبيه أيضاً، أما من

(١) الطبقات الكبرى: ١٢/٦ - البداية والنهاية: ٧٨/٨ - تاريخ الإسلام: ٤ / ٢١٢- تاريخ مدينة دمشق: ٢٨٠/٢٠.

(٢) الطبقات الكبرى: ٦/ ١٢ - تاريخ دمشق: ٢٩٤/٢٠. - تاريخ الإسلام: ٢١٤/٤.

(٣) انظر: الإصابة: ٦٢/٣.

جهة أمه فإنه يلتقي مع النبي ﷺ في قصي الجد الرابع للنبي ﷺ من جهة أبيه، والجد الرابع لسعد ﷺ من جهة أمه.

وكذلك يلتقي سعد مع النبي ﷺ من جهة أمه آمنة. فأم النبي ﷺ هي: آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة، وسعد جده وهيب، ووهيب شقيق وهب، وبهذا يكون مالك أبو سعد ابن عم السيدة آمنة أم النبي ﷺ.

كنيته ﷺ:

عُرف سعد ﷺ واشتهر بكنية أبي إسحاق[1]. نسبة إلى ابنه إسحاق.

صفته ﷺ:

ذكر الذهبي في وصفه أنه كان قصيراً دحداحاً[2] غلظاً، ذا هامة، شثن الأصابع [3]، جعد الشعر، أشعر الجسد، آدم، أفطس[4].

وقال إبراهيم بن المنذر: كان هو وطلحة والزبير وعلي عذار عام واحد، أي كان سنهم واحداً[5].

إطلالة على بيته (زوجاته وأولاده) ﷺ:

تزوَّج سعد ﷺ وعدَّد في الزيجات، ووهبة اللّه جملة من الأولاد، فكان لسعد بن أبي وقاص من الولد: إسحاق الأكبر وبه كان يكنى درج وأم الحكم الكبرى وأمهما ابنة شهاب بن عبد اللّه بن الحارث بن زهرة، وعمر قتله المختار ومحمد بن سعد قتل يوم دير الجماجم قتله الحجاج وحفصة وأم القاسم وأم كلثوم وأمهم ماوية بنت قيس بن معدي كرب، وعامر وإسحاق الأصغر

---

(١) الطبقات الكبرى: ١٢/٦ – الوافي بالوفيات للصفدي: ٩٠/١٥ – عمدة القاري للعيني: ٥/٦.

(٢) الرجل الدحداح والدعداع هو القصير الخطى في مشيه مع عجل. (تاج العروس ١١٤/١١).

(٣) شثن الأصابع: أي يابس جلدهما، أو أن أصابعه فيها خشونة وشدة. (لسان العرب: ٢٤١/١٣)

(٤) تاريخ الإسلام: ٢١٤/٤.

(٥) الإصابة: ٦٢/٣.

وإسماعيل وأم عمران وأمهم أم عامر بنت عمرو بن عمرو بن كعب، وإبراهيم وموسى وأم الحكم الصغرى وأم عمرو وهند وأم الزبير وأم موسى وأمهم زبد ويزعم بنوها أنها ابنة الحارث بن يعمر بن شراحيل بن عبد عوف بن مالك.. وعبد الله بن سعد وأمهم سلمى من بني تغلب بن وائل، ومصعب بن سعد وأمه خولة بنت عمرو بن أوس بن سلامة بن غزية بن معبد .. وعبد الله الأصغر وبجير واسمه عبد الرحمن وحميدة وأمهم أم هلال بنت ربيع بن نري بن أوس بن حارثة .. وعمير ابن سعد الأكبر هلك قبل أبيه وحمنة وأمها أم حكيم بنت قارض من بني كنانة، وعمير الأصغر وعمرو وعمران وأم عمرو وأم أيوب وأم إسحاق وأمهم سلمى بنت خصفة بن ثقف بن ربيعة .. وصالح بن سعد .. وأمه طيبة بنت عامر بن عتبة بن شراحيل .. وعثمان ورملة وأمهما أم حجير، وعمرة وهي العمياء تزوجها سهيل بن عبد الرحمن بن عوف وأمها امرأة من سبي العرب وعائشة بنت سعد(١).

سعد بن أبي وقاص ﷺ في ركب الإيمان:

سعد بن أبي وقاص ﷺ أحد السابقين السبَّاقين إلى الإسلام، ومن أوائل من آمن بالله وبرسوله ﷺ، فقد أسلم ﷺ قديماً .

ذكر ابن كثير أنه يوم أن أسلم كان عمره سبع عشرة سنة(٢).

وذكر الذهبي أنه يوم أن أسلم كان عمره تسع عشرة سنة(٣).

وروى البخاري بسنده عن سعيد بن المسيب أنه قال: سمعت سعد بن أبي وقاص يقول: ما أسلم أحد إلا في اليوم الذي أسلمت فيه، ولقد مكثت سبعة أيام وإني لثلث الإسلام(٤).

---

(١) الطبقات الكبرى: ١٣٧/٣ – ١٣٨.

(٢) البداية والنهاية: ابن كثير، ٧٨/٨.

(٣) تاريخ الإسلام: ٤ / ٢١٤ – تاريخ دمشق: ٢٩٣/٢٠.

(٤) رواه البخاري: كتاب المناقب، باب مناقب سعد بن أبي وقاص، ح(٣٥٢١).

ثبات سعد ﷺ ورباطة جأشه:

بمجرد أن أسلم سعد ومحاولات الكيد والصدِّ فتحت له أبوابها، وحاول أهله وذووه إثناءه عن دينه وصدَّه عن الاستمرار فيه، إلا أن الإيمان ما خالط قلب رجل أو امرأة بصدق وخرج منه، فكان سعد ﷺ ثابتاً كالطود الأشم، صابراً على كل ما نزل به، ولقد جابه كل محاولاتهم بثبات المؤمن وإيمان الثابت، فما تردد لحظة وما نكص ولو لوهلة.

ولما أخفقت جميع محاولات ردِّه وصدِّه عن الإسلام، لجأت أمه إلى وسيلة لم يكن أحد يشك في أنها ستهزم روحه وتردّ عزمه إلى وثنية أهله وذويه. لقد كان سعد باراً بأمه محباً لها، وحدث أن أعلنت أمه صومها عن الطعام والشراب، حتى يعود سعد إلى دين آبائه وقومه، ومضت في تصميمٍ مستميتٍ وعزمٍ لا يلين تواصل إضرابها عن الطعام والشراب حتى أوشكت على الهلاك، وحين كادت تشرف على الموت، أخذه بعض أهله إليها ليلقي عليها نظرة وداع مؤملين أن يرق قلبه حين يراها في سكرة الموت، وذهب سعد ورأى مشهد أمه وهي تتعذب ولكن إيمانه بالله ورسوله كان قد تفوّق على كل شيئ، وأخبرها أنه لو كان لها أكثر من نفس وخرجت كلها واحدة تلو الأخرى ما ترك دينه.

وذكر الذهبي وابن كثير وغيرهما أن آية: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَـٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ ﴾[1] نزلت في سعد.

وروى مسلم بسنده عن مصعب بن سعد عن أبيه: أنه - أي سعداً- نزلت فيه آيات من القرآن، قال: حلفت أم سعد أن لا تكلمه أبداً حتى يكفر بدينه ولا تأكل ولا تشرب، قالت: زعمت أن الله وصاك بوالديك وأنا أمك وأنا آمرك بهذا.

---

(١) سورة العنكبوت الآية «٨».

قال: مكثت ثلاثاً حتى غشي عليها من الجهد، فقام ابن لها يقال له: عمارة فسقاها، فجعلت تدعو على سعد، فأنزل الله عز و جل في القرآن هذه الآية ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ﴾[1] ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي ﴾ وفيها ﴿ وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾[2][3].

وها هو مشهد آخر من مشاهد ثبات سعد وصبره على ما أحاط به، وهو في حصار المسلمين في شعب أبي طالب، وكان سعد ممن حوصر مع النبي ﷺ وباقي المسلمين، وممن ثبت في هذا الوقت العصيب.

روى أبو نعيم في الحلية بسنده عن سعد أنه قال: كنا قوماً يصيبنا ظلف[4] العيش بمكة مع رسول الله ﷺ وشدته، فلما أصابنا البلاء اعترفنا لذلك ومرنًا عليه وصبرنا له، ولقد رأيتني مع رسول الله ﷺ بمكة خرجت من الليل أبول وإذا أنا أسمع بقعقعة شيء تحت بولي فإذا قطعة جلد بعير فأخذتها فغسلتها ثم أحرقتها فوضعتها بين حجرين ثم استفها وشربت عليها من الماء، فقويت عليها ثلاثا[5].

ويحدثنا عتبة بن غزوان عن صورة أخرى من صور الشدائد التي كان يتعرض لها سعد وغيره من أصحاب النبي فيقول فيما رواه عنه مسلم بسنده: ولقد رأيتنى سابع سبعةٍ مع رسول الله ﷺ ما لنا طعام إلا ورق الشجر حتى قرحت أشداقنا، فالتقطت بردةً فشققتها بينى وبين سعد بن مالك[6] فاتزرت بنصفها

(١) سورة العنكبوت الآية «٨».

(٢) سورة لقمان الآية «١٥».

(٣) رواه مسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب في فضل سعد بن أبي وقاص، ح(٤٣-١٧٤٨).

(٤) ظلف العيش: بؤسه وخشونته. (النهاية: ١٥٩/٣).

(٥) حلية الأولياء: ٩٣/١.

(٦) مالك: اسم أبي وقاص والد سعد.

واتزر سعد بنصفِها، فما أصبح اليوم منا أحدٌ إلا أصبح أميرًا على مصرٍ من الأمصار(١).

ومن خلال هذا يتضح لنا أنه كلما زاد اضطهاد المشركين للنبي ﷺ وأصحابه زاد معه تماسك المسلمين وصلابتهم، وهذا ما حدث مع سعد رضي الله عنه فكلما كان يزداد عليه الأذى والعنت كان يزداد تماسكه وإيمانه فرضي الله عنه وعن إخوانه من الصحابة أجمعين.

باقة ورد من فضائل سعد رضي الله عنه:

ذكر أبو نعيم في فضائل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: وأما سعد بن أبي وقاص فقديم السبق بدء أمره مقاساة الشدة واحتمال الضيقة وهو مع الرسول ﷺ بمكة هون عليه تحمل الأثقال ومفارقة العشيرة والمال لما باشر قلبه من حلاوة الإقبال ونصر على الأعداء بالمقاتلة والنضال، وخُصَّ بالإجابة في المسألة والابتهال، ثم ابتلي في حالة الإمارة والسياسة وامتحن بالحجابة والحراسة، ففتح الله على يديه السواد والبلدان ومنح عدة من الإناث والذكران، ثم رغب عن العمالة والولاية وآثر العزلة والرعاية وتلافى ما بقي من عمره بالعناية فهو قدوة من ابتلي في حاله بالتلوين وحجة من تحصن بالوحدة والعزلة من التفتين إلى أن تتضح له الشبهة بالحجج والبراهين(٢).

وذكر الذهبي أن سعداً روى جملة صالحة من الحديث، وله في «الصحيحين» خمسة عشر حديثاً، وانفرد له البخاري بخمسة أحاديث، ومسلم بثمانية عشر حديثا(٣).

وقال ابن حجر عن سعد: وهو أحد الستة أهل الشورى، وكان مجاب الدعوة مشهوراً بذلك، وكان أحد الفرسان من قريش الذين كانوا يحرسون

---

(١) رواه مسلم: كتاب الزهد والرقائق، باب (١) ح(٧٦٢٥).

(٢) حلية الأولياء: أبو نعيم، ٩٢/١.

(٣) سير أعلام النبلاء: ٩٢/١، ٩٣.

رسول الله ﷺ في مغازيه، وهو الذي كوف الكوفة، وتولى قتال فارس وفتح الله على يديه القادسية، وكان أميراً على الكوفة لعمر ثم عزله ثم أعاده ثم عزله، وقال في مرضه: إن وليها سعد فذاك وإلا فليستعن به الوالي فإني لم أعزله عن عجز ولا خيانة ومناقبه كثيرة جداً[1].

وقال الصفدي عن سعد: أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد الستة أهل الشورى، وأحد متقدمي الإسلام، شهد بدراً والمشاهد بعدها، وكان أول من رمى بسهم في سبيل الله، أسر يوم بدر أسيرين، وثبت يوم أحد، وكان من أخوال النبي ﷺ، وكان مستجاب الدعوة، ويقال له: فارس الإسلام، وكان مقدم الجيوش في فتح العراق، وهاجر إلى المدينة قبل مقدم النبي ﷺ[2].

وفيما يلي نورد جملة من مناقب سعد وفضائله.

حبُّ النبي ﷺ لسعد ﷺ ودعاؤه له. وتبشيره بالجنة:

أحب رسول الله ﷺ سعداً لِما عاين من أخلاقه الكريمة وغيرته على دينه وإخلاصه له، وكان النبي ﷺ كثيراً ما يثني على سعد ويدعو له بالخير.

روى البخاري بسنده عن عائشة بنت سعد أن أباها قال: تشكَّيت بمكة شكوى شديدة، فجاءني النبي ﷺ يعودني فقلت: يا نبي الله، إني أترك مالاً وإني لم أترك إلا ابنة واحدة، فأوصي بثلثي مالي وأترك الثلث؟ فقال: لا. قلت: فأوصي بالنصف وأترك النصف؟ قال: لا. قلت: فأوصي بالثلث وأترك لها الثلثين؟ قال: الثلث والثلث كثير، ثم وضع يده على جبهتي ثم مسح يده على وجهي وبطني، ثم قال: اللهم اشف سعداً وأتمم له هجرته، فما زلت أجد برده على كبدي - فِيما يخال إليَّ - حتى الساعة[3].

---

(١) تهذيب التهذيب: ابن حجر، ٤٢٠/٣.

(٢) الوافي بالوفيات: ٩٠/١٥، ٩١.

(٣) رواه البخاري: كتاب المرضى، باب وضع اليد على المريض، ح(٥٣٣٥).

وفي رواية مسلم: بسنده عن حميد بن عبد الرحمن الحميري عن ثلاثة من ولد سعد كلهم يحدثه عن أبيه: أن النبي ﷺ دخل على سعد يعوده بمكة فبكى قال: «ما يبكيك؟» فقال: قد خشيت أن أموت بالأرض التي هاجرت منها كما مات سعد بن خولة فقال النبي ﷺ: اللهم اشف سعدا اللهم اشف سعد ثلاث مرات ...[١].

إن لسعد مع السعادة قصة طويلة فقد جعل الله له من اسمه نصيباً، وحسبه أن النبي ﷺ وسلك كان يدعو له، ولم يكن ثناء النبي ﷺ على سعد ودعائه له نهاية المطاف مع سعد والسعادة، بل إن النبي ﷺ بشَّره بالجنة بوحي من ربه، مباركة لسعيه ومكافأة على إخلاصه.

روى ابن حبان في صحيحه بسنده عن ابن عمر قال: كنا قعوداً عند رسول الله ﷺ قال: يدخل عليكم من ذا الباب رجل من أهل الجنة قال: وليس منا أحد إلا وهو يتمنى أن يكون من أهل بيته، فإذا سعد بن أبي وقاص قد طلع[٢].

وروى أحمد والترمذي عن عبد الرحمن بن عوف أنه قال: قال رسول الله ﷺ: أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وسعد في الجنة، وسعيد في الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة[٣].

إن هذه الروايات خير دلالة على سعادة سعد بن أبي وقاص ﷺ في الدنيا والآخرة، فالسعيد حقاً من كانت الجنة مثواه.

---

(١) رواه مسلم: كتاب الوصية، باب الوصية بالثلث، ح(١٦٢٨).

(٢) رواه ابن حبان في صحيحه: ذكر إثبات الجنة لسعد، ح(٦٩٩١).

(٣) رواه أحمد في مسنده: ح(١٦٧٥) وقال شعيب: إسناده قوي على شرط مسلم- والترمذي: كتاب المناقب، باب مناقب عبد الرحمن بن عوف،ح(٣٧٤٧). وقال الألباني: صحيح. والنسائي في الكبرى: ح(٨١٩٤) وابن حبان: كتاب إخباره عن مناقب الصحابة، ح(٧٠٠٢).

النبي ﷺ يجمع لسعد بين أبيه وأمه:

إن من أعظم مناقب سعد ﷺ وأجلّها أن رسول الله ﷺ جمع له بين أبويه، وفداه بأبيه وأمه، وهي منقبة جليلة لا يمنحها النبي ﷺ إلا لرجل صفا قلبه، وصدقت نيته، وكمل إيمانه.

روى البخاري بسنده عن عبد الله بن شدَّادٍ قال: سمعت عليّاً ﷺ يقول: ما رأيت النبي ﷺ يُفدِّي رجلاً بعد سعدٍ، سمعته يقول: ارمِ فداك أبي وأمي[1].

وروى مسلم في صحيحه بسنده عن عامر بن سعدٍ عن أبيهِ أنَّ النبى ﷺ جمع له أبويه يوم أُحدٍ. قال: كان رجل من المشركين قد أحرق المسلمين فقال له النبى ﷺ: «ارم فداك أبي وأمى». قال: فنزعت له بسهمٍ ليس فيه نصل فأصبت جنبه فسقط فانْكشفت عورته فضحك رسول الله ﷺ حتى نظرت إلى نواجذه[2].

وروى عبد الرزاق في مصنفه: أن عائشة بنت سعد، كانت تقول: أنا ابنة المهاجر الذي فداه رسول الله يوم أحد بالأبوين[3].

سعد ﷺ ورؤية الملائكة يوم أحد:

من كرامات سعد بن أبي وقاص ﷺ التي منحها الله إياه رؤيته للملائكة تقاتل يوم أحد.

روى مسلم بسنده عن سعد بن أبي وقاص قال: رأيت عن يمين رسول الله ﷺ وعن شماله يوم أحد رجلين عليهما ثياب بياض ما رأيتهما قبل ولا بعد يعني جبريل وميكائيل عليهما السلام[4].

---

(١) رواه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب المجن ومن يتترس بترس صاحبه، ح(٢٧٤٩).

(٢) رواه مسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب في فضل سعد بن أبي وقاص، ح(٦٣٩٠).

(٣) رواه عبد الرزاق في مصنفه: ٢٣٦/١١، ح(٢٠٤١٩) وانظر: سير أعلام النبلاء: ١٠٠/١.

(٤) رواه مسلم واللفظ له: كتاب الفضائل باب في قتال جبريل وميكائيل عن النبي ﷺ يوم أحد، ح(٢٣٠٦). ورواه البخاري: كتاب المغازي، باب إذ همَّت طائفتان منكم أن تفشلا، ح(٣٨٢٨).

سعد ﷺ مستجاب الدعوة:

لعل من جملة مناقب الصحابي الجليل سعد بن أبي وقاص ﷺ أنه كان مستجاب الدعوة، وهذه المنقبة خرجت من منقبة دعاء النبي ﷺ له بأن يستجيب الله دعوته.

ورد في تهذيب الكمال: وكان – أي سعداً – مجاب الدعوة، مشهورا بذلك، وذلك أن رسول الله ﷺ قال فيه: «اللهم سدِّد رميته وأجب دعوته»[1].

وروى الحاكم في المستدرك بسنده عن عائشة بنت سعد عن أبيها سعد ابن أبي وقاص ﷺ قال: لما جال الناس عن رسول الله ﷺ تلك الجولة يوم أحد تنحيت فقلت: أذود عن نفسي، فإما أن استشهد وإما أن أنجو حتى ألقى رسول الله ﷺ، فبينا أنا كذلك إذا برجل مخمر وجهه ما أدري من هو فأقبل المشركون حتى قلت: قد ركبوه، ملأ يده من الحصى ثم رمى به في وجوههم فنكبوا على أعقابهم القهقرى حتى يأتوا الجبل، ففعل ذلك مراراً و لا أدري من هو وبيني وبينه المقداد بن الأسود، فبينا أنا أريد أن أسال المقداد عنه إذ قال المقداد: يا سعد هذا رسول الله ﷺ يدعوك فقلت: وأين هو؟ فأشار لي المقداد إليه، فقمت ولكأنه لم يصبني شيء من الأذى فقال رسول الله ﷺ: أين كنت اليوم يا سعد؟ فقلت: حيث رأيت رسول الله فأجلسني أمامه فجعلت أرمي وأقول: اللهم سهمك فارم به عدوك ورسول الله ﷺ يقول: **اللهم استجب لسعد، اللهم سدِّد لسعد رميته، إيها سعد فداك أبي و أمي**، فما من سهم أرمي إلا وقال رسول الله ﷺ: اللهم سدد رميته وأجب دعوته إيها سعد، حتى إذا فرغت من كنانتي نثر رسول الله ﷺ ما في كنانته فنبلني سهماً نضياً[2] قال:

---

(١) تهذيب الكمال: ٣١٢/١٠.

(٢) السهم النضي: الذي حمى نصله من كثرة البري والنحت. (النهاية: ٧٣/٥).

وهو الذي قد ريش وكان أشد من غيره[(١)]. وقال الزهري: رمى سعد يوم أحد ألف سهم[(٢)].

وهكذا عُرف سعد بن أبي وقاص ﷺ بين إخوانه وأصحابه بأن دعوته كالسيف القاطع، وعرف هو ذلك نفسه، فلم يكن يدعو على أحد إلا مفوّضا إلى الله أمره.

ومن شواهد استجابة الله تعالى لدعوة سعد بن أبي وقاص ﷺ ما يلي:

روى الذهبي بسنده عن قبيصة بن جابر قال: قال ابن عم لنا يوم القادسية:

ألم تر أن الله أنزل نصره ❖ وسعد بباب القادسية معصم

فأبنا وقد آمت نساء كثيرة ❖ ونسوة سعد ليس فيهن أيم

فلما بلغ سعداً قال: اللهم اقطع عني لسانه ويده، فجاءت نشابة أصابت فاه، فخرس، ثم قطعت يده في القتال، وكان في جسد سعد قروح، فأخبر الناس بعذره عن القتال[(٣)].

وروى البخاري بسنده عن جابر بن سمرة قال: شكا أهل الكوفة سعداً إلى عمر ﷺ فعزله واستعمل عليهم عماراً، فشكوا حتى ذكروا أنه لا يحسن يصلي، فأرسل إليه فقال: يا أبا إسحق، إن هؤلاء يزعمون أنك لا تحسن تصلي؟ قال أبو إسحق: أما أنا والله فإني كنت أصلي بهم صلاة رسول الله ﷺ ما أخرم عنها، أصلي صلاة العشاء فأركد في الأولين وأخف في الأخريين، قال: ذاك الظن بك يا أبا إسحق، فأرسل معه رجلاً أو رجالاً إلى الكوفة، فسأل عنه أهل الكوفه، ولم يدع مسجداً إلا سأل عنه ويثنون معروفاً حتى دخل مسجداً

---

(١) رواه الحاكم: كتاب المغازي والسير، ح(٤٣١٤)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، وعلّق الذهبي في التلخيص: على شرط مسلم، ورواه البزار: (١٧٠/٢) ح(١٢١٣) وذكره الهيثمي في المجمع (١١٣/٦) وقال: رواه البزار وفيه عثمان ابن عبد الرحمن الوقاصي، وهو متروك.

(٢) انظر: عمدة القاري: ١٤٩/١٧. – أسد الغابة: ٢٩١/٢.

(٣) تاريخ الإسلام للذهبي: ٢١٨/٤ .

لبني عبس، فقام رجل منهم يقال له أسامة بن قتادة، يكنى أبا سعدة قال: أما إذ نشدتنا فإن سعدا كان لا يسير بالسرية ولا يقسم بالسوية ولا يعدل في القضية، قال سعد: أما والله لأدعون بثلاث: اللهم إن كان عبدك هذا كاذباً قام رياء وسمعة فأطل عمره وأطل فقره وعرضه بالفتن . وكان بعد إذا سئل يقول: شيخ كبير مفتون أصابتني دعوة سعد . قال عبد الملك: فأنا رأيته بعد قد سقط حاجباه على عينيه من الكبر، وإنه ليتعرض للجواري في الطرق يغمزهن[1].

وعن مصعب بن سعد أن رجلاً نال من علي، فنهاه سعد، فلم ينته، فدعا عليه. فما برح حتى جاء بعير ناد فخبطه حتى مات[2].

وذكر الذهبي عن ابن المسيب أن رجلاً كان يقع في علي وطلحة والزبير، فجعل سعد ينهاه ويقول: لا تقع في إخواني، فأبى، فقام سعد، وصلّى ركعتين ودعا، فجاء بختي[3] يشق الناس، فأخذه بالبلاط، فوضعه بين كركرته[4] والبلاط حتى سحقه، فأنا رأيت الناس يتبعون سعداً يقولون: هنيئا لك يا أبا إسحاق! استجيبت دعوتك.

قال الذهبي: في هذا كرامة مشتركة بين الدَّاعي والذين نِيل منهم[5].

---

(١) رواه البخاري: كتاب الآذان، باب وجوب القراءة للمأموم والإمام في الصلوات، ح(٧٢٢) . وانظر: تاريخ بغداد: ١٥٥/١، ١٥٦- تاريخ دمشق:٣٤١/٢٠.

(٢) سير أعلام النبلاء: ١١٥/١.

(٣) البختي: نسبة إلى البخت، وهي الإبل الخراسانية تنتج من بين عربي ودخيل.

(٤) الكركرة: رحى زور البعير.

(٥) سير أعلام النبلاء: ١١٦/١، ورواه الطبراني (٣٠٧) من طريق: ابن عون، عن محمد بن محمد بن الأسود عن عامر بن سعد قال . . . وذكره الهيثمي في «المجمع» ١٥٤/٩ ونسبه للطبراني وقال: رجاله رجال الصحيح.

فانظر معي أخي القارئ إلى هاتين الروايتين اللتين يظهر من خلالهما مدى تغلل الحب والمودة في قلوب الأصحاب والآل بعضهم بعضاً، فسعد ما رضي أن ينال من علي ولا من طلحة والزبير، ولم يكتف بالرفض القلبي بل إنه دعا على من نال منهم ؛ إثباتاً لفضلهم وتعبيراً عن حبه له، فهل من مدَّكر؟.

سعد ﷺ خال النبي ﷺ :

حظي سعد ﷺ بمكانة عظيمة عند رسول الله ﷺ وكان النبي يقول عنه فرحاً به: هذا خالي؛ وذلك لأن سعداً من بني زهرة أخوال النبي ﷺ [1].

فأمُّ النبي ﷺ هي: آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة، وسعد جدّه وهيب، ووهيب شقيق وهب، وبهذا يكون مالك - أبو سعد - ابن عم السيدة آمنة أم النبي ﷺ.

وعلى حدِّ تعبير الذهبي حين يقول: أمّ النبي ﷺ زهرية، وهي آمنة بنت وهب بن عبد مناف، ابنة عم أبي وقاص[2].

وروى الترمذي بسنده عن جابر بن عبد الله قال: أقبل سعد فقال النبي ﷺ: هذا خالي فليرني امرؤ خاله[3].

---

(١) تاريخ دمشق: ٢٨٨/٢٠. الطبقات: ١٢/٦. - سير أعلام النبلاء:٩٢/١.

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء:١١٠/١.

(٣) رواه الترمذي: كتاب المناقب، باب مناق سعد بن أبي وقاص ح(٣٧٥٢) وقال الألباني: صحيح. والحاكم في المستدرك: كتاب معرفة الصحابة، باب ذكر مناقب أبي إسحاق سعد، ح(٦١١٣). وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وقال الذهبي في التلخيص: على شرط البخاري ومسلم.

محبة من نوعٍ فريد:

أَحبَّ سعد ﷺ رسول الله ﷺ حباً ملأ سويداء قلبه، وملك زمام أمره، وكانت أعظم أمانيه أن يفدي رسول الله ﷺ بحياته، وأن يقدِّم نحره دون نحر النبي ﷺ ويحول بين المشركين والوصول إليه، فلا يخلص إليه ما يكره.

ذكر ابن حجر في التهذيب: وكان - سعد - أحد الفرسان من قريش الذين كانوا يحرسون رسول الله ﷺ في مغازيه[1].

وروى البخاري بسنده عن عبد الله بن عامر بن ربيعة قال سمعت عائشة رضي الله عنها تقول: كان النبي ﷺ سهر فلما قدم المدينة قال: «ليت رجلاً من أصحابي صالحاً يحرسني الليلة». إذ سمعنا صوت سلاح فقال: «مَن هذا؟». فقال: أنا سعد بن أبي وقاص جئت لأحرسك، ونام النبي ﷺ[2].

وفي رواية مسلم: أن عائشة قالت: سهر رسول الله ﷺ مقدمه المدينة ليلة، فقال ليت رجلاً صالحا من أصحابي يحرسني الليلة، قالت: فبينا نحن كذلك سمعنا خشخشة سلاح، فقال: مَن هذا؟ قال: سعد بن أبي وقاص، فقال له رسول الله ﷺ: ما جاء بك؟ قال وقع في نفسي خوف على رسول الله ﷺ فجئت أحرسه، فدعا له رسول الله ﷺ ثم نام[3].

سعد بن أبي وقاص ﷺ: وجمال الجهاد والبطولة:

بين سعد ﷺ والبطولة علاقة من نوع خاص وحنين من نوع فريد، فالرجل كان بطلاً بحق ومجاهداً بصدق، وكان إذا قاتل قاتل قتال من لا يخشى الموت، وفيما يلي نتحدث عن معالم البطولة في حياة سعد بن أبي وقاص ﷺ.

---

(١) تهذيب التهذيب: ابن حجر، ٣/٤٢٠.

(٢) رواه البخاري: كتاب الجهاد، باب الحراسة والغزو في سبيل الله، ح(٢٧٢٩).

(٣) رواه مسلم: كتاب الفضائل، باب فضائل سعد بن أبي وقاص، ح(٢٤١٠).

سعد بن أبي وقاص ﷺ: أول رام في الإسلام:

أحب سعد ﷺ القتال وألفه منذ صغره، فكان يريش النبل ويصنعه في الجاهلية، فلما جاء الإسلام صار من أبرع الرماة، وأقوى الفرسان، وأبرز القادة الشجعان.

فكان سعد ﷺ من مشاهير الشجعان، ومن أشداء أصحاب الرسول ﷺ، وكان إذا رمى في الحرب عدوّا أصابه.. وإذا دعا الله دعاءً أجابه!!..

قال ابن إسحاق: كان أشدّ أصحاب رسول الله ﷺ أربعة: عمر وعلي والزبير وسعد، يعني ابن أبي وقاص[١].

وشهد سعد ﷺ المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وهو أول من رمى بسهم في سبيل الله تعالى، وكان يقال له: فارس الإسلام[٢].

يقول ابن كثير: وهاجر- سعد - وشهد بدراً وما بعدها، وهو أول من رمى بسهمٍ في سبيل الله، وكان فارساً شجاعاً من أمراء رسول الله ﷺ، وكان في أيام الصِّدِّيق معظماً جليل المقدار، وكذلك في أيام عمر[٣].

وذكر ابن عساكر: وشهد سعد بدراً وأحداً وثبت يوم أحد مع رسول الله ﷺ حين ولى الناس وشهد الخندق والحديبية وخيبر وفتح مكة وكانت معه يومئذ إحدى رايات المهاجرين الثلاث، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ وكان من الرماة المذكورين من أصحاب رسول الله ﷺ[٤].

ولقد أقر له النبي ﷺ بشدته وقوته على المشركين فقال له فيما رواه الترمذي بسنده عن سعيد بن المسيب يقول: قال علي: ما جمع رسول الله ﷺ أباه

---

(١) تاريخ دمشق: ٣٢٢/٢٠.

(٢) انظر: تهذيب التهذيب، ابن حجر، ج ٣ / ٤١٩. - تهذيب الكمال: ١٠ /٣١٠.

(٣) البداية والنهاية: ٧٨/٨، ٧٩.

(٤) تاريخ دمشق: ٢٩٠/٢٠.

وأمه لأحد إلا لسعد بن أبي وقاص قال له يوم أحد: أرم فداك أبي وأمي، قال له: ارم أيها الغلام الحزور[١].

والغلام الحزور هو: الشديد القوي الصلب[٢] ومعلوم أن النبي ﷺ لن يصفه بهذا الوصف إلا إذا كان أهلاً له.

وروى البخاري بسنده عن قيس قال: سمعت سعدا ﷺ يقول: إني لأول العرب رمى بسهم في سبيل الله، وكنا نغزو مع النبي ﷺ وما لنا طعام إلا ورق الشجر، حتى إن أحدنا ليضع كما يضع البعير أو الشاة ما له خلط، ثم أصبحت بنو أسد تعزرني على الإسلام؟ لقد خبت إذاً وضلَّ عملي، وكانوا وشوا بي إلى عمر، قالوا: لا يحسن يصلي[٣].

وقال جابر بن سمرة . قال: أوَّل الناس رمى بسهم في سبيل الله سعد ﷺ[٤].

سعد بن أبي وقاص ﷺ نعم المجاهد ونعم القائد

ذكرنا فيما سبق أن سعد بن أبي وقاص شهد المشاهد كلها مع ﷺ، فما توانى ولو لحظة عن نصرة دينه وأمته.

ففي غزوة بدر ظهرت قوة سعد وشجاعته، حتى أنه وكما يروي ابن مسعود جاء وحده يوم بدر بأسيرين[٥].

---

(١) رواه الترمذي: كتاب الأدب، باب ما جاء في فداك أبي وأمي، ح(٢٨٢٩)، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح. والحديث رواه البخاري: ح(٣٥١٩) ومسلم: ح(٢٤١٢) بدون زيادة: الغلام الحزور.

(٢) معجم مقاييس اللغة: ٢/٥٥.

(٣) رواه البخاري: كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب سعد بن أبي وقاص، ح(٣٥٢٢). ورواه مسلم: كتاب الزهد والرقاق، ح(٧٦٢٣).

(٤) البداية والنهاية: ٨/٧٩.

(٥) سنن أبي داود: باب في الشركة على غير رأس مال، ح(٣٣٩٠) والنسائي في سننه: كتاب البيوت، باب شركة الأبدان، ح(٣٩٣٧) وضعَّفه الألباني.

وقال عبد الله بن مسعود: لقد رأيت سعداً يقاتل يوم بدر قتال الفارس في الرجال[١].

وفي أحد برزت بسالته وصلابته حين وقف يدافع عن النبي ﷺ كالجبل الأشم والطود الشامخ فما هان ولا لان، وما تخاذل وما تكاسل، بل إن النبي ﷺ كان يناوله السهام- كما مرَّ- ويقول له: ارم فداك أبي وأمي.

ولم يتوقف عطاء سعد ﷺ عند هذا الحدّ، فالرجل كان عنده الكثير والكثير، فقد شهد غزوة الخندق التي تجمَّع فيها المشركون بقضِّهم وقضيضهم وحدِّهم وحديدهم يريدون اجتثاث الإسلام وتقويض أركانه وإزالة معالم دولته الناشئة، عندها خارت بعض العزائم وارتجفت بعض القلوب إلا أن سعداً ﷺ ومعه مجموعة كبيرة من الصحابة والآل ﷺ وقفوا صامدين يقدمون حياتهم فداء النبي ﷺ والدين.

وفي الحديبية بايع سعد تحت شجرة الرضوان واستحق عندها رضى الرحمن بنص القرآن: ﴿ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾[٢] وفي خيبر كان ممن اقتحم حصنها جنباً إلى جنب مع البطل الغالب علي بن أبي طالب، وفي فتح مكة حمل إحدى رايات المهاجرين إلى أن أيد الله بنصره المبين عباده المخلصين.

ولم يتوقف عطاء سعد ﷺ عند وفاة النبي ﷺ بل إنه استمر مغزاراً مكثاراً، فجاهد في خلافة الصِّدِّيق والفاروق ﷺ .

ولشجاعته ﷺ وخبرته بالحروب كان قائداً لكثير من فتوحات المسلمين، وأبلى فيها بلاءً حسناً، ومن هذه الفتوحات والمعارك التي شارك فيها فتوح العراق.

---

(١) سير أعلام النبلاء:١/١٠٠.

(٢) سورة الفتح الآية «١٨».

ومن أشهر معارك هذا الفتح معركة القادسية، تلك المعركة الشهيرة التي هزم فيها المسلمون الفرس في خلافة الفاروق بقيادة سعد ﷺ.

فقد استعان الفاروق عمر بسعد ﷺ وقال لمن حوله مخبراً إياهم أنه وجد الرجل الذي يصلح لقيادة المسلمين في هذه المعركة:

روى الطبري بسنده عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة بإسنادهما قالا: كان سعد بن أبي وقاص على صدقات هوازن، فكتب إليه عمر فيمن كتب إليه بانتخاب ذوي الرأي والنجدة ممن كان له سلاح أو فرس، فجاءه كتاب سعد إني قد انتخبت لك ألف فارس (مؤد)؟ كلهم له نجدة ورأي وصاحب حيطة يحوط حريم قومه ويمنع ذمارهم إليهم انتهت أحسابهم ورأيهم فشأنك بهم، ووافق كتابه مشورتهم، فقالوا: قد وجدته قال: فمَن؟ قالوا: الأسد عادياً، قال: مَن؟ قالوا: سعد، فانتهى إلى قولهم، فأرسل إليه، فقدِم عليه فأمَّره على حرب العراق وأوصاه[1].

وأدار سعد معركة القادسية وأجاد في قيادتها رغم أنه كان مريضا فقد أصيب بعرق النسا وكان لا يستطيع ركوب الخيل، إلا أن الله وفقه وكان النصر حليف المسلمين[2].

وفتح سعد المدائن وكانت هذه الموقعة «المدائن»، بعد موقعة القادسية بقرابة عامين، جرت خلالهما مناوشات مستمرة بين الفرس والمسلمين، وقد استطاع سعد هزيمة الفرس هزيمة ساحقة حين قاد الجيش وقسمه إلى كتيبتين، الأولى: واسمها كتيبة الأهوال، وأمَّر سعد عليها عاصم بن عمرو التميمي، والثانية: اسمها الكتيبة الخرساء، وأمَّر عليها القعقاع بن عمرو التميمي، وعبر بهما نهر دجلة الذي كان مترعاً بالماء، وعامت بهم الخيول إلى أن وصلوا إلى الناحية

---

(١) تاريخ الطبري: ٣/٤.

(٢) راجع: الكامل في التاريخ: ٢/٤٥١ وما بعدها.

الأخرى من الشاطىء والتحموا مع الفرس في معركة عجيبةٍ وقويةٍ كان النصر فيها حليف المسلمين[١].

سعد ﷺ واعتزال الفتنة:

كان سعد ﷺ آخر من مات من العشرة المبشرين بالجنة، بل وآخر المهاجرين موتاً، ولقد أدى ذلك إلى أن يعايش عصر الفتنة التي حلَّت بالمسلمين، وكان له موقف مخالف لما كان عليه الكثيرون، وهو اعتزاله للفتنة وعدم مشاركته بأي دور، أو انتمائه لأي صف.

ولكنه قبل ذلك بايع علياً أميراً للمؤمنين كما بايعه غيره، وكان ذلك في نهاية سنة خمسة وثلاثين من الهجرة.

إلا أنه لما اشتدت الخطوب قرر سعد ﷺ أن يعتزل هذا الأمر، وأن يكفَّ يده عن الخوض في دماء المسلمين، ولعل ذلك لما سمعه من رسول الله ﷺ وما رواه هو عنه من أحاديث تشير في مجملها إلى اعتزال الفتنة والبعد عن مواردها وأسبابها.

روى الترمذي في سننه بسنده عن بسر بن سعيد: أن سعد بن أبي وقاص قال عند فتنة عثمان بن عفان: أشهد أن رسول الله ﷺ قال: إنها ستكون فتنة القاعد فيها خير من القائم والقائم، خير من الماشي والماشي، خير من الساعي، قال: أفرأيت إن دخل علي بيتي وبسط يده إلي ليقتلني؟ قال: كن كابن آدم[٢].

وروى مسلم بسنده عن عثمان الشحام قال: انطلقت أنا وفرقد السبخي إلى مسلم بن أبي بكرة وهو في أرضه، فدخلنا عليه فقلنا: هل سمعت أباك يحدِّث في الفتن حديثاً؟ قال: نعم، سمعت أبا بكرة يحدِّث قال: قال رسول الله ﷺ: إنها ستكون فتن، ألا ثم تكون فتنة القاعد فيها، خير من الماشي فيها والماشي

---

(١) تاريخ الطبري: ٣/١٢١، ١٢٢.

(٢) رواه الترمذي: كتاب الفتن باب ستكون فتنة ح(٢١٩٤) وقال الألباني: صحيح. وأحمد في المسند: مسند سعد بن أبي وقاص، ح(١٦٠٩) وعلَّق شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.

فيها خير من الساعي إليها، ألا فإذا نزلت أو وقعت فمن كان له إبل فليلحق بإبله، ومن كانت له غنم فليلحق بغنمه، ومن كانت له أرض فليلحق بأرضه، قال: فقال رجل: يا رسول الله أرأيت من لم يكن له إبل ولا غنم ولا أرض؟ قال: يعمد إلى سيفه فيدق على حِّده بحجر، ثم لينج إن استطاع النجاء، اللهم هل بلغت؟ اللهم هل بلغت؟ اللهم هل بلغت؟ قال: فقال رجل: يا رسول الله، أرأيت إن أُكرهت حتى يُنطلق بي إلى أحد الصفَّين، أو إحدى الفئتين فضربني رجل بسيفه، أو يجئ سهم فيقتلني؟ قال: يبوء بإثمه وإثمك ويكون من أصحاب النار[(١)].

وكانت نتيجة هذه الروايات التي رواها سعد بن أبي وقاص وغيره أن اعتزل سعد ﷺ الفتنة، فاشترى أرضاً بعيدةً عن المدينة، وبنى فيها بيتاً وجهَّزه للسكنى، ولما وقعت الفتنة في آخر السنة الخامسة والثلاثين خرج إليها معتزلاً كل الأحداث.

وكانت اسم الأرض التي اشتراها وجهَّزها لاعتزاله قَلَهِّي.

ورد في معجم البلدان: قَلَهِّي، بفتح أوله وثانيه، وتشديد الهاء وكسرها: حفيرة لسعد بن أبي وقاص، بها اعتزل سعد بن أبي وقاص الناس لما قُتِل عثمان بن عفان ﷺ، وأمر أن لا يحدث بشئ من أخبار الناس حتى يصطلحوا[(٢)].

قال الذهبي: وسعد كان ممن اعتزل علياً ومعاوية[(٣)].

وقال أيضا: اعتزل سعد الفتنة فلا حضر الجمل ولا صِفِّين ولا التحكيم، ولقد كان أهلاً للإمامة، كبير الشأن ﷺ[(٤)].

---

(١) رواه مسلم: كتاب الفتن، باب نزول الفتن كمواقع القطر، ح(٢٨٨٧).

(٢) معجم البلدان: الحموي، ٣٩٣/٤ -٣٩٤.

(٣) تاريخ الإسلام للذهبي: ٢١٩/٤.

(٤) سير أعلام النبلاء: ١٢٢/١.

وقال الزبير بن بكار: كان سعد قد اعتزل في الآخر في قصر بناه بطرف حمراء الأسد، واتخذها أرضاً ومات بها، وحُمِل إلى المدينة فدُفن بها[١].

ولقد تكلم علي رضي الله عنه في موقف سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه بما يفهم منه رضاه بصنيعه، فخطب بعد الحكمين فقال: لله منزل نزله سعد بن مالك وعبد الله بن عمر، والله لئن كان ذنباً، يعني اعتزالهما، إنه لصغير مغفور، ولئن كان حسناً، إنه لعظيم مشكور[٢].

لقد اعتزل سعد رضي الله عنه الفتنة، واعتزل أمر الخلافة، وكان له موقف واضح منها، فقد جاءه ابن أخيه هاشم بن عتبة يطلب منه أن يتولى أمر الخلافة ويحقن دماء المسلمين التي جرت بين علي ومعاوية، فكان ردُّ سعد عليه واضحاً صارماً.

روى ابن عساكر أن هاشم بن عتبة بن أبي وقاص جاء سعداً فقال له: ها هنا مائة ألف سيف يرونك أحق الناس بهذا الأمر، فقال: أريد من مائة ألف سيف سيفاً واحداً إذا ضربت به المؤمن لم يصنع شيئاً، وإذا ضربت به الكافر قطع[٣].

كما وجَّه له ابنه عرضاً من هذا القبيل إلا أنه أيضا رفضه واستعاذ بالله من شرِّه.

روى مسلم في صحيحه بسنده عن عامر بن سعد قال: كان سعد بن أبي وقاص في إبله، فجاءه ابنه عمر، فلما رآه سعد قال: أعوذ بالله من شرِّ هذا الراكب، فنزل فقال له: أنزلت في إبلك وغنمك وتركت الناس يتنازعون الملك بينهم؟ فضرب سعد في صدره فقال: اسكت، سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الله يحب العبد التقي الغني الخفي[٤].

(١) سير أعلام النبلاء: ١٢٣/١ – تاريخ الإسلام: ٤/ ٢٢٠– الوافي بالوفيات:٩٢/١٥

(٢) المعجم الكبير: نسبة سعد بن أبي وقاص، ح(٣١٩) – تاريخ الإسلام للذهبي: ٢٢٠/٤.

(٣) تاريخ دمشق: ٢٨٧/٢٠.

(٤) رواه مسلم: كتاب الزهد والرقائق، باب الدنيا سجن المؤمن، ح(٢٩٦٥).

وفي مسند أبي يعلي عن عامر بن سعد بن أبي وقاص: أن أباه حين رأى اختلاف أصحاب رسول الله ﷺ وتفرُّقهم اشترى له ماشية، ثم خرج فاعتزل فيها بأهله على ماء يقال له: قَلَهَّي، قال: وكان سعد أحدَّ الناس بصراً، فرأى ذات يوم شيئاً يزول فقال لمن تبعه: ترون شيئاً؟ قالوا: نرى شيئا كالطير قال: أرى راكباً على بعير، ثم جاء بعد قليل عمر بن سعد على بختي – أو بختية – ثم قال: اللهم إنا نعوذ بك من شر ما جاء به، فسلَّم عمر، ثم قال لأبيه: أرضيت أن تتبع أذناب هذه الماشية بين هذه الجبال وأصحابك يتنازعون في أمر الأمة!؟ فقال سعد بن أبي وقاص: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنها ستكون بعدي فتن – أو قال: أمور – خير الناس فيها الغني الخفي التقي، فإن استطعت يا بني أن تكون كذلك فكن، فقال له عمر: أما عندك غير هذا؟ فقال له سعد: لا يا بني، فوثب عمر ليركب، ولم يكن حطَّ عن بعيره، فقال له سعد: أمهل حتى نغذيك قال: لا حاجة لي بغدائكم، قال سعد: فنحلب لك فنسقيك. قال: لا حاجة لي بشرابكم، ثم ركب فانصرف مكانه[1].

كما كان لسعدٍ ﷺ موقف صارم من إمارة معاوية وخلافته أيام الفتنة.

ذكر الذهبي: قال عمر بن الحكم، عن عوانة: دخل سعد على معاوية، فلم يسلِّم عليه بالإمارة، فقال معاوية: لو شئت أن تقول غيرها لقلت، قال: فنحن المؤمنون ولم نؤمِّرك، فإنك معجب بما أنت فيه، والله ما يسرُّني أني على الذي أنت عليه، وأني هرقت محجمة دم[2].

وذكر ابن كثير قال: قال كثير النوري: عن عبد الله بن بديل قال: دخل سعد على معاوية فقال له: مالك لم تقاتل معنا؟ فقال: إني مرَّت بي ريح مظلمة، فقلت: أخ أخ، فأنخت راحلتي حتى انجلت عني، ثم عرفت الطريق فسرت، فقال

---

(١) مسند أبي يعلي: مسند سعد بن أبي وقاص، ح(٧٤٩) وقال حسين سليم أسد: رجاله رجال الصحيح.

(٢) سير أعلام النبلاء: ١/١٢٢.

معاوية: ليس في كتاب الله: أخ أخ، ولكن قال الله تعالى: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَـٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ ﴾[1] فوالله ما كنت مع الباغية، على العادلة، ولا مع العادلة على الباغية. فقال سعد: ما كنت لأقاتل رجلاً قال له رسول الله ﷺ «أنت مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي»، فقال معاوية: مَن سمع هذا معك؟ فقال: فلان وفلان وأم سلمة، فقال معاوية: أما إني لو سمعته منه ﷺ لما قاتلت علياً، وفي رواية من وجه آخر: أن هذا الكلام كان بينهما وهما بالمدينة في حجّة حجّها معاوية[2].

فانظر رحمك الله إلى هذه الشجاعة من سعد رضي الله عنه، إنه قد اتخذ موقفاً واقتنع به ودافع عنه حتى أمام معاوية رضي الله عنه، وانظر أيضا إلى معاوية رضي الله عنه الذي سمع كلام سعد رضي الله عنه واستقبله استقبالاً طيباً، بل وأعلن أنه لو علم ما علمه سعد رضي الله عنه ما أقدم على القتال.

إن هذا المشهد الماثل بين أيدينا فيه خير دلالة على روح المودة التي كانت سائدة بين الأصحاب رغم ما كان بينهم من اختلافات.

وفاة سعد رضي الله عنه:

وبعد حياةٍ حافلة بالإيمان والعطاء للإسلام توفي سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه وقد خلف من ورائه تراثاً عظيماً وتاريخاً مشرفاً يشرف كل رجل بأن ينسب له، أو يضاف إليه.

ذكر ابن سعد في الطبقات: مات سعد في قصره بالعقيق على عشرة أميال من المدينة، فحُمِل إلى المدينة على رقاب الرجال، فدفن بالبقيع، وذلك سنة خمس وخمسين وصلّى عليه مروان بن الحكم، وهو يومئذ والي المدينة لمعاوية،

---

(١) سورة الحجرات الآية «٩».

(٢) ابن كثير البداية والنهاية: ٨ /٨٣ -٨٤.

وكان سعد يوم مات ابن بضع وسبعين سنة وكان قد ذهب بصره، هكذا قال محمد بن عمر في وقت وفاته، وقال غيره: توفي سنة خمسين[١].

وذكر ابن حجر أنه مات سنة إحدى وخمسين، وقيل: ست وقيل: سبع وقيل: ثمان، والثاني أشهر، وقد قيل: إنه مات سنة خمس، وقيل: سنة أربع[٢].

وكان قُبيل وفاته حسن الظن بربه متطلعاً إلى لقائه، ويحدثنا ابنه مصعب عن لحظاته الأخيرة التي فاضت فيها روحه إلى باريها ويقول: كان رأس أبي في حجري وهو يقضي، فدمعت عيناي، فنظر إليَّ، فقال: ما يبكيك أى بني؟ فقلت: لمكانك وما أرى بك، قال: فلا تبك عليَّ، فإن الله لا يعذبنى أبداً وأنا من أهل الجنة، إن الله يدين المؤمنين بحسناتهم ما عملوا لله، وأما الكفار فيخفف عنهم بحسناتهم، فإذا نفذت قال: ليطلب كل عامل ثواب عمله ممن عمل له[٣].

إن سعداً ﷺ كان حَسَن الظن بالله تعالى، وطامعاً في رحمته ومغفرته، وموقِناً بعدله وفضله، وهكذا فاضت روح سعد الطاهرة إلى باريها بعد رحلة من الإيمان عاشها سعد لدينه ووهبها لنصرته، وكانت نتيجة إخلاصه أن بشَّره رسول الله بالجنة فهنيئاً له.

---

(١) الطبقات: ١٣/٦.

(٢) الإصابة: ٦٢/٣.

(٣) تاريخ دمشق: (٣٦٤/٢٠) — الطبقات الكبرى: ١٤٧/٣.

عاشر العشرة

سعيد بن زيد ﷺ

سعيد الدنيا والآخرة

الآن ينتقل بنا الحديث إلى صحابي جليل سابق بالخيرات وسبَّاق إلى الطاعات، تقطر منه الفضائل، وتفوح من شذى سيرته المكارم، عرف الفضائل وعرفته وألفها وألفته، إنه سعيد الدنيا والآخرة سعيد بن زيد ﷺ.

اسمه ونسبه ﷺ:

هو: سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن قرط بن رزاح ابن عدي بن كعب بن لؤي بن غالب، أبو الأعور القرشي العدوي.

وأمه فاطمة بنت بعجة بن أمية بن خويلد بن خالد بن المعمر بن حيان بن غنم ابن مليح من خزاعة[1].

وواضح من نسب هذا الصحابي الجليل أنه يلتقي مع النبي ﷺ في جدِّه كعب بن لؤي، وهذا بعد الإيمان منقبة جليلة، فمَن ذا لا يحب أن يتصل مع النبي ﷺ بنسبٍ.

وسعيد بن زيد ﷺ أحد العشرة المشهود لهم بالجنة والذين بشَّرهم رسول الله ﷺ بها، ومن السابقين الأولين البدريين، ومن الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه.

كنيته:

وقد عُرف سعيد ﷺ بكنية لازمته وصارت علماً عليه يُعرف بها وتُعرف به، وهي أبو الأعور[2]. وذَكر ابن الأثير كنية أخرى له بجانب السابقة وهي: أبو ثور، إلا أنه رجَّح أن الأولى أشهر[3].

---

(١) الطبقات الكبرى: ٣٧٩/٣ – سير أعلام النبلاء: ١ / ١٢٤.

(٢) راجع: الطبقات الكبرى: ٣٧٩/٣ – مشاهير علماء الأمصار: ابن حبان، ص٢٦ – التاريخ الكبير- البخاري: ٣ /٤٥٢ – سير أعلام النبلاء: ١٢٤/١.

(٣) أسد الغابة: ابن الأثير، ٣٠٦/٢.

صفته ﷺ:

كان سعيد ﷺ رجلاً طوالا آدم أشعر[(١)].

إطلالة على بيته (زوجاته وأولاده) ﷺ :

تزوَّج سعيد ﷺ من ابنة عمه فاطمة أخت عمر بن الخطاب، وأخته عاتكة زوجة عمر.

قال ابن الأثير: وكان صهر عمر زوج أخته فاطمة بنت الخطاب، وكانت أخته عاتكة بنت زيد تحت عمر بن الخطاب تزوجها بعد أن قتل عنها عبد الله ابن أبي بكر الصِّدِّيق ﷺ[(٢)].

وقال ابن عبد البر: هو- سعيد- ابن عم عمر بن الخطاب وصهره، يكنى أبا ألأعور، كانت تحته فاطمة بنت الخطاب أخت عمر بن الخطاب، وكانت أخته عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل تحت عمر بن الخطاب[(٣)].

وكان لسعيد بن زيد من الولد: عبد الرحمن الأكبر لا بقية له، وأمه رملة وهي أم جميل بنت الخطاب بن نفيل، وزيد لا بقية له وعبد الله الأكبر لا بقية له وعاتكة، وأمهم جليسة بنت سويد بن صامت، وعبد الرحمن الأصغر لا بقية له وعمر الأصغر لا بقية له وأم موسى وأم الحسن، وأمهم أمامة بنت الدجيج من غسان، ومحمد وإبراهيم الأصغر وعبد الله الأصغر وأم حبيب الكبرى وأم الحسن الصغرى وأم زيد الكبرى وأم سلمة وأم حبيب الصغرى وأم سعيد الكبرى توفيت قبل أبيها وأم زيد، وأمهم حزمة بنت قيس بن خالد، وعمرو الأصغر والأسود، وأمهما أم الأسود امرأة من بني تغلب، وعمرو الأكبر وطلحة هلك قبل أبيه لا بقية له وزجلة امرأة، وأمهم ضمخ بنت الأصبغ بن شعيب، وإبراهيم الأكبر وحفصة، وأمهما ابنة قربة من بني تغلب، وخالد وأم خالد

(١) راجع: الطبقات الكبرى: ٣/ ٣٨٤ الإصابة: ٣/ ٨٨. تهذيب التهذيب: ٤/ ٣١.

(٢) أسد الغابة: ابن الأثير، ٢/ ٣٠٦.

(٣) الاستيعاب: ابن عبد البر، ٢/ ٦١٤.

توفيت قبل أبيها، وأم النعمان، وأمهم أم خالد أم ولد، وأم زيد الصغرى وأمها أم بشير بنت أبي مسعود الأنصاري، وأم زيد الصغرى كانت تحت المختار بن أبي عبيد، وأمها من طئ، وعائشة وزينب وأم عبد الحولاء وأم صالح، وأمهم أم ولد[1].

سعيد بن زيد ﷺ في أحضان والده:

نشأ سعيد بن زيد ﷺ في أحضان والده زيد بن عمرو بن نفيل الحنيفي الثائر، الذي ترك ما كان عليه قومه من عبادة الأصنام والأوثان، وعبد الله تعالى على ملة إبراهيم عليه السلام.

ذكر ابن سعد في طبقاته: وكان أبو ه زيد بن عمرو بن نفيل يطلب الدين، وقدم الشام فسأل اليهود والنصارى عن العلم والدين فلم يعجبه دينهم، فقال له رجل من النصارى: أنت تلتمس دين إبراهيم، فقال زيد: وما دين إبراهيم؟ قال: كان حنيفاً لا يعبد إلا الله وحده لا شريك له وكان يعادي من عبد من دون الله شيئاً، ولا يأكل ما ذبح على الأصنام، فقال زيد بن عمرو: وهذا الذي أعرف وأنا على هذا الدين، فأما عبادة حجر أو خشبة أنحتها بيدي فهذا ليس بشيء، فرجع زيد إلى مكة وهو على دين إبراهيم[2].

وعن عامر بن ربيعة قال: كان زيد بن عمرو بن نفيل يطلب الدين، وكره النصرانية واليهودية وعبادة الأوثان والحجارة، وأظهر خلاف قومه واعتزال آلهتهم وما كان يعبد آباؤهم، ولا يأكل ذبائحهم فقال لي: يا عامر، إني خالفت قومي واتبعت ملة إبراهيم وما كان يعبد وإسماعيل من بعده، وكانوا يصلون إلى هذه القبلة، فأنا أنتظر نبياً من ولد إسماعيل يُبعث، ولا أراني أدركه وأنا أؤمن به وأصدقه وأشهد أنه نبي، فإن طالت بك مدة فرأيته فأقرئه مني السلام. قال عامر: فلما تنبأ رسول الله ﷺ أسلمت وأخبرته بقول زيد بن عمرو وأقرأته منه

(١) الطبقات الكبرى: ٣/٣٨١-٣٨٢.

(٢) الطبقات الكبرى: ٣/٣٧٩.

السلام، فرد عليه رسول الله ﷺ ورحَّم عليه، وقال: قد رأيته في الجنة يسحب ذيولاً[(١)].

وروى الذهبي عن أسماء بنت أبي بكر قالت: لقد رأيت زيد بن عمرو بن نفيل قائماً مسنِداً ظهره إلى الكعبة يقول: يا معشر قريش ! والله ما فيكم أحد على دين إبراهيم غيري[(٢)].

وفي رواية النسائي بسنده عن أسماء بنت أبي بكر قالت: رأيت زيد بن عمرو ابن نفيل وهو مسند ظهره إلى الكعبة وهو يقول: ما منكم اليوم أحد على دين إبراهيم غيري، وكان يقول: إلهي إله إبراهيم وديني دين إبراهيم .. وذكره النبي ﷺ فقال: يبعث يوم القيامة أمة وحده، بيني وبين عيسى[(٣)].

وذكر ابن سعد أنه كان يحيي الموؤودة، يقول للرجل إذا أراد أن يقتل ابنته: مهلاً ! لا تقتلها. أنا أكفيك مؤونتها، فيأخذها، فإذا ترعرعت، قال لأبيها: إن شئت، دفعتها إليك، وإن شئت، كفيتك مؤونتها[(٤)].

وذكر الذهبي عدة أبيات نسبها إلى زيد بن عمرو تشهد بإيمانه بالمولى جل وعلا.

يُروى لزيد:

أسلمت وجهي لمن أسلمت له ❖ المزن تحمل عذبا زلالا
إذا سقيت بلدة من بلاد ❖ سيقت إليها فسحت سجالا
وأسلمت نفسي لمن أسلمت ❖ له الأرض تحمل صخرا ثقالا
دحاها فلما استوت شدها ❖ سواء وأرسى عليها الجبالا[(٥)].

---

(١) الطبقات الكبرى: ٣٧٩/٣.

(٢) سير أعلام النبلاء: ١٢٨/١.

(٣) سنن النسائي الكبرى: كتاب المناقب، باب زيد بن عمرو بن نفيل، ح (٨١٨٧) .

(٤) الطبقات الكبرى: ٣٨١/٣ – سير أعلام النبلاء:١ /١٢٨ وقال الذهبي: هذا حديث صحيح غريب، تفرَّد به الليث، وإنما يرويه عن هشام كتابة، وقد علقه البخاري في صحيحه.

(٥) سير أعلام النبلاء: ١ / ١٣٢.

في هذه البيئة نشأ سعيد بن زيد ﷺ، وعلى يد أبيه هذا الحنيفي تربى، ولهذا لما بعث النبي ﷺ كان سعيد ﷺ من أول من أسلم به، فقد أسلم قبل أن يدخل الرسول ﷺ دار الأرقم. وكان إسلام عمر عنده في بيته لأنه كان زوج أخته فاطمة[١].

هجرة سعيد وجهاده ﷺ:

هاجر سعيد ﷺ إلى المدينة، ونزل على رفاعة بن عبد المنذر أخي أبي لبابة، وآخى رسول الله ﷺ بين سعيد بن زيد ورافع بن مالك الزرقي[٢].

يقول ابن عبد البر: وكان سعيد بن زيد من المهاجرين الأولين، وكان إسلامه قديماً قبل عمر، وبسبب زوجته كان إسلام عمر بن الخطاب وخبرهما في ذلك خبر حسن، وهاجر هو وامرأته فاطمة بنت الخطاب، ولم يشهد بدراً؛ لأنه كان غائباً بالشام قدم منها بعقب غزوة بدر فضرب له رسول الله ﷺ بسهمه وأجره[٣].

وعليه فقد شهد سعيد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ما عدا بدراً فإنه كان غائبا فيها إثر بعث النبي ﷺ له ولطلحة إلى الشام ليتحسسا أخبار القافلة، وقد ضرب له النبي ﷺ بسهم فيها[٤].

روى ابن سعد في الطبقات أنه لما تحين رسول الله وصول عير قريش من الشام بعث طلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل قبل خروجه من المدينة بعشر ليال يتحسبان[٥] خبر العير، فخرجا حتى بلغا الحوراء فلم يزالا مقيمين هناك حتى مرت بهما العير، وبلغ رسول الله ﷺ الخبر قبل رجوع طلحة

---

(١) الإصابة: ابن حجر، ٣ / ٨٧.

(٢) الطبقات الكبرى: ٣٨٢/٣.

(٣) الاستيعاب: ابن عبد البر، ٦١٥/٢.

(٤) راجع: سير أعلام النبلاء: ١٣٥/١ .

(٥) وفي رواية ابن عساكر: يتحسسان. (تاريخ دمشق: ٦٩/٢١).

وسعيد إليه، فندب أصحابه وخرج يريد العير فساحلت العير وأسرعت وساروا الليل والنهار فرقا من الطلبة، وخرج طلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد يريدان المدينة ليخبرا رسول الله ﷺ خبر العير، ولم يعلما بخروجه فقدما المدينة في اليوم الذي لاقى رسول الله ﷺ في النفير من قريش ببدر، فخرجا من المدينة يعترضان رسول الله فلقياه بتربان فيما بين ملل والسيالة على المحجة منصرفاً من بدر، فلم يشهد طلحة وسعيد الوقعة وضرب لهما رسول الله بسهمانهما وأجورهما في بدر، فكانا كمن شهدها[١].

وشهد سعيد بن زيد أحداً والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وأبلى فيها بلاءً حسناً[٢].

وشهد سعيد رضي الله عنه اليرموك، وكان من أمراء الجيش فيها، وأبلى فيها بلاءً حسناً، وكان سعيد بحقٍ من أعاجيب هذه المعركة، فقد وضعه أبو عبيدة رضي الله عنه في القلب، وهو مكان لا يوضع فيه إلا مجاهد شجاع مثابر، فلما نظر سعيد رضي الله عنه إلى الروم وخافها، اقتحم إلى الأرض وجثى على ركبتيه حتى إذا دنوا منه طعن برايته أول رجلٍ من القوم، ثم ثار في وجوههم كأنه الليث، وأخذ يقاتل ويعطف الناس إليه[٣].

وذكر الذهبي أن سعيد بن زيد رضي الله عنه شهد المشاهد مع رسول الله ﷺ، وشهد حصار دمشق وفتحها، فولاَّه عليها أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه، فهو أول من عمل نيابة دمشق من هذه الأمة[٤].

---

(١) الطبقات الكبرى: ٣٨٢/٣، ٣٨٣ – تهذيب الكمال للمزي: ٤٤٨/١٠.

(٢) انظر: الطبقات الكبرى: ٣٨٣/٣ – أُسد الغابة: ٣٠٧/٢.

(٣) انظر: تاريخ دمشق: ابن عساكر، ١٥٥/٢.

(٤) سير أعلام النبلاء: ١٢٤/١، ١٢٥.

وقال عنه ابن عساكر: أحد العشرة الذين شهد لهم النبي ﷺ بالجنة، شهد اليرموك وحصار دمشق وولاَّه أبو عبيدة بن الجراح دمشق، وخرج مع عمر بن الخطاب في خرجته الثانية إلى الشام التي رجع فيها من سرغ[1]، وكان أميراً على على ربع المهاجرين[2].

من مناقب سعيد ﷺ وفضائله:

ذكر أبو نعيم في فضل سعيد بن زيد كلاماً لطيفاً جميلاً أرى أن موضعه أن يذكر هنا قال: وأما سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل فكان بالحق قوَّالاً ولماله بذَّالاً ولهواه قامعاً وقتَّالاً، ولم يكن ممن يخاف في الله لومة لائم، وكان مجاب الدعوة، سبق الإسلام قبل عمر بن الخطاب ب، شهد بدراً بسهمه وأجره، رغب عن الولاية وتشمر في الرعاية، قمع نفسه وأخفى عن المنافسة في الدنيا شخصه، اعتزل الفتنة والشرور المؤدية إلى الضيعة والغرور عازماً على السبقة والعبور المفضي إلى الرفعة والحبور، كان للولايات قالياً، وفي مراتب الدنيا وانياً، وفي العبودية غانياً، وعن مساعدة نفسه فانياً[3].

ما أجمل هذه العبارات النديات التي تصف حال سعيد بن زيد وتشير إلى فضائله ومناقبه في كلمات موجزات بليغات، وفيما يلي عرض موجز لفضائل سعيد بن زيد ﷺ ومن أهمها:

---

(١) سرغ: هي أول الحجاز وآخر الشام بين المغيثة وتبوك من منازل حاج الشام، وهناك لقى عمر بن الخطاب ﷺ، أمراء الأجناد، بينها وبين المدينة ثلاث عشرة مرحلة، وقال مالك بن أنس: هي قرية بوادي تبوك، وهي آخر عمل الحجاز الأول، وهناك لقي عمر بن الخطاب من أخبره بطاعون الشام فرجع إلى المدينة. (معجم البلدان، الحموي: ٢١١/٣ -٢١٢).

(٢) تاريخ دمشق: ابن عساكر:٦٢/٢١.

(٣) حلية الأولياء: ٩٥/١.

مكانة سعيد ﷺ عند رسول الله وثناء النبي ﷺ عليه:

بلغت مكانة سعيد ﷺ عند النبي ﷺ مبلغاً عظيماً، وارتقت إلى درجة كبيرة؛ وذلك لسبقه في الإسلام، ولما رأى الرسول من صدقه وإخلاصه وشجاعته، فقربه إليه وأدناه منه، وجعله من أقرب أصحابه إليه.

روى ابن عساكر بسنده عن سعيد بن جبير قال: كان مقام أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وسعد وسعيد وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف مع النبي ﷺ واحداً، كانوا أمامه في القتال وخلفه في الصلاة في الصف، وليس لأحدٍ من المهاجرين والأنصار يقوم مقام أحد منهم غاب أم شهد[1].

وقد بشَّره النبي ﷺ بالجنة.

روى الترمذي في سننه بسنده عن عبد الرحمن بن حميد عن أبيه أن سعيد بن زيد حدثه في نفر: أن رسول الله ﷺ قال: عشرة في الجنة: أبو بكر في الجنة وعمر في الجنة وعثمان وعلي والزبير وطلحة وعبد الرحمن وأبو عبيدة وسعد بن أبي وقاص، قال: فعدَّ هؤلاء التسعة وسكت عن العاشر، فقال القوم: ننشدك الله يا أبا الأعور من العاشر؟ قال: نشدتموني بالله أبو الأعور في الجنة، قال أبو عيسى: أبو الأعور هو سعيد بن زيد بن عمرو بن نوفل[2].

وروى أحمد والترمذي عن عبد الرحمن بن عوف أنه قال: قال رسول الله ﷺ: أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وسعد في الجنة، وسعيد في الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة[3].

---

(١) تاريخ دمشق:٢١/٨٣.

(٢) سنن الترمذي: كتاب المناقب، باب مناقب عبد الرحمن بن عوف ﷺ، ح(٣٧٤٨) وعلَّق الشيخ الألباني: صحيح. ورواه الحاكم في المستدرك: كتاب المناقب، باب مناقب سعيد بن زيد، ح(٥٨٥٨).

(٣) رواه أحمد في مسنده: ح(١٦٧٥) وقال شعيب: إسناده قوي على شرط مسلم- والترمذي: كتاب المناقب، باب مناقب عبد الرحمن بن عوف،ح(٣٧٤٧). وقال الألباني: صحيح. والنسائي في الكبرى: ح(٨١٩٤) وابن حبان: كتاب إخباره عن مناقب الصحابة، ح(٧٠٠٢) .

وروى أحمد بسنده عن سعيد بن زيد أن النبي ﷺ قال: اسكن حراء، فليس عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد. قال: وعليه النبي ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف وسعيد بن زيد ﷺ[1].

كل هذه الروايات تدل على مكانة سعيد عند رسول الله ﷺ، وتشهد بما لا يدع مجالاً للشك أن سعيداً من أصفياء أصحاب رسول الله وأقربهم إليه، فالرسول ﷺ لن يتكلم بهذا الكلام إلا عن رجلٍ خلصت نيته وصفت طويته فكان ممن رضي عنهم مولاهم، فقرَّبهم وأدناهم، وبجنته بشَّرهم ومنَّاهم.

إجابة الله لدعاء سعيد ﷺ:

ومن مناقبه ﷺ أن الله استجاب دعاءه في واقعة مشهورة جرت بينه وبين أروى بنت أويس حين أتت مروان بن الحكم مستغيثة، تستغيثه من سعيد بن زيد وقالت: ظلمني أرضي وغلبني حقي، وكان جارها بالعقيق، وكانت له ظالمة، وجاء فدافع عن نفسه، فأصرت على ادعائها، فأعطاها ما ادعت، ثم دعى عليها فاستجاب الله دعاءه.

روى أبو نعيم في الحلية بسنده عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أن أروى استعدت على سعيد بن زيد إلى مروان بن الحكم فقال سعيد: اللهم إنها قد زعمت أني ظلمتها، فإن كانت كاذبة فاعم بصرها وألقها في بئرها وأظهر من حقي نوراً يبين للمسلمين أني لم أظلمها. قال: فبينا هم على ذلك إذ سال العقيق بسيلٍ لم يسل مثله قط، فكشف عن الحد الذي كانا يختلفان فيه، فإذا سعيد قد كان في ذلك صادقاً، ولم تلبث إلا شهراً حتى عميت، فبينا هي تطوف في أرضها تلك إذ سقطت في بئرها. قال: فكنا ونحن غلمان نسمع الإنسان يقول للإنسان: أعماك الله كما أعمى الأروى، فلا نظن إلا أنه يريد

(١) مسند أحمد: باب مسند سعيد بن زيد، ح (١٦٣٠).وعلق عليه شعيب الأرنؤوط: إسناده قوي.

الأروى التي من الوحش، فإذا هو إنما كان ذلك لما أصاب أروى من دعوة سعيد ابن زيد، وما يتحدث الناس به مما استجاب الله له سؤله[١].

وروى ابن عساكر بسنده أن أروى بنت أويس أتت مروان بن الحكم مستغيثة من سعيد بن زيد، وقالت: ظلمني أرضي وغلبني حقي وكان جارها بالعقيق، فركب إليه عاصم بن عمر، فقال: أنا أظلم أروى حقها! فوالله لقد أبقيت لها ستمائة ذراع من أرضي من أجل حديث سمعته من رسول الله ﷺ سمعت رسول الله ﷺ يقول: من أخذ من حق امرئٍ من المسلمين شيئا بغير حق طُوِّقه يوم القيامة حتى سبع أرضين، قومي يا أروى فخذي الذي تزعمين أنه حقك، فقامت فتسحبت في حقه، فقال: اللهم إن كانت ظالمة فأعم بصرها واقتلها في بئرها، فعميت ووقعت في بئرها، فماتت[٢].

إن سعيد بن زيد رضي الله عنه أخلص قلبه لمولاه، فكان من أوليائه المقربين الذين هم لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، والذين توعد الله من آذاهم بالحرب.

فقد روى البخاري بسنده عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب ..[٣].

في بيت سعيد بن زيد رضي الله عنه نال الفاروق رضي الله عنه السعادة:

ومن صور فضل سعيد بن زيد رضي الله عنه: أن إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان على يده هو وزوجه وفي بيته، فبيت سعيد بن زيد رضي الله عنه هو الذي شهد خروج عمر بن الخطاب من ظلمات الكفر إلى نور الإسلام، كما كان لسعيد بن زيد أثر كبير في إسلام الفاروق عمر، فسعيد ابن عم عمر وزوج أخته، وقد أسلم هو وزوجته مبكراً، ولما علم عمر رضي الله عنه بإسلامهما هاج وماج وغضب ونال منهما بيده

---

(١) حلية الأولياء: ٩٧/١ – أسد الغابة: ٢ /٣٠٧. – تهذيب الكمال للمزي: ٤٥٢/١٠. والحديث رواه البخاري مختصراً (٣٠٢٦) ورواه مسلم: (١٦١٠) بدون الزيادة في آخره من كلام الغلمان.

(٢) تاريخ دمشق: ٨٨/٢١.

(٣) رواه البخاري: كتاب الرقاق، باب التواضع، ح(٦٠٢١).

قبل لسانه، فما وجد منهما إلا ثباتاً وإصراراً، ثم ما لبث أن هدأ وسمع بعض آي القرآن وألان الله له قلبه فأعلن إسلامه ببركة دعاء النبي ﷺ، ثم هذا البيت الطاهر[1].

سعيد بن زيد ﷺ وأصحاب الشورى:

قد يشكل على البعض أن سعيداً لم يكن من الستة أصحاب الشورى الذين ذكرهم عمر بن الخطاب قبيل وفاته، ويتوهم أن فيها منقصة له أو نزولاً به عن مرتبة الفضل التي يستحقها، والحق أن سعيد لم يكن بالفعل من أهل الشورى، ولكن ذلك لم يكن لنقصٍ فيه، أو لأنه كان متأخراً عن رتبة أهل الشورى في السابقة والجلالة، وإنما الذي حدث أن عمر ﷺ تركه لئلا يبقى له فيه شائبة حظ، لأنه ختنه وابن عمه، ولو ذكره في أهل الشورى لربما توهَّم البعض أنه حاباه لقرابته منه، أو ربما يُحابا سعيد ﷺ فيولَّى لقرابته من عمر ﷺ، فأراد عمر ﷺ أن يسدَّ هذا الباب فلم يذكره.

ذكر ابن كثير في البداية: كان عمر ﷺ قد جعل الأمر بعده شورى بين ستة نفر وهم عثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمن بن عوف ﷺ. وتحرَّج أن يجعلها لواحدٍ من هؤلاء على التعيين، وقال: لا أتحمل أمرهم حياً وميتاً، وإن يرد الله بكم خيراً يجمعكم على خير هؤلاء، كما جمعكم على خيركم بعد نبيكم ﷺ، ومن تمام ورعه لم يذكر في الشورى سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل؛ لأنه ابن عمه، خشي أن يراعى فيولى لكونه ابن عمه، فلذلك تركه. وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة. بل جاء في رواية المدائني عن شيوخه أنه استثناه من بينهم، وقال: لست مدخله فيهم، وقال لأهل الشورى: يحضركم عبد الله -

---

(١) راجع في قصة إسلام عمر: تاريخ الخلفاء، السيوطي، ص١٢٥، ١٢٦ ـ تاريخ مدينة دمشق: ابن عساكر، ٣٤/٤٤، ٣٥ - الطبقات الكبرى: ابن سعد، ٣ /٢٦٧، ٢٦٨،

يعني ابنه – وليس إليه من الأمر شئ – يعني بل يحضر الشورى ويشير بالنصح ولا يولي شيئاً[(١)].

وعليه فعمر ﷺ كان حريصاً كل الحرص على ردِّ أي شبهة، وقتل أي فتنة يمكن أن تنشأ بولاية أحدٍ من أهله؛ ولذا ما جعل أحداً منهم من أهل الشورى.

بل إنه لما أشار عليه أحد الحاضرين أن يولِّي ابنه عبد الله قال له عمر مغضباً: قاتلك الله، والله ما أردت الله بهذا، ويحك ! كيف أستخلف رجلاً عجز عن طلاق امرأته؟ لا إرب لنا في أموركم، فما حمدتها فأرغب فيها لأحد من أهل بيتي، إن كان خيراً فقد أصبنا منه، وإن كان شراً فقد صرف عنا. بحسب آل عمر أن يحاسب منهم رجل واحد ويسأل عن أمر أمة محمد. أما لقد جهدت نفسي، وحرمت أهلي، وإن نجوت كفافاً لا وزر ولا أجر إني لسعيد، أنظر فإن استخلف فقد استخلف من هو خير مني، وإن أترك فقد ترك من هو خير مني، ولن يضيع الله دينه[(٢)].

وفاة سعيد بن زيد ﷺ:

قال الواقدي: توفي سعيد بن زيد سنة إحدى وخمسين، وهو ابن بضع وسبعين سنة، وقبر بالمدينة. نزل في قبره سعد، وابن عمر[(٣)].

وقال ابن الأثير: وتوفى سعيد بن زيد سنة خمسين أو إحدى وخمسين وهو ابن بضع وسبعين سنة، وقيل: توفى سنة ثمان وخمسين بالعقيق من نواحي المدينة وقيل: توفى بالمدينة، والأول أصحُّ، وخرج إليه عبد الله بن عمر فغسَّله وحنَّطه وصلَّى عليه، قال نافع: وقالت عائشة بنت سعد: غسَّل سعيدَ بن زيد سعدُ بن أبي وقاص وحنَّطه، ثم أتى البيت فاغتسل، فلما خرج قال: أما أنى لم أغتسل من

---

(١) البداية والنهاية: ابن كثير، ١٦٣/٧ .

(٢) الكامل في التاريخ: ابن الأثير، ٦٥/٣ .

(٣) سير أعلام النبلاء: ١٤٠/١.

غسلي إياه، ولكن أغتسل من الحر، ونزل في قبره سعد بن أبي وقاص وابن عمر وصلَّى عليه ابن عمر[١].

فهذا ما تيسَّر لنا من سيرة سعيد بن زيد ﷺ أحد العشرة المبشرين بالجنة، الذين هم أفضل قريش، وأفضل السابقين المهاجرين، وأفضل البدريين، وأفضل أصحاب الشجرة، وسادة هذه الأمة في الدنيا والآخرة، فرضي الله عنهم وأرضاهم، وغفر لمن أثنى عليهم وزكاهم.

(١) أسد الغابة: ٣٠٨/٢.

الخاتمة

وبعد هذه الجولة التي قضيناها حول الحديث عن العشرة المبشرين بالجنة رضي الله عنهم تبين لنا من خلال ما سبق أن هؤلاء العشرة اشتركوا في عدة أمور:

- أنهم من السابقين الأولين.
- أنهم من أهل بدر.
- أنهم من أهل بيعة الرضوان.
- أنهم من كبار المجاهدين.
- أنهم من أحسن الصحابة أخلاقاً.

كما تبيَّن بما لايدع مجالاً للشكِّ أن هؤلاء العشرة رضي الله عنهم قدَّموا صفحات مشرقة تعد بحق مفخرة للمسلمين، وبسواعدهم البنَّاءة مع نبيهم صلى الله عليه وسلم وباقي إخوانهم من الصحابة الكرام رضي الله عنهم شيَّدوا صرح الدين قوياً شامخاً، وجابوا به الفيافي والقفار، والسهول والسواحل والبحار، حتى أوصلوه لمن بعدهم غضاً طرياً قوياً لا اعوجاج فيه ولا انكسار، ولا انتقاص منه ولا انحسار، فاستحقوا بهذا أن يُبشروا بالجنة من العظيم الغفار بوحيٍ إلى سيد الأبرار صلى الله عليه وسلم.

وما قصدنا من بحثنا هذا إلا إحياء سيرتهم العطرة ومسيرتهم الكريمة في نفوس المسلمين، والتذكير بصنائعهم وتضحياتهم الجليلة التي قدَّموها في سبيل هذا الدين، حتى لا تهون مكانتهم ولا تنحسر منزلتهم، وحتى نعذر إلى الله ولا نترك الساحة فارغة لغربان الشوم، ودواهي البوم، الذين ينعقون ليل نهار، مسيئين إلى أصحاب النبي المختار صلى الله عليه وسلم، متناسين أنهم بذلك على مقربة من النار دار البوار.

ألا فلنعلنها صريحة مدوية لا لبس فيها ولا خفاء، ولا غموض فيها ولا رياء، إن أمة لا تقدِّر أصحاب نبيها حق قدرهم إنها لأمة مكانها في ذيل القافلة ومزابل التاريخ، إنها أمة لن يكون لها مجد ولن تتحقق لها غاية ولن يسمو لها هدف.

إن أمة تنكَّرت إلى أصحاب نبيها وصنَّاع أمجادها وبناة صروحها ومشيدوا حضارتها، لا مستقبل لها، وإذا كان معروفاً في عالم الأسماك أن الذيل هو من

يحـرك الجسـد إلى الأمـام، ففـي عـالم الإنسـان المسـلم لا خـير في نهضـة تقـوم بالتنكر للصحابة الكرام، بل هي كبوة وليست نهضة، وركدة وليست يقظة.

ألا فليتنبه العقلاء وليستيقظ الغافلون وليعلم الجاهلون أنَّ من هانت في نفسه منزلة أصحاب النبي ﷺ فمنزلة النبي ﷺ في نفسه أهون، ومن هانت في نفسه منزلة النبي ﷺ هانت – عياذاً بالله- في نفسه منزلة المولى العلي جل وعلا، ومن كان هذا حاله فهو لا شك الشقي نعوذ بالله أن نكون من هؤلاء.

هذا وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

مراجع البحث

١- الإرشاد: محمد بن النعمان، الملقب بالمفيد: طبع دار المفيد، بيروت، ط٢، سنة ١٤١٤هـ -١٩٩٣م.

٢- الاستيعاب في معرفة الأصحاب: للإمام ابن عبد البر، دار الجيل، بيروت، ط١، سنة ١٤١٢هـ.

٣- الإصابة في تمييز الصحابة: للإمام أحمد بن حجر العسقلاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ سنة ١٤١٠هـ.

٤- إعلام الموقعين عن رب العالمين: للإمام ابن القيم الجوزية، طبعة مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، سنة ١٣٨٨هـ -١٩٦٨م.

٥- إعلام الورى بأعلام الهدى: الفضل بن الحسن الطبرسي: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، قم، ط١، سنة ١٤١٧هـ.

٦- أبو بكر شخصيته وعصره: علي محمد الصلابي، دار التوزيع والنشر الإسلامية، مصر، سنة ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

٧- أُسد الغابة: للإمام أبي الحسن علي بن أبي كرم المعروف بابن الأثير، دار الكتاب العربي، بيروت، بدون.

٨- أعيان الشيعة: محسن الأمين، مطبعة ابن زيدون، دمشق، بدون.

٩- الآل و الصحابة محبة وقرابة: علي بن حمد التميمي، طبعة مبرة الآل والأصحاب، الكويت.

١٠- الأمالي: لأبي جعفر محمد بن علي "الصدوق"، مؤسسة البعثة، طهران، ط١، سنة ١٤١٧هـ.

١١- إمتاع الأسماع: أحمد بن عبد القادر المقريزي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، سنة ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

١٢- أنساب الأشراف: للمؤرخ أحمد بن يحيى البلاذري، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط١، سنة ١٣٩٤هـ -١٩٧٤م.

١٣- أنصار الحسين: محمد مهدي شمس الدين، طبعة الدار الإسلامية، ط٢، سنة ١٤٠١هـ-١٩٨١م.

١٤- بحار الأنوار: محمد باقر المجلسي، مؤسسة الوفاء، بيروت، ط٢، سنة ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

١٥- البداية والنهاية: للحافظ أبي الفداء اسماعيل بن كثير، دار إحياء التراث العربي – بيروت، سنة ١٤٠٨هـ، م١٩٨٨.

١٦- تاج العروس من جوهر القاموس: محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، دار الفكر، بيروت، سنة ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.

١٧- تاريخ الأئمة: الكاتب البغدادي، مطبعة الصور، قم، سنة ١٤٠٦هـ.

١٨- تاريخ الإسلام: للإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١ سنة ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

١٩- تاريخ الخلفاء: للحافظ السيوطي، مطبعة السعادة، القاهرة، ط١، سنة ١٣٧١هـ، ١٩٥٢م.

٢٠- تاريخ الطبري «تاريخ الأمم والملوك»: للإمام محمد بن جرير الطبري، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات- بيروت، ط٤ سنة ١٤٠٦هـ -١٩٨٣م.

٢١- التاريخ الكبير: للإمام البخاري، دار الفكر، بيروت، بدون.

٢٢- تاريخ المدينة: ابن شبه النميري، دار الفكر، قم، إيران، سنة ١٤١٠هـ.

٢٣- تاريخ اليعقوبي: أحمد بن أبي يعقوب، دار صادر، بيروت، بدون.

٢٤- تاريخ مدينة دمشق: للإمام الحافظ أبي القاسم علي بن الحسن «ابن عساكر» دار الفكر – بيروت، سنة ١٤١٥ هـ.

٢٥- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي: للإمام محمد بن عبد الرحمن المباركفوري، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون.

٢٦- تحقيق موقف الصحابة في الفتنة: محمد أمحزون، دار طيبة – الرياض، ط٣، سنة ١٤٢٠هـ.

٢٧- تفسير القرآن العظيم: للإمام الحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير، دار المعرفة، بيروت، سنة ١٤١٢هـ.

٢٨- تهذيب الكمال: للحافظ جمال الدين يوسف المزي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٤ سنة ١٤٠٦هـ.

٢٩- الثقات: للإمام ابن حبان، مؤسسة الكتب الثقافية، ط١، سنة ١٣٩٣هـ.

٣٠- الجامع الصحيح: للإمام مسلم بن الحجاج القشيري النيسأبو ري، دار الجيل، بيروت، بدون.

٣١- حِلية الأولياء وطبقات الأصفياء: للإمام أبي نعيم الأصفهاني: دار الجيل، بيروت، ط١.

٣٢- الدر المنثور في التفسير بالمأثور: للحافظ جلال الدين السيوطي، دار المعرفة، بيروت، بدون.

٣٣- دلائل النبوة: للإمام البيهقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ سنة ١٤٠٨هـ -١٩٨٨م.

٣٤- زاد المسير في علم التفسير: للإمام ابن الجوزي، دار الفكر، بيروت، ط١ سنة ١٤٠٧هـ.

٣٥- سبل الهُدى والرشاد: الصالحي الشامي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، سنة ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م.

٣٦- سنن ابن ماجه: للإمام أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني، دار الفكر، بيروت، بدون.

٣٧- سنن ابن ماجه: للإمام أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني، دار الفكر، بيروت، بدون.

٣٨- سنن أبي داود: للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، دار الكتاب العربي، بيروت، بدون.

٣٩- سنن الترمذي «الجامع الصحيح»: للإمام محمد بن عيسى الترمذي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون.

٤٠- سنن الدارمي: للإمام عبد الله الدارمي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، سنة ١٤٠٧هـ.

٤١- السنن الكبرى: للإمام أبي بكر أحمد بن علي البيهقي، طبعة مجلس دائرة المعارف النظامية، ط١، سنة ١٣٤٤هـ.

٤٢- سنن النسائي: للإمام أحمد بن شعيب النسائي، طبع مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب، ط٢، سنة ١٤٠٦هـ -١٩٨٦م.

٤٣- سير أعلام النبلاء: للإمام شمس الدين محمد بن عثمان الذهبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١ سنة ١٤١٣هـ -١٩٩٣م.

٤٤- سيرة ابن إسحاق: محمد بن إسحاق بن يسار، طبعة معهد الدراسات والأبحاث.

٤٥- السيرة الحلبية: الحلبي، دار المعرفة، بيروت، سنة ١٤٠٠هـ.

٤٦- السيرة النبوية: للإمام ابن كثير، دار المعرفة، بيروت، سنة ١٣٩٦هـ- ١٩٧٦م.

٤٧- السيرة النبوية: للإمام بن هشام الحميري، طبعة المدني- القاهرة، سنة ١٣٨٣هـ-١٩٦٣م.

٤٨- الشافي في الإمامة: الشريف المرتضى، مؤسسة الصادق، طهران، ط٢ سنة ١٤١٠هـ.

٤٩- شرح النووي على صحيح مسلم: للإمام محيي الدين بن شرف النووي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢ سنة ١٤٠٧هـ.

٥٠- شرح نهج البلاغة: لابن أبي الحديد المعتزلي، دار إحياء الكتب الدينية، سنة ١٣٧٩هـ -١٩٥٩م.

٥١- شُعب الإيمان: للإمام الحافظ البيهقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ سنة ١٤١٠هـ.

٥٢- الصحاح في اللغة: لإسماعيل بن حماد الجوهري، دار العلم للملايين، بيروت ط٤ سنة ١٩٩٠.

٥٣- صحيح ابن حبان: للإمام محمد بن حبان البستي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢ سنة ١٤١٤هـ -١٩٩٣م.

٥٤- الطبقات الكبرى: محمد بن سعد، دار صادر، بيروت، بدون.

٥٥- طبقات خليفة: خليفة بن خياط العصفري، دار الفكر، بيروت، سنة ١٤١٤هـ -١٩٩٣م.

٥٦- عبقرية عمر: عباس محمود العقاد، طبعة نهضة مصر، القاهرة، سنة ١٤٠٩هـ.

٥٧- علي بن أبي طالب الخليفة المفتَرى عليه، عبد الحليم عويس، طبعة مركز التنوير للدراسات الإنسانية، القاهرة، بدون.

٥٨- عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب: ابن عنبة، منشورات المطبعة الحيدرية، النجف، ط٢، سنة ١٣٨٠هـ-١٩٦١م.

٥٩- عمدة القاري شرح صحيح البخاري: للإمام بدر الدين العيني، دار الفكر، بيروت، سنة ١٤٢٢هـ -٢٠٠٢م.

٦٠- غريب الحديث: ابن قتيبة الدينوري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ سنة ١٤٠٨هـ.

٦١- فتح الباري بشرح صحيح البخاري: للإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني، دار المعرفة، بيروت، ط١، بدون.

٦٢- فتح القدير: محمد بن علي الشوكاني، دار الفكر، بيروت، بدون.

٦٣- فتوح البلدان: أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري، مكتبة النهضة المصرية، بدون.

٦٤- الفِصَل في الملل والأهواء والنحل: للإمام ابن حزم الأندلسي، مكتبة الخانجي، القاهرة، بدون.

٦٥- الفصول المهمة في معرفة أحوال الأئمة: ابن الصباغ المالكي، دار الحديث، قم، ط١، سنة ١٤٢٢هـ.

٦٦- الكافي في الأصول والفروع: محمد بن يعقوب الكليني، دار الكتب الإسلامية، طبعة آخوندي، إيران، ط٣، سنة ١٣٨٨هـ.

٦٧- الكامل في التاريخ: للعلامة عز الدين علي بن أبي الكرم «ابن الأثير» دار صادر، بيروت، سنة ١٣٨٥هـ -١٩٦٥م.

٦٨- كتاب العلو للعلي الغفار: الحافظ الذهبي، دار الإمام النووي، ط١، سنة ١٩٩٠م.

٦٩- كتاب العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي، دار الرشيد، العراق، ط١، سنة ١٩٨١.

٧٠- كشف الغمة في معرفة الأئمة: علي بن عيسى الإربلي، دار الأضواء، بيروت، ط٢، سنة ١٤٠٥هـ -١٩٨٥م.

٧١- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال: المتَّقي الهندي، مؤسسة الرسالة - بيروت، سنة ١٩٨٩.

٧٢- الكنز اللغوي: لابن السكيت الأهوازي، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، بدون.

٧٣- لسان العرب: محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت، بدون.

٧٤- مآثر الإنافة في معالم الخلافة: القلقشندي، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، طبعة ٢ سنة ١٩٨٥م.

٧٥- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: للحافظ أبي بكر الهيثمي، دار الفكر، بيروت، سنة ١٤١٢هـ.

٧٦- مجمع النورين: أبو الحسن المرندي، مؤسسة إسماعيليان، قم، بدون.

٧٧- مختار الصحَّاح: محمد بن عبد القادر الرازي، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، سنة ١٤١٥هـ -١٩٩٥م.

٧٨- مختصر تاريخ دمشق: محمد بن مكرم بن منظور، دار الفكر المعاصر، ط١، سنة ١٩٨٠م.

٧٩- المستجاد من كتاب الإرشاد: العلامة الحلي، نشر مكتبة آية الله المرعشي النجفي، قم، سنة ١٤٠٦هـ.

٨٠- المستدرك على الصحيحين: للإمام محمد بن محمد الحاكم النيسابو ري، دار المعرفة، بيروت، سنة ١٤٠٦هـ.

٨١- مسند أبي يعلى: للإمام أحمد بن علي الموصلي، دار المأمون، دمشق، ط١، سنة ١٤٠٤هـ -١٩٨٤م.

٨٢- مسند البزار: للإمام أبي بكر أحمد بن عمرو البزار، مؤسسة علوم القرآن- بيروت سنة، بدون.

٨٣- مسند الطيالسي: للإمام سليمان بن داود الطيالسي، دار المعرفة، بيروت، بدون.

٨٤- المسند: للإمام أحمد بن حنبل: الشيباني، طبعة مؤسسة قرطبة، القاهرة، بدون.

٨٥- المصنَّف: للإمام أبي بكر عبد الرزاق الصنعاني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، سنة ١٤٠٣هـ.

٨٦- المصنَّف: للإمام عبد الله بن محمد بن أبي شيبة، مكتبة الرشد، الرياض، ط١ سنة ١٤٠٩هـ.

٨٧- المعارف: ابن قتيبة، دار المعارف – القاهرة، بدون.

٨٨- المعجم الأوسط للطبراني: دار الحرمين – القاهرة، سنة ١٤١٥هـ.

٨٩- معجم البلدان: ياقوت الحموي، دار إحياء التراث العربي – بيروت سنة ١٣٩٩ هـ -١٩٧٩م.

٩٠- المعجم الكبير للطبراني: مكتبة العلوم والحكم، الموصل، ط٢ سنة ١٤٠٤هـ ١٩٨٣م.

٩١- معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط٢ سنة ١٣٢٨هـ-١٩٦٩م.

٩٢- معرفة الصحابة: للإمام أبي نعيم الأصبهاني، دار الوطن – الرياض – ط١، سنة ١٤١٩هـ -١٩٩٨م.

٩٣- مفاتيح الغيب: للعلامة فخر الدين الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ سنة ١٤٢١هـ -٢٠٠٠م.

٩٤- مفردات غريب القرآن: لأبي القاسم الحسين بن محمد، المعروف بالراغب الأصفهاني، مطبعة دفتر نشر الكتاب، ط٢، سنة ١٤٠٤هـ.

٩٥- مقاتل الطالبيين: لأبي الفرج الأصفهاني، مؤسسة دار الكتاب، قم، ط٢، سنة ١٣٨٥هـ-١٩٦٥م.

٩٦- مقدمة ابن الصلاح: لتقي الدين عثمان بن عبد الرحمن «ابن الصلاح»، مكتبة الفارابي، ط١ سنة ١٤٢٠هـ -١٩٨٤م.

٩٧- مناهل العرفان: محمد عبد العظيم الزرقاني، دار الفكر، بيروت، ط١، سنة ١٩٦٦م.

٩٨- الموسوعة الإسلامية العامة: إعداد وطبع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – القاهرة.

٩٩- الموطأ: للإمام مالك بن أنس، طبع مؤسسة زايد بن سلطان، ط١ سنة ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤.

١٠٠- النهاية في غريب الحديث: ابن الأثير، مؤسسة إسماعيليان، قم، بدون.

١٠١- نهج البلاغة: خطب منسوبة للإمام علي بن أبي طالب، جمع الشريف الرضي، دار الذخائر، قم، ط١، سنة ١٤١٢هـ.

١٠٢- الوافي بالوفيات: للصفدي، دار إحياء التراث، بيروت، سنة ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.